# سياسات عربية

# SIYASAT ARABIYA

العدد 32 - أيار/مايو 2018
Issue 32 - May 2018

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 32 -أيار / مايو 2018
Issue 32 - May 2018

## The Arab Youth and the Transition to Democracy 5

## جيل الشباب في مسارات الانتقال الديمقراطي العربية

Ahmed Tohamy
Generational Movements in the Context of Democratic Transition: A Theoretical Introduction to the Concepts and Foundational Statements 7

أحمد تهامي عبد الحي
الحراك الجيلي في سياقات الانتقال الديمقراطي: مدخل نظري في المفاهيم والمقولات التأسيسية

Chaker Houki
Does Generational Theory Provide an Explanation for the Tunisian Revolution? 24

شاكر الحوكي
الشباب والثورة: هل تصلح المقاربة الجيلية أساسًا لقراءة الثورة التونسية؟

Ahmed Elkatabi
From the 20 February Movement to the Rif Movement: Does Morocco Fear Democracy, or the Youth Generation? 38

أحمد الخطابي
من حركة 20 فبراير إلى حراك الريف: الخوف من الديمقراطية أم الخوف من جيل الشباب بالمغرب؟

Ashraf Osman Mohammed Elhassan
Youth in Sudan and the Reformation of the Public Sphere: A Study of the Dynamics of Social Action and the Potentialities for Public Involvement 51

أشرف عثمان محمد الحسن
الحقل الشبابي في السودان وإعادة تشكيل المجال العام: بحث في ديناميات الفعل الجمعي ورهانات الحضور العمومي

Abdirahman Issa
Democratic Transition in Somalia: Somali Youth as Influencers 63

عبد الرحمن عيسى
الانتقال الديمقراطي في الصومال وتأثير الشباب فيه

## Articles 73

## دراسات

Alaa Mahajna
The Status of Jerusalem in Israeli Law and the Trump Announcement: The Repercussions and the Prospects for Confrontation 75

علاء محاجنة
القدس في القانون الإسرائيلي في ضوء إعلان ترامب: انعكاسات المواجهة وخياراتها

Ayman Bouganmi
Participatory Democratic Transition in Tunisia: Elitist Answers in a Revolutionary Context 87

أيمن البوغانمي
الانتقال الديمقراطي التشاركي في تونس: حلول نخبوية في سياق ثوري

## Arab Opinion Index 99 | المؤشر العربي

Dana El Kurd
Evaluating the General Living Conditions of the Egyptian Citizenry: from the January, 2011 Revolution to the 2018 Presidential Elections 101

دانا الكرد
تقييم الأوضاع العامة في مصر: من ثورة يناير حتى انتخابات 2018

## Documentation 109 | التوثيق

Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/3/2018 - 30/4/2018 111

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 2018/3/1 – 2018/4/30

Palestine Over Two Months 1/3/2018 - 30/4/2018 116

الوقائع الفلسطينيّة في المدة 2018/3/1 – 2018/4/30

## Book Reviews 121 | مراجعات وعروض كتب

Ahmed Qasem Hussein
"Smart Power Approach as a Mechanism for International Change: the case of USA" by Saif Al-Hirmizi 123

أحمد قاسم حسين
"مقتربات القوة الذكية كآلية من آليات التغيير الدولي: الولايات المتحدة الأميركية أنموذجًا" لسيف الهرمزي

## Reports 131 | تقارير

Editorial Board
Conference
The Syrian Revolution: Seven Years on, What Went Wrong? 133

هيئة التحرير
مؤتمر
"مآلات الثورة السورية: ماذا جرى؟ ولماذا؟"

Ihab Maharmeh
Conference
"Indo-Arab Relations: The Evolving Dynamics with a Rising Power" 141

إيهاب محارمة
مؤتمر
"العرب والهند: تحولات العلاقة مع قوة ناشئة ومستقبلها"

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات هو مؤسسة بحثية فكرية مستقلة للعلوم الاجتماعية والتاريخية وبخاصة في جوانبها التطبيقية.

يسعى المركز من خلال نشاطه العلمي البحثي إلى خلق تواصل بين المثقفين والمتخصصين العرب في العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم وأمتهم وبينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية في عملية البحث والنقد وتطوير الأدوات المعرفية والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، كما يسعى المركز إلى بلورة قضايا المجتمعات العربية التي تتطلب المزيد من الأبحاث والمعالجات، وإلى التأثير في الحيز العام.

المركز هو مؤسسة علمية، وهو أيضًا مؤسسة ملتزمة بقضايا الأمة العربية وبالعمل لرقيها وتطورها، وهو ينطلق من كون التطور لا يتناقض والثقافة والهوية العربية، ليس هذا فحسب، بل ينطلق المركز أيضًا من أن التطور غير ممكن إلّا كرقي مجتمع بعينه، وكتطور لجميع فئات المجتمع، في ظروفه التاريخية وفي سياق ثقافته وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

يعنى المركز بتشخيص وتحليل الأوضاع في العالم العربي، دولًا ومجتمعات وبتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبالتحليل السياسي بالمعنى المألوف أيضًا، ويطرح التحديات التي تواجه الأمة على مستوى المواطنة والهوية والتجزئة والوحدة، والسيادة والتبعية والركود العلمي والتكنولوجي، وتنمية المجتمعات والدول العربية والتعاون بينها، وقضايا الوطن العربي بشكل عام من زاوية نظر عربية.

ويعنى المركز العربي أيضًا بدراسة علاقات العالم العربي ومجتمعاته مع محيطه المباشر في آسيا وأفريقيا، ومع السياسات الأميركية والأوروبية والآسيوية المؤثرة فيه، بجميع أوجهها السياسية والاقتصادية والإعلامية.

لا يشكل اهتمام المركز بالجوانب التطبيقية للعلوم الاجتماعية، مثل علم الاجتماع والاقتصاد والدراسات الثقافية والعلوم السياسية حاجزًا أمام الاهتمام بالقضايا والمسائل النظرية، فهو يعنى كذلك بالنظريات الاجتماعية والفكر السياسي عناية تحليلية ونقدية، وخاصةً بإسقاطاتها المباشرة على الخطاب الأكاديمي والسياسي الموجه للدراسات المختصة بالمنطقة العربية ومحيطها.

ينتج المركز أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات وورش عمل وتدريب وندوات موجهة للمختصين، وللرأي العام العربي أيضًا، وينشر جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية ليتسنى للباحثين من غير العرب الاطلاع عليها.

The Arab Center for Research and Policy Studies (ACRPS) is an independent research institute for the study of the social sciences and humanities, with particular emphasis on the applied social sciences.

The ACRPS strives to foster communication between Arab intellectuals and specialists in the social sciences and humanities, establish synergies between these two groups, unify their priorities, and build a network of Arab and international research centers.

In its commitment to the Arab world's causes, the ACRPS is based on the premise that progress necessitates the advancement of society and human development and the interaction with other cultures, while respecting historical contexts, culture, and language, and in keeping with Arab culture and identity.

To this end, the Center seeks to examine the key issues afflicting the Arab world, governments, and communities; to analyze social, economic, and cultural policies; and to provide rational political analysis on the region. Key to the Center's concerns are issues of citizenship and identity, fragmentation and unity, sovereignty and dependence, scientific and technological stagnation, community development, and cooperation among Arab countries. The ACRPS also explores the Arab world's political and economic relations with its neighbors in Asia and Africa, and the Arab world's interaction with influential US, European, and Asian policies in all their economic, political, and communication aspects.

The Center's focus on the applied social sciences does not detract from the critical analysis of social theories, political thought, and history; rather, this focus allows an exploration and questioning of how such theories and ideas have directly projected themselves on academic and political discourse and guided the current discourse and focus on the Arab world.

The ACRPS regularly engages in timely research, studies, and reports, and manages several specialized programs, conferences, workshops, training sessions, and seminars that target specialists and the general public. The Center publishes in both Arabic and English, ensuring its work is accessible to both Arab and non-Arab readers.

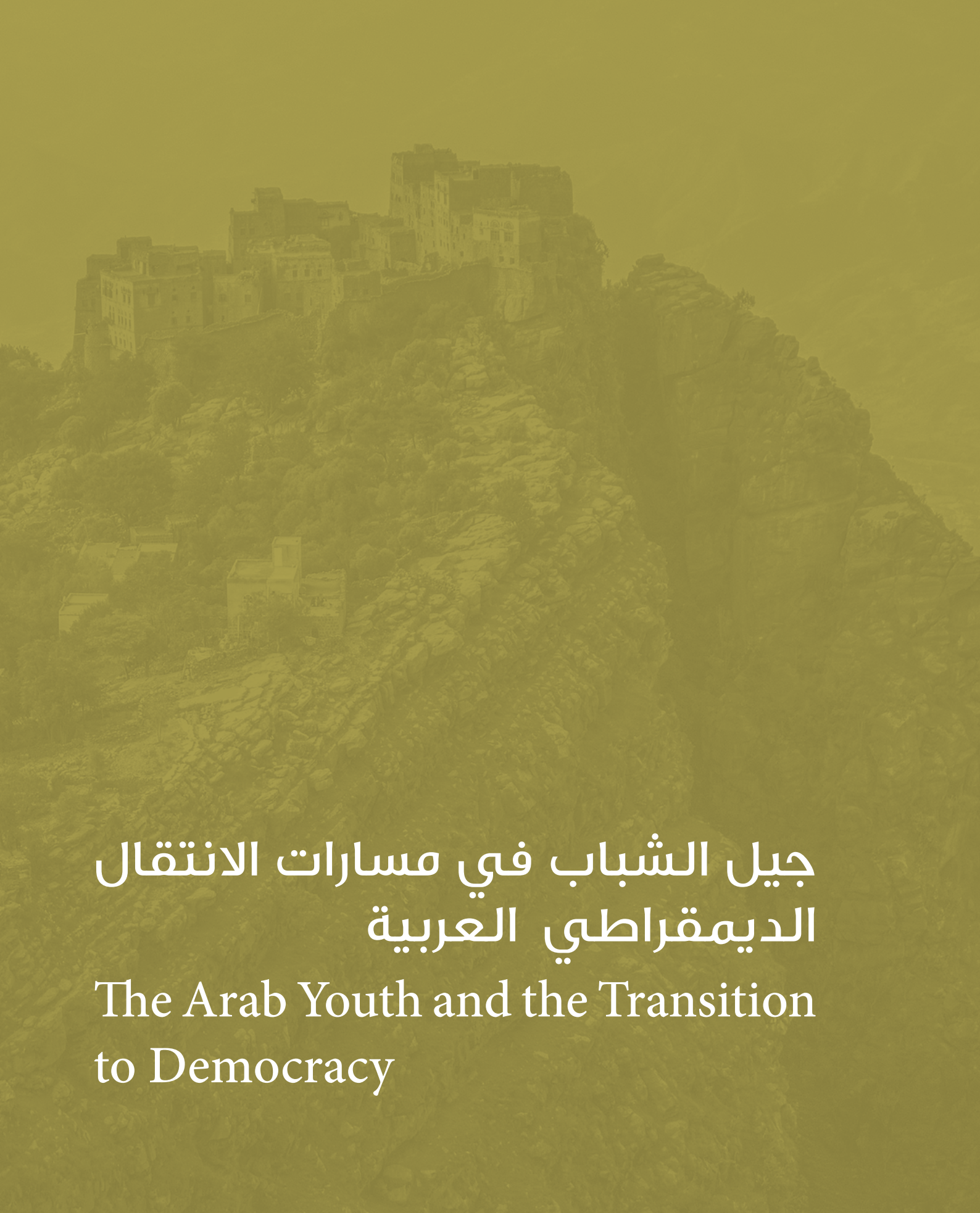

# جيل الشباب في مسارات الانتقال الديمقراطي العربية

# The Arab Youth and the Transition to Democracy

أحمد تهامي عبد الحي | Ahmed Tohamy*

# الحراك الجيلي في سياقات الانتقال الديمقراطي:
## مدخل نظري في المفاهيم والمقولات التأسيسية

# Generational Movements in the Context of Democratic Transition:
## A Theoretical Introduction to the Concepts and Foundational Statements

تناقش هذه الدراسة المفاهيم والافتراضات المرتبطة بالحراك الجيلي وسياقات الانتقال السياسي، وذلك بالتطبيق على عملية الانتقال الديمقراطي في بلدان الربيع العربي. وتنطلق الدراسة من فرضية أن جيل الربيع العربي جيل متمايز له خصوصية ووضعية اجتماعية متجانسة، يتكون من أفراد كثر في مرحلة عمرية محددة، عاصروا تغيرات وأحداثًا تاريخية أدت إلى تشكيل هوية سياسية فريدة لهم بوصفهم جيلًا. وتكتسب هذه الهوية استمرارية مستقرة عبر الزمن مع إمكان بروز كثير من جوانب التغيير في الفكر أو السلوك السياسي في مراحل لاحقة. وفي حين يضم هذا الجيل وحدات جيلية متعددة منقسمة على أسس عدة، تميل العلاقة بين تلك الوحدات الجيلية إلى التعاون أو الصراع بعضها مع بعض. ولا يعني الحراك الجيلي، بالضرورة، ظهور جيل أكثر ديمقراطية، بل قد تقوم النظم السياسية التي تأتي بعد فشل الانتقال الديمقراطي بخلق أنماط من الثقافة والقيم السياسية المعادية للديمقراطية والداعمة للسلطوية.

**كلمات مفتاحية:** الاقتراب الجيلي، الثورة، الديمقراطية، الربيع العربي، الحركة الاجتماعية.

This study explores the concepts and premises related to youth movements, particularly as they relate to the democratic transition within the Arab Spring countries. The study is centered on the idea of the existence and uniqueness of the generation of Arabs who led the Arab Spring. The Arab Spring Generation is more than a group of people in a similar age category: they are a cohesive, highly homogenized group of people who lived through a particular set of events and circumstances and emerged with a unified and distinctive political identity and ethos. With time, this political identity became more permanent. The fact of the youth leading the surge towards democracy does not mean that the "Arab Spring Generation" is inherently more democratic than other cross-sections of the population.

**Keywords:** Generational Approach, Revolution, Democratic Transition, Arab Spring, Social Movements.

* أستاذ السياسة المقارنة، كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، جامعة الإسكندرية، مصر.

*Professor of Comparative Politics, Faculty of Economics Studies and Political Science, Alexandria University, Egypt.

## مقدمة

يرتبط البحث في الأجيال السياسية بسيادة أنماط من التحليل تعتمد على الثنائيات المبسطة، التي تركز إما على الصراع بين الأجيال، وإما على التكامل فيما بينها. وتميل الخطابات المسيّسة والإعلامية، وحتى الفلسفية، إلى توظيف المفاهيم في إطار الصراع السياسي والأيديولوجي في المجتمع، ما يفقدها قدرتها التحليلية والتنبئية؛ ولذلك من الضروري إعادة تأسيس قضية العلاقة بين الأجيال نظريًا وواقعيًا على أسس علمية ومنهجية تتجاوز الخطابات السياسية والإعلامية والدعائية. وفي هذا الصدد، تتبنّى الدراسة أطروحة الحراك الجيلي التي تقوم على عدد من المفاهيم والمقولات التأسيسية والتحليلية، وتسعى لعرضها ومناقشتها في سياقات الانتقال والتحول السياسيَين؛ سواء الإصلاحي، أو الذي يأتي في إثر ثورة ما.

وهكذا تدور الإشكالية الأساسية لهذا البحث حول تحليل طبيعة المقولات النظرية والمفاهيمية المرتبطة بالجيل السياسي، وعلاقة التفاعل المتبادل بين المتغير الجيلي وسياقات التغير السياسي والانتقال الديمقراطي الإصلاحي أو الثوري. ويمكن أن يكون المتغير الجيلي متغيرًا مستقلًا أو تابعًا في التحليل؛ فالحراك الجيلي باعتباره متغيرًا مستقلًا، يمكن أن يكون دافعًا بقوة أو معرقلًا لعملية الانتقال الديمقراطي في سياق محدد. وفي المقابل، يمكن أن يكون الجيل متغيرًا تابعًا تؤثر فيه النظم السياسية السلطوية أو الديمقراطية من خلال غرس قيم وتوجهات أكثر ديمقراطية لدي الأجيال الجديدة، بما يعيد تشكيل رؤيتها للعالم وتعديل سلوكها السياسي تجاه النظام السياسي أو الأحزاب والحركات الاجتماعية والسياسية.

وفيما يلي تتعمق الدراسة في مناقشة تلك القضايا والإشكاليات في المحاور التالية، وهي أولًا: النواحي النظرية لمفهوم الجيل والمقولات والقضايا المرتبطة به من أحداث مؤسسة وهوية مشتركة. ثانيًا: دور المتغير الجيلي في عمليات التغيير والاستمرارية في الحركات والأحزاب والقوى السياسية. ثالثًا: العلاقات المتبادلة بين المتغير الجيلي وسياق الانتقال الديمقراطي.

## أولًا: جيل ثورات الربيع العربي من منظور التحليل الجيلي

تحدد المعاجم العربية العديد من المعاني لمفهوم الجيل، فهو يعني: القرن من الزمان أو ثلث القرن، والأمة التي تختص بلغة معيّنة، والصنف من الناس، كما يطلق الجيل توسعًا على عمر الإنسان[1].

وهكذا تؤكد المعاجم اللغوية وجود مقومين أساسيين لمعنى الجيل، هما الزمن واللغة وما يتعلق بذلك من تحولات قيمية وثقافية واجتماعية. ويرتبط مفهوم الجيل بالزمن ارتباطًا وثيقًا؛ فهو ثلث القرن الذي يتعايش فيه الناس، وهو يشير إلى أهل الزمان الواحد. وبصرف النظر عن تحديد فترة معيّنة، فهو يؤكد أهمية الزمن والمرحلة التاريخية التي يظهر فيها جيل معيّن. وإلى جانب ذلك، فإنّ للجيل معاني أخرى تركز على الأبعاد اللغوية والطبائع البشرية؛ فالجيل هو الصنف من الناس، وهو الأمة التي تختص بلغة معيّنة، فكل قوم يختصون بلغة هم جيل؛ مثل جيل العرب، أو جيل الترك. ولذلك ترتبط اللغة أو لهجاتها والتطورات فيها بمفهوم الجيل، فهي تعبّر عن أسلوب معيّن في التفكير والحياة يرتبط بجيل معيّن، وجيل الشباب، مثلًا، هو صنف من الناس يخلق لهجته وثقافته الخاصة به.

وفي الحقيقة، فإنّ هذين البعدين - أي الزمن واللغة - في مفهوم الجيل يقتربان من المعنى الاصطلاحي للمفهوم كما تشير إليه الأدبيات؛ ولذلك فإنّ المعنى الاصطلاحي في المعاجم لا يركز على عامل السن في تحديد مفهوم الجيل فحسب، بل على المرحلة التاريخية أيضًا، ويؤكد أهمية وجود نمط معيّن من الأفكار والقيم وأسلوب معيّن في الحياة. وقد برز استعمال مفهوم الجيل في قياس الزمن التاريخي عند ابن خلدون الذي اعتمد نظرية نشأة الدولة وانحلالها، فالدولة عند ابن خلدون لها أعمار طبيعية كالأشخاص[2].

وفي العصر الحديث، يُعد كارل مانهايم صاحب التعريف الأبرز لمفهوم الجيل، فهو يعرّف الجيل بأنه "الزمر من العمر نفسه التي تشغل وضعية متجانسة في العملية التاريخية والاجتماعية"، ولكنه يضيف أن "المعاصرة ليست وحدها وفي حد ذاتها هي التي تنتج وضعية متجانسة للجيل"[3]. فالزمر من العمر نفسه لا تمثّل جيلاً متميزًا إلا إذا كان هناك أحداث اجتماعية وتاريخية هي التي تجعلها كذلك، وتنبثق المقومات المميزة للجيل من السياقات الاجتماعية والتاريخية وفي ظل خبرات مختلفة وردود فعل عليها، وهذا أهم من الاعتبارات البيولوجية[4].

يجمع الجيل، باعتباره ظاهرة تاريخية واجتماعية، بين المنتمين إلى وضعية تاريخية واجتماعية معيّنة. وفي الحقيقة، فإن التعايش والمعاصرة لأفراد من العمر نفسه ليس كافيًا في حد ذاته كي يفرز

1 استخرج الباحث هذه المعاني من المعاجم الآتية: **لسان العرب**، و**محيط المحيط** و**المعجم الوجيز** و**المعجم الوسيط**.

2 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **المقدمة** (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، ص 222-232.

3 Karl Mannheim, "What is a Social Generation?" in: Anthony Esler, *The Youth Revolution: The Conflict of Generation in Modern History* (Washington, D.C.: Heath & Company, 1974) pp. 7-8.

4 Ruth Cherrington, "Generational Issues in China: A Case Study of 1980 Generation of Young Intellectuals," *The British Journal of Sociology*, vol. 48, no. 2 (June 1997), p. 15.

هذه الوضعية الجيلية الواحدة. فلكي تعتبر مجموعة من الأفراد أنها في الجيل نفسه، يجب أن يشترك أفرادها في عنصرين أساسيين، هما: أن يولدوا جميعًا في السياق التاريخي والثقافي نفسه، وأن يشعروا بالاشتراك في المصير الاجتماعي والتاريخي نفسه أيضًا[5].

ويرى سيغموند نيومان أن "المعاصرين ليسوا الأفراد أنفسهم الذين وُلدوا في السنة نفسها، بل إنّ ما يحددهم، بوصفهم أفرادَ جيلٍ واحد، هو خبراتهم المشتركة، والمشكلة التاريخية الواحدة، والأحداث التاريخية البارزة"[6].

الجيل عند مانهايم، إذًا، هو وضعية متجانسة للشرائح العمرية المتقاربة في فضاء اجتماعي تاريخي، ويشير المنجي الزيدي إلى عدد من العناصر التي ترتبط بالظاهرة الجيلية، وهي:

- الظهور المستمر لفاعلين ثقافيين جـدد، واختفاء الفاعلين الثقافيين القدامى.
- المساهمة الزمنية المحدودة، فأعضاء وحدة جيلية معيّنة لا يساهمون في مسار التاريخ إلا في فترة محددة.
- التناقل المستمر للإرث الثقافي المتراكم.
- استمرار تغير الأجيال وتعاقبها[7].

ويشير لويس شاوفيل إلى ضرورة التمييز بين استخدام مفهوم الجيل في التقاليد الأوروبية والأميركية، ويري أن استعمال مفهوم الجيل في العلوم الاجتماعية في التراث الأنغلوساكسوني يقتصر على موضوعات العائلة والقرابة، بينما يفضل استخدام مفهوم الزمر لتحديد الأفراد الذين يولدون في الفترة نفسها. وفي إنتاج العلوم الاجتماعية في أميركا لا يكاد يوجد مصطلح "الجيل الاجتماعي"، وفي المقابل فإن التقاليد الأوروبية أشد انفتاحًا على المفهوم بمعانٍ مختلفة، إذ نجد هذا المفهوم في أعمال مينتر ومانهايم[8].

ويري لويس شاوفيل أن هناك أربعة أنواع من الأجيال، هي:

1. الجيل بمعني سلسلة النسب أو السلالة الخاصة بعائلة ما The genealogical generation: وهو ما يرتبط بعلم الأنساب Genealogy.
2. الجيل الديموغرافي The demographic generation: ويتحدد بتاريخ ميلاد الزمرة، وهم الجماعة من الأفراد المولودين في سنة معيّنة، وهو معيار محايد تمامًا.
3. الجيل التاريخي The historical generation: هو مجموعة من الزمر الذين تجمعهم ثقافة عامة ومصالح مشتركة وإدراك لخصوصيتهم، وفي بعض الأحيان صراعاتهم ضد الأجيال الأخرى. ومثال ذلك جيل 1968 في فرنسا من مواليد الفترة (1945-1955)، وجيل 1914 الذي بلغ سن الرشد أثناء الحرب العالمية الأولى. ويرتبط الاختلاف بين الجيل التاريخي والجيل الديموغرافي بمستوى الاختلاف في البنى والتكوينات الاجتماعية. وبهذا المعنى يمكن اعتبار الجيل الذي صنع الربيع العربي ونتج منه بمنزلة جيل سياسي - تاريخي لديه هوية جيلية ووعي وسلوك سياسيان مختلفان عن غيرهما من الأجيال السياسية الأخرى.
4. الجيل الاجتماعي The social generation: يربط بين المفاهيم المختلفة، فالجيل الاجتماعي هو جيل ديموغرافي يشترك في أنماط وسمات اجتماعية عامة، ولكن لا يوجد بالضرورة وعي بالهوية الجماعية. وتتكون لديه بنية وشعور مشتركان، وحراك سياسي وتاريخي واضح، ويمكن أن يصبح جيلًا تاريخيًا بالمعنى الذي سبقت الإشارة إليه. وبداية يتم تحليل الأجيال الديموغرافية، ثم تشخيصها بمصطلحات الجيل التاريخي التي تنتج من التحليل السوسيولوجي لهويته وتقييم بنيته[9].

وعلى الرغم من أنه يمكن للبعض النظر إلى الجيل بوصفه مجموعة من الأفراد من ذوي الأعمار المتساوية فحسب، فإن مانهايم يرفض ذلك، مؤكدًا أهمية الأحداث التاريخية والاجتماعية التي تؤدي دورًا في خلق الجيل. يؤكد مانهايم أن الجيل بالمعنى البيولوجي ليس له أهمية سياسية كبيرة. أما الجيل الذي يصبح ظاهرة سياسية واجتماعية تستحق الدراسة، فهو الجيل الذي يتكون من الأفراد في مرحلة عمرية واحدة ممن عاصروا التجربة التاريخية نفسها في سنوات تشكلهم، ويشتركون في الآمال والإحباطات نفسها، وخاضوا تجربة التحرر ومعارضة الجيل الأكبر. فأعضاء الجيل الواحد يتأثرون بالأحداث الاجتماعية والفكرية والثقافية التي تدور من حولهم، وتكون لديهم خبرات سلبية أو إيجابية نتيجة تفاعلات القوى

5 Manhiem, pp. 7-8.

6 Sigmund Neumann, "The Conflict of Generations in Contemporary Europe from Versailles to Munich," *Vital Speeches of the Day*, vol. 5, no. 20 (August 1939), pp. 623-628.

7 المنجي الزيدي، "أهمية مفهوم الجيل في دراسة قضايا الشباب العربي"، مجلة **إضافات**، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، العدد 3 (كانون الثاني/ يناير 2001)، ص 128.

8 Louis Chauvel, "Social Generations, Life Chances and Welfare States," paper presented at conference on "Transforming the Democratic Balance among State, Market and Society: Comparative Perspective on France and the Developed Democracies," Minda de Gunzburg Center for European Studies, Harvard University, May 17-18, 2002.

9 Ibid., p. 2.

المختلفة في المجتمع[10]. ويري لويس فوير أن وعي الجيل يتشكل دومًا بالوقوع تحت تجربة الحدث المؤسس أو الموحد للجيل، والذي يطبع وعي الحركة الطلابية على وجه الخصوص بالتجربة التاريخية نفسها[11].

وبناءً على أطروحتَي فوير ومانهايم المتعلقتين بلحظة ميلاد الجيل التاريخي تحت تأثير الحدث المؤسس، يمكن القول إن هذا الحدث قد تمثل في عام 2011 بثورات الربيع العربي الذي خلق جيلًا تاريخيًا جديدًا. وبهذا المعنى، فإنّ الثورات ساهم في حدوثها وظهورها ظروف سياسية واجتماعية متنوعة، كانت أجيال الشباب بين 20-45 عامًا أقدر على استيعابها وتحويلها إلى حالة تغيير كبرى لم تشهدها المنطقة منذ عقود طويلة. وفي الوقت نفسه، نتج من هذه التحولات الثورية والسياسية الكبرى جيل تاريخي - إضافة إلى كونه سياسيًا واجتماعيًا - فريد، صنعته أحداث تاريخية مؤسسة هي ثورات الربيع العربي.

فجيل ثورات الربيع العربي هو، إذًا، نتاج حدث موضوعي مؤسس ولكنه في الوقت نفسه يتأسس على النسق البيولوجي للوجود الإنساني وهو العمر الزمني، إلا أن العوامل البيولوجية، كما يوضح مانهايم، ليست محددة في تفسير الظاهرة الاجتماعية والتاريخية، فهي في أحسن الأحوال أداة لرسم حدود الجيل[12].

## 1. الوحدات الجيلية

تمثل فكرة الوحدات الجيلية Generational units حجر الزاوية في رؤية مانهايم لمشكلات العلاقة بين الأجيال، ووحدة الجيل هي عبارة عن جماعة عمرية بيولوجية تتميز بعدد من الخصائص، أهمها ما يلي:

- تشكّل وضعية متجانسة في العملية الاجتماعية والتاريخية تحدد لها مجالًا خاصًا ومتميزًا من الخبرات والتجارب، وتعدها لنمط متميز من التفكير وأسلوب خاص بالحركة.
- تشارك في مصير مشترك أو مصلحة مشتركة، وبخاصة فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية.
- تكشف عن وحدة الاستجابات، أي عن طريقة يتحرك الكل من خلالها لتشكّل في النهاية تجاربهم وخبراتهم.
- إنّ وحدة الجيل هي أكثر من جماعة عمر بيولوجية، وأكثر من "شلة" عمرية An age cohort. وليست، ببساطة، تجمعًا من أفراد ذوي أعمار متساوية أو متقاربة، بل هي وحدة اجتماعية ترتبط فيما بينها بموقع أو بمكانة بنائية مشتركة وبنسق ثقافي مشترك، وبوعي ذاتي كوحدة اجتماعية، وبدرجة كبيرة من التضامن والتفاعل الاجتماعي بين أعضائها. ومع أن وحدة الجيل تنشأ في الأصل بوصفها ردة فعلٍ أو استجابة للتغيرات المجتمعية، فإنها ما إن تتكون حتى تصبح بدورها عاملًا نحو حدوث مزيد من التغيرات. وهذا هو السبب الذي دفع مانهايم إلى اعتبار ظهورها بمنزلة نذير بعدم استمرارية العملية الاجتماعية أو تغيرها. وعندما يتبلور الوعي بوحدة الجيل عند الشباب، سرعان ما يوسّع من قاعدته ويكوّن "أسلوب جيل" جديدًا منفصلًا، وربما يعارض الأسلوب السائد لدي الجيل الأكبر[13].

> الجيل الواحد يضم مجموعات مختلفة من الشباب، فقد توجد مجموعتان أو أكثر، وقد تكون إحداهما محافظة والأخرى ليبرالية. ولكنّ كلتيهما تنتميان إلى الجيل نفسه؛ لأنّ كلًا منهما يشكّل استجابة فكرية واجتماعية مختلفة للمثير التاريخي نفسه الذي يتأثر به الشباب جميعًا

وبهذا المعنى، فإن الجيل الواحد يضم مجموعات مختلفة من الشباب، فقد توجد مجموعتان أو أكثر من الشباب، وقد تكون إحداهما محافظة والأخرى ليبرالية على سبيل المثال. ولكنّ كلتيهما تنتمي إلى الجيل نفسه؛ لأنّ كلًا منهما يشكّل استجابة فكرية واجتماعية مختلفة للمثير التاريخي نفسه الذي يتأثر به الشباب جميعًا، وتمثل هاتان المجموعتان "وحدة جيل" معيّنة داخل الجيل نفسه. وتظهر وحدة جيل معيّنة عندما يتبنى أفرادها عددًا من القيم والاتجاهات والمشاعر المتشابهة، وهي التي تقوم بتشكيلٍ وصياغةٍ لوعي أفراد هذا الجيل وإدراكه. وتتجلى مظاهر تكامل وعي الجيل في العديد من الجوانب الثقافية والفنية والأدبية وخصوصًا التعبيرات اللغوية، والزي أو "الموضة". وهو ما يؤدي إلى ربط أعضاء الجيل ببعضهم، ويوفر أساسًا محتملًا لاستمرار الممارسة والحركة[14].

10 Mannheim, p. 8.

11 Lewis S. Feuer, *The Conflict of Generations: The Character and Significance of Student Movement* (London: Heinemann, 1969), p. 25.

12 الزيدي، ص 127.

13 السيد عبد العاطي، **صراع الأجيال: دراسة في ثقافة الشباب** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987)، ص 29.

14 Mannheim, pp. 9-10.

والحقيقة أن تعددية الوحدات الجيلية داخل الجيل التاريخي نفسه المرتبط بظاهرة الربيع العربي والثورات كانت مصدر قوةٍ وتماسكٍ في ظل هوية جيلية متماسكة ومتبلورة، ولكن من الصعب أن تبقى الهوية الجيلية الواحدة متماسكة من دون أساس أيديولوجي وفكري صلب؛ ولذلك تظهر، تدريجيًا، الهويات المختلفة داخل الجيل نفسه. وبهذا المعنى فإن مقولات التحليل الجيلي لا تنفي إمكان وجود التعدد، بل الصراع داخل الجيل نفسه، بوصفه إشكالًا لاحقًا لحدث التغيير الكبير (وبما يجاوز لحظة سيطرة النواة الصلبة على اتجاهات الحراك). بمعنى أن وحدة الجيل ليست مميزًا ملازمًا لوجوده، وأن احتمالات تفتته بوصفه فاعلًا سياسيًا واردة وكبيرة، وربما يتجاوز الأمر التشارك في القيم العمومية، وتفضيلات أسلوب المعيشة، إلى الشقاق الأيديولوجي والحزبي مثلًا، كما أن احتمالات إعادة التماسك واتخاذ مبادرات إستراتيجية تجميعية وتوافقية واردة أيضًا، بشرط القدرة على إحياء الهوية الجيلية مرة أخرى وإعطائها أولوية قيمية أعلى من غيرها من الانتماءات الطبقية والسياسية.

## 2. النواة الصلبة

يوجد، دائمًا، داخل الجيل مجموعة يطلق عليها مانهايم اسم "النواة الصلبة" concrete group هي التي تقوم بتطوير التصورات والأفكار والمفاهيم الجديدة، ثم تتسع وتتمدد، وتحيط بها دوائر أخرى، وتمثل جميعها جيلًا معيّنًا؛ فالجيل لا يعني هذه المجموعة التي تشكّل النواة الصلبة فحسب. وفي الحقيقة، فإن مناصرة المفاهيم والأساليب الجديدة التي تشكّل خصائص الجيل، وتبنّيها لا يكونان بطريقة عفوية أو تلقائية، وإنما من خلال الاتصال الشخصي بين الأفراد، وخصوصًا داخل النواة الصلبة، حيث يُلهب الترابط داخلها حماس المشاركين ويمكّنهم من تطوير توجهات وأساليب جديدة. وما إن يتمّ تطويرها بهذه الطريقة، حتى تصبح هذه الاتجاهات والميول مستقلة عن هذه المجموعة الصلبة، وعن أصولها، لتستقطب مزيدًا من الأفراد وتعمل قوة ربطٍ فيما بينها في مساحات وتجمعات أكبر. وفي الحقيقة فإن تمدد هذه المجموعة واتساعها يعودان إلى أنها تعبّر عن وضعية الجيل كلّه، وإلى كفاءتها في صياغة الخبرات الفعلية وأسلوب حياة أفراد الجيل. فالأفراد خارج هذه النواة يجدون فيها تعبيرًا مرضيًا عن وضعيتهم التاريخية وانتمائهم إلى جيل معيّن[15].

ولا يمكن الجزم بدقة بطبيعة النواة الصلبة التي قادت الحراك الجيلي في ثورات الربيع العربي، فهذه النواة الصلبة من القيادات والنخب موزعة بين اتجاهات ظاهرة وأخرى خفية، بين توجهات ثقافية وسياسية وأخرى تنظيمية وحركية، وكثير منها لا يمكن اكتشافه إلا بعد تحقيقات ودراسات استقصائية تحتاج إلى مدى زمني طويل؛ وذلك لأسباب عديدة بعضها أمني وبعضها الآخر صراعات داخلية. وبطبيعة الحال، فإن هذه النواة الجيلية لا ينطبق عليها مفهوم النخبة السياسية بالمعنى الدقيق، بل هي قيادات طليعية غير معروفة للجميع في حينها، ولكنها تتكشف تدريجيًا عبر الزمن، وقد يصبح بعضها في إطار النخب السياسية الجديدة، وربما يطويها الزمن من دون أن تظهر في المجال العام، وخصوصًا بالنسبة إلى القيادات التنظيمية والحركية التي لا تجيد خطاب الإعلام ولا تمتلك مهارات الحوار والنقاش، على عكس الطلائع الثورية الأقدر على الصياغات الخطابية والإعلامية، ولكنها أكثر براعة في التنظيم والتأطير والتشغيل.

وبخصوص أسلوب حياة الجيل، يلاحظ أن الخبرات الجديدة ترتبط بصياغةٍ وتشكيلٍ لتوجهات جديدة متمايزة من الأجيال الأكبر سنًا، بما يعني صياغة أسلوب حياة لجيل جديد New generation style. ويميز مانهايم بين احتمالين: أولهما أن وحدة الجيل ربما تتبنّى أسلوب حياتها وتوجهاتها الجديدة من دون وعي، بل اعتمادًا على الحدس والبديهة، ولكنها تفشل في إدراك خصائصها الجماعية باعتبارها وحدة جيل. وثانيهما أن تقوم المجموعات بتأكيد خبرتها ووعيها بهويتها الجماعية باعتبارها وحدات جيلية[16].

وفي الحقيقة، فإن أسلوب حياة الجيل يمكن أن يتسع ويضم أفرادًا من أجيال أخرى، وهو ما يشير إلى وجه من وجوه التشابه الجزئي بين مفهومَي الجيل والطبقة كما يرى مانهايم، فإذا كان بإمكان أيديولوجيا الطبقة أن تتسع وتمارس تأثيرًا يتجاوز وضعية الطبقة وحدودها الاجتماعية والاقتصادية، فإن بعض الدوافع والميول الخاصة بجيل معيّن يمكن أن تجذب أفرادًا من مجموعات عمرية أكبر أو أصغر. وتبقى قاعدة أيديولوجيا الطبقة هي الطبقة بحسب نظرية التحليل الطبقي، حتى لو كان مؤلفو أيديولوجيا الطبقة ومثقفوها من طبقة أخرى، وتبقى كذلك القاعدة الحقيقية للتوجهات الجديدة للجيل وأيديولوجيته هي وضعية الجيل، حتى إنْ دعمتها مجموعات عمرية أخرى. وهكذا يمكن لتوجهات الجيل الجديد أن تتسع وأن يتبناها الأفراد الكبار المعزولون، أو المنفصلون، عن جيلهم الخاص[17]. وبهذا المعنى، لا يعني الحديث بالضرورة عن جيل الثورة أو الربيع العربي الاقتصار على فئة الشباب بمعيار عمري بيولوجي يقتصر على المجموعات العمرية بين 16 و24 عامًا فقط، وهو ما تؤكده الدراسات البيولوجية والاجتماعية، ولكن جيل الثورة يضم أجيالًا أكبر

15 Ibid., p. 12.

16 Ibid., pp. 13-14.

17 Ibid., p. 13.

سنًا، بعضها من الكهول والشيوخ إلى جانب الشباب. كما أن قسمًا من المجموعات العمرية الشبابية يكون أكثر عداءً للثورة والتحاقًا بالنخب والنظم السياسية القديمة أو التقليدية.

وإلى جانب هذا النوع من الحراك الجيلي، بمعنى انتقال الفرد من جيل إلى آخر، مثل انتقال الفرد من طبقة إلى أخرى، فإن هناك نوعًا آخر من الحراك بين الأجيال في الحركات الاجتماعية والسياسية يقصد به انتقال جيل معيّن من دائرة العضوية وتلقي الأوامر إلى دائرة السلطة والقيادة، أي الانتقال من دور الجندية إلى دور القيادة.

> شكّلت ثورة الربيع العربي هوية جيلية فريدة للأفراد الذين عاصروا هذه الأحداث وتشكّل وعيهم السياسي والثقافي في ظلها، وقد شاركت قطاعات واسعة من هذا الجيل في الحراك السياسي والثوري

لقد شكّلت ثورة الربيع العربي هوية جيلية فريدة للأفراد الذين عاصروا هذه الأحداث التاريخية الكبرى وتشكّل وعيهم السياسي والثقافي في ظلها، وقد شاركت قطاعات واسعة من هذا الجيل في الحراك السياسي والثوري الذي صاحب الثورات العربية وما تلاها. وبهذا المعنى، فإن جيل ثورات الربيع العربي تتجمع فيه العناصر الأساسية لمفهوم الجيل السياسي[18]، وهي أولًا: المجموعة العمرية التي وُلدت في مرحلة زمنية معيّنة؛ أي مواليد عقدَي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. ثانيًا: التعرض لتأثير حدث أو أحداث تاريخية مهمة أثناء مرحلة التشكل والتكوين؛ أي اندلاع الانتفاضة الثورية ومعاصرة التطورات السياسية اللاحقة جميعها. ثالثًا: وعي أفراد هذا الجيل بوجود خصائص مشتركة تجمعهم، بحيث تشكّل ما يمكن أن نسميه "الهوية الجماعية للجيل". ووفقًا لريتشارد برونغارت ومارغريت برونغارت، فإن "زمرة معيّنة يمكن أن تتحول فتصبح جيلًا سياسيًا عندما يتكون وعي بين كثير من أفرادها بأنهم يرتبطون معًا؛ من خلال إدراكٍ ووعيٍ مشتركين بين المجموعة العمرية نفسها، وعندما يتحركون كقوة نشطة من أجل التغيير السياسي"[19].

يتكون الجيل السياسي لثورات الربيع العربي من أفراد ذوي أعمار مختلفة، يلتحقون بالحركات الاجتماعية والسياسية أثناء موجات الحراك الثوري والسياسي والشعبي. وليست فترة المراهقة بالنسبة إلى الأفراد هي فترة التكوين والتشكيل فقط، بل إنّ الانغماس في الحراك السياسي هو أساس التكوين والتشكيل خلال أيِّ عمر كان[20]. وقد عبّرت ظاهرة الناشطين السياسيين عن طموح جيل الألفية إلى المشاركة والانخراط في العمل السياسي، فهذه الظاهرة تعكس انخراط جماعات أو قوى شبابية مستقلة أو حزبية في الممارسة السياسية على نحو مباشر أو غير مباشر من أجل التغيير الاجتماعي[21]. وتبرز الظاهرة عندما يشارك الشباب في قضايا مثل التخطيط والبحث والتدريس، والتقييم، وصنع القرار، والعمل الاجتماعي، والدعوة، والقضايا البيئية، والعدالة الاجتماعية، وحملات حقوق الإنسان، ودعم قضايا اجتماعية وسياسية معيّنة بهدف إحداث التغيير الاجتماعي[22]. ويلاحظ أن الجيل السياسي يتضمن أنماطًا عدة من الحركات والبنى الشبكية، منها على سبيل المثال: حركات الشباب والطلاب المستقلة التي تسودها الروح الشبابية في القيادة والعضوية والأهداف، وفروع الأحزاب والقوى السياسية التي يظهر فيها تأثير القوى الشبابية وحضوره على نحو واضح. ويكون حضور هذه الكيانات والحركات مرتبطًا بظهور جيل سياسي معيّن ذي خصوصية وهوية مشتركة تجعل التقارب بين أبناء الجيل أشد وأقوى في كثير من الأحيان من العلاقة بين جيل الشباب والأجيال الأكبر سنًا في التنظيمات والحركات والأحزاب السياسية[23]. ويمكن أن نسمي الجيل الذي قاد الحراك حتى حدوث الثورات وشارك في صنعها "جيل الألفية"، وهو يتضمن المجموعة العمرية التي تبلور وعيها السياسي وهويتها الشبابية والسياسية بسبب التغيرات والأحداث الكبرى التي شهدها العالم العربي؛ منذ انتفاضة الأقصى المباركة في عام 2000 حتى ثورات عام 2011 وما تلاها من موجات ثورية وحراك شعبي وتفاعلات، أدَّت إلى ظهور مبادرات وحركات شبابية متنوعة طوال هذه الحقبة.

ويلاحظ أن الأنماط والشبكات الجديدة من المشاركة الجيلية تتسم بقدر عالٍ من المرونة والسيولة وضعف التنظيم، وسرعة

18 أحمد تهامي عبد الحي، **حراك الأجيال السياسية في مصر** (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2009)، ص 10.

19 Richard G. Braungart & Margaret M. Braungart, "Life-Course and Generational Politics," *Annual Review of Sociology*, vol. 12, no. 1 (1986), pp. 205-231.

20 Beth Schneider, "Political Generations in the Contemporary Women's Movement," *Sociological Inquiry*, vol. 58, no. 1 (1988), pp. 4-21.

21 Cynthia Hicks Giles, "Benefits of State Youth Council Membership as Perceived by Adult Advisors of North Carolina Youth Councils," Master thesis, North Carolina State University, USA, 2008, p. 11.

22 Adeyemo Lateef Kayode, "Youth Activism, Social Media and Nation Building," paper presented at IIUM graduate conference on youth activism, Malaysia, 15 April 2011, p. 3, accessed on 24/5/2018, at: https://bit.ly/2jpfrSI

23 Asef Bayat, *Life as Politics: How Ordinary People Change the Middle East* (Stanford: Stanford University Press, 2009), p. 18.

انتقال الناشطين فيما بينها، نظرًا إلى غياب أيديولوجيات واضحة أو تنظيمات محكمة. فالناشطون الشباب يتحركون بين المنظمات والأحزاب بحرية ومن دون قيود.

وفي بعض الأحيان، يفضل الشباب التخلي عن "يافطة" الأحزاب السياسية التي ينتمون إليها ويبادرون إلى الانضمام إلى حركات جديدة، ولكنهم قد يعودون مرة أخرى إلى تنظيماتهم إذا تعثر الكيان الجديد. ومن الضروري مراقبة التغيرات السريعة والمثيرة للاهتمام في عمليات تعبئة الشباب وتشكيل كياناتهم التي تتسم بالتقلب السريع وعدم الاستقرار وسرعة الصعود والهبوط، فقد تظهر حركات مؤثرة فجأة ثم تختفي أو تتراجع دراماتيكيًا، مثل ائتلاف شباب الثورة، وحركة تمرد ... إلخ. وهناك تبادل تأثير وتأثر مستمر بين الحركات والبنى الشبكية المختلفة في الأوساط الشبابية.

وعلى الرغم من أنّ الشباب أكثر حماسًا للتغيير والثورة وأكثر نشاطًا في الحركة الوطنية والسياسية، فإنهم عادة ما يكونون أقل قدرة على صياغة رؤية، وبرامج سياسية متكاملة؛ ولذلك يلاحظ أن الحركات الطلابية والشبابية التي تعبّر عن جيل الشباب غالبًا ما تخلق صلات قوية مع عدد كبير من رموز الجيل الوسيط، وعدد أقل من رموز جيل الشيوخ. والحقيقة أن جيل الثورة لا يقتصر على الشباب في المرحلة العمرية 15-30 سنة الذي عاصر الثورات من مواليد الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات، ولكنه يتسع لمراحل عمرية من أجيال أكبر سنًا من مواليد ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، وذلك إلى جانب بعض الرموز من جيل الشيوخ.

فالتدافع الجيلي لا يرتبط بالعلاقة بين جيلَي الشاب والشيوخ فحسب، بل بدور الأجيال الوسيطة أيضًا. فالشباب لديهم المُثل والتضحية والكثافة العددية، والكبار من الأجيال الوسيطة لديهم القوة والخبرة والحكمة، والتكامل والتعاون بين هذه الأجيال يساهمان في توفير أسس قوية لقيام الثورة وتطورها، ثم جاءت مراحل أخرى تغلبت فيها جوانب الصراع والخلاف. وكان خوسيه غاسيت قد أشار إلى أن مشكلة الأجيال تتركز بصفة أساسية على العلاقة بين مجموعتين إحداهما يراوح عمرها بين 30 و45 سنة، والأخرى بين 45 و60 سنة. واعتبر أن هذا الصراع يشكّل حقيقة تاريخية في أي وقت من الأوقات. كما اعتبر أن الشباب تحت سن الثلاثين يعيشون في مرحلة من الأنانية والغرور الرهيب، ولا يقومون بأي دور تاريخي إيجابي[24].

24 Jose Ortega Y. Casset, *Man and Crisis*, Mildred Adams (trad.), (New York: W. W. Norton & Company, 1958).

## ثانيًا: جيل الثورات

كان ارتباط جيل الثورة بالثورة عنيفًا وقويًا، وعندما حدثت الثورات تأثر الشباب - في مراحل التعليم من الثاني أو الثالث الإعدادي والثانوي وبدايات الجامعي - بها بقوة، وتشكل وعيهم في ظلالها، وقد تحرك كثيرون منهم في أجوائها سواء على صعيد المشاركة في الاحتجاجات أو المتابعة والوعي بالأحداث، ما يجعله جيلًا متميزًا قد تتجه وحداته الجيلية نحو تبنّي فكرة الثورة بوصفها مسارًا للتغيير والإصلاح والبناء، أو يكتسب خصائص سلبية مثل التكيف والمسايرة والانتهازية تمنعه من المساهمة في حلم التغيير الشامل. ولا شك في أن ذلك الجيل استفاد من الثورة، ولكنه أيضًا يعاني في ظلها، إذ فقَدَ تدريجيًا الثقة بالقيادات السابقة من الأجيال الأكبر سنًا أو حتى جيل الألفية الذي قاد حراك ما قبل الثورات. لقد كانت لدى القيادات والأجيال السابقة حسابات مرتبطة بالتنظيمات والأفكار والأيديولوجيات أشد تعقيدًا، بينما كان حلم جيل الثورة أوسع وأعمق جذرية ولم يتكيف مع الواقع بسهولة، فبحكم عذرية التجربة وروح التحدي والثورة لم يقبل الخضوع وقدّم التضحيات والشهداء ولكنه لم يصل إلى موقع القيادة.

لقد ارتبط الحلم والمشروع بالثورة فحسب، فكانوا هم الأكثر إخلاصًا لها، وجمعت فكرة الثورة بينهم حتى ألّفت رباطًا أقوى من الارتباط الأيديولوجي والمصالح، ثم جاءت الانكسارات المتوالية والصراعات الكثيرة ليفقد هذا الجيل براءته وينقسم بين تيارات واتجاهات متنوعة، بعضها يرتبط بالانتماءات الفكرية والأيديولوجية الأصلية، وبعضها يرتبط باختراقات ومصالح وتمويلات، وبعضها ترك السياسة والثورة وفضّل الهجرة أو الانسحاب من المشهد ولو مؤقتًا. ومع ذلك، يظل حلم الثورة وإعادة إحيائها قويًا وموجودًا.

لا شك في أن جيل الثورات لا يمكنه أن يصنع ثورة جديدة كل يوم، ولكنه يظل الجيل القادر على إيصال الفكرة والوعي وروح الثورة إلى جيل جديد من الأولاد والبنات الذين لم يعاصروا ثورات الربيع العربي أو يشاركوا فيها بفاعلية كأعضاء لصغر سنهم حينها.

## ثالثًا: أثر المتغير الجيلي في الحركات الاجتماعية والسياسية: التغير والاستمرارية

لا شك في أن العمليات الجيلية من حراك وتدافع داخل الحركات الاجتماعية تؤثر في طبيعة سياقات الانتقال السياسي والتغير

الاجتماعي وتتأثر بها. فالأحزاب والحركات السياسية والاجتماعية يمكن أن تستمر فترات طويلة قد تصل إلى عقود أو قرون ما دامت قادرة على التعبئة والحشد بمستويات عليا أو دنيا، ولكنها في الوقت نفسه تغير من خصائصها بمرور الزمن. فقد تكون الحركات السياسية رافضة للديمقراطية أو التعددية الحزبية في سياق تاريخي معيّن، ولكن تغير السياق ودخول زمر وأجيال جديدة إلى الحركة يدفعها إلى مراجعة المسلمات والفرضيات التي كانت تتبنّاها الأجيال المؤسسة وتقوم بعملية تجديد فكري وسياسي فتتبنّى منظورًا أكثر دعمًا للديمقراطية والتعددية الحزبية.

وفي الحقيقة، فإن تفسير التغيير والاستمرارية في الحركات السياسية والاجتماعية يمكن أن يتم من خلال ثلاث مقاربات أساسية:

أولها: نموذج العملية السياسية الذي يفسر التغيير والاستمرار ودورات الظهور والنمو وفقًا للسياق السياسي السائد وما يؤدي إليه من تغير في تكتيكات الحركة والمناورة السياسية. ويتم ذلك من خلال تأكيد أهمية القوى والعوامل الخارجية (خارج الحركة)، مثل بنية الدولة والتحالفات والمناورات السياسية ودور النخبة والموارد المحلية والخارجية وتكتيكات الحركة السياسية.

ثانيها: المقاربة المؤسسية التنظيمية لتفسير الاستمرارية والتغيير في الحركات الاجتماعية وتحليلها وفقًا لقدرتها على تعبئة الموارد البشرية والتنظيمية، وخصائص البنية التنظيمية والأيديولوجية والثقافية، والحفاظ على شرعيتها في بيئة معادية أو متغيرة، واستمرارية العضوية أثناء فترات التوقف والتجمد.

ثالثها: المقاربة الجيلية والإحلال بين الزمر داخل الحركة بالتركيز على العمليات الجيلية وديناميات التجنيد والهوية المشتركة إلى جانب تأكيد العمليات السياسية والعوامل التنظيمية[25].

وفي الواقع، إن التغير في الفرص السياسية يوفر قوة دافعة للتغيير في الحركات الاجتماعية، أما العمليات الجيلية من تجنيد سياسي وحراك للزمر فإنها تعتبر بمنزلة الآلية التي يظهر من خلالها التغيير على مستوى التحليل الجزئي. إن الحركات الاجتماعية تتكون من زمر متعددة تشمل الأعضاء الدائمين والمجندين حديثًا، وفي الواقع، فإنّ الأعضاء الدائمين يشكلون النواة الصلبة الملتزمة على المدى الطويل[26].

وتمثل هذه العضوية الدائمة والصلبة متغيرًا داخليًا أساسيًا يضمن الاستمرارية ويعززها. وإلى جانب هذه النواة الصلبة، فإن كثيرًا من المجندين الجدد يدخلون بمعدلات مختلفة، وعلى الرغم من أن الأعضاء الجدد يحملون المسلمات والأهداف نفسها التي لدى سلفهم من أعضاء النواة الصلبة، فإنهم قد يختلفون عنهم. وبناءً على هذا، فإن التجنيد والحراك يساعدان في إحداث التغيير في الحركات الاجتماعية. إنّ هاتين العمليتين (وجود الأعضاء الدائمين الملتزمين واستمراريتهم من جهة، ودخول أعضاء جدد وتجنيدهم من جهة أخرى) تجسران الفجوة بين القضايا النظرية والعمليات السياسية التي تشكّل عملية التجنيد وتحليل التفاعل بين بيئة التعبئة الجيلية وبناء الهوية المشتركة. ويوجد العديد من الاختلافات بين الزمر، بحيث إنّ دخول زمر جديدة إلى الحركة يسهم في حدوث التغيير والتحول[27].

وتسمى المجموعات الأشد تقاربًا داخل الجيل السياسي "الزمر الصغيرة" Micro-cohorts، وهي تكوينات عنقودية من الأعضاء الذين ينضمون إلى الحركة الاجتماعية في مدى عام أو عامين، ويتشكلون من خلال خبرات تكوينية متميزة تختلف بتغير السياق السياسي. وميزة هذا المفهوم أنه يجعل الفترة التي تتحدد فيها الزمر والتفاعلات داخل سياق معيّن أقصر وأشد تحديدًا، بما يؤدي إلى بلورة منظور مشترك للأفراد. ويتضمن الجيل السياسي كل الزمر الصغيرة التي تشارك في موجة معيّنة من الاحتجاج. وعلى الرغم من أن الزمر الصغيرة - التي تصنع جيلًا سياسيًا متميزًا - تختلف عن بعضها، فإن رؤاها وتصوراتها تتداخل نتيجة التشابهات الأساسية في الخبرات الحركية[28].

## 1. الافتراضات الأساسية لمقاربة الجيل السياسي

### أ. الافتراض الأول

تبقى الهوية الجماعية لزمرة معيّنة من ناشطي الحركة الاجتماعية ثابتة بمرور الزمن، بما يحقق للحركة استمراريتها[29]. فلكل جيل عناصر معيّنة تميز أفراده جميعًا أيديولوجيًا، ويستمر تميزهم طوال حياتهم من أجيال أخرى، ممن لم يمروا بالخبرات نفسها[30].

وفي الحقيقة، إن أثر الزمرة ووحدة الجيل لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الاحتفاظ بمرجعيتها ومنظورها مستمرًا على مدار الزمن على

25 Nancy Whittier, "Political Generation, Micro-Cohorts, and the Transformation of Social Movement," *American Sociological Review*, vol. 62, no. 5 (October 1997), p. 760.

26 Braungart & Braungart, pp. 1-8.

27 Whittier, p. 761.

28 Ibid., p. 762.

29 Ibid., p. 763.

30 ألين س. كوهين وسوزان أ. وايت وشريف بهلول، "آثار التنشئة القانونية علي التحول نحو الديمقراطية"، **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** (اليونسكو)، العدد 152 (حزيران/ يونيو 1997)، ص 29.

الرغم من دورة الحياة وتغيرات المرحلة. وتبيّن الدراسات السابقة، وخصوصًا أعمال كينت جينينغز، أن الناشطين المتمرسين من حركة احتجاج جيل الستينيات احتفظوا بمعتقداتهم السياسية والمشاركة لعقود بعد ذلك، وذلك على الرغم من بعض التغيرات التي حدثت لهم، مثل: تبنّي نمط أيديولوجي أشد اعتدالًا أو تبنّي منهج الإصلاح الاجتماعي بوسائل مختلفة[31]. كما أظهرت الدراسات أنّ ناشطي اليسار الجديد في الدول الغربية احتفظوا بتميزهم من زملائهم غير الناشطين، من حيث الأيديولوجيا الراديكالية، والمشاركة الواسعة في السياسة التقليدية والاحتجاج، والدخول المنخفضة، وانخفاض معدل الزواج وارتفاع معدلات الطلاق.

إنّ التزامات وحدة الجيل السياسي تستمر على مدار الزمن؛ ومن ثم تتسم الزمر النشطة باستمرار الهوية الجماعية التي تتكون من خلال التفاعلات الأولية داخل الحركات الاجتماعية. ويبقى الأعضاء ملتزمين سياسيًا ونشِطين؛ لأنهم يستبطنون الهوية الجماعية التي تربط بين إحساسهم بذواتهم وبين عضويتهم النشطة لمجموعة سياسية. وفي السنوات التالية تستمر الهوية الجماعية للزمرة في تميزها؛ بسبب الظروف السائدة داخل الحركة الاجتماعية وخارجها[32].

## ب. الافتراض الثاني

تُكوّن الزمر المختلفة هويات جماعية مختلفة تبعًا لتغير السياق الخارجي والظروف الداخلية للحركة في الوقت الذي ينضمون فيه إليها، وتوجد الاختلافات في الهويات الجماعية بين الأجيال السياسية التي انغمست في كل موجة من الاحتجاج، وبين الزمر الصغيرة داخل كل جيل سياسي. بمعنى آخر، تنشأ للزمر هويات جماعية مختلفة على أساس البيئة الخارجية والظروف الداخلية[33]. ويلاحظ أن نظريات الأجيال السياسية تؤكد الاختلافات بين الزمر، إلى جانب استمرارية الهوية الجماعية للزمرة[34]. وهكذا تتعدد الأجيال، والزمر الصغيرة داخل الأجيال، ويحتفظ كل منها بهوية جماعية مختلفة عن الأخرى، ويتأسس ذلك الاختلاف على طبيعة السياق الذي انضمت فيه الزمرة الصغيرة إلى موجة معيّنة من الموجات التي مرت بها حركة الاحتجاج.

31 M. Kent Jennings, "Residues of a Movement: The Aging of the American Protest Generation," *American Political Science Review*, vol. 81, no. 2 (June 1987).

32 Whittier, p. 763.

33 Ibid., pp. 763-764.

34 لمزيد من التفصيل، انظر:
Joseph R. DeMartini, "Change Agents and Generational Relationships: A Reevaluation of Mannheim's Problem of Generations," *Social Forces*, vol. 64, no. 1 (1985), pp. 1-16.

## ج. الافتراض الثالث

يساهم الإحلال بين الزمر في إحداث التغيير في الحركات الاجتماعية والسياسية. فأثناء فترات تنامي التجنيد وتغير العضوية، يتوقع حدوث تغييرات على مستوى عالٍ في المنظمات المتنامية، وفي مجال تعدد المنظمات، وفي مجال الهوية الجماعية للحركة[35].

وإذا كانت الخصائص الأساسية للزمرة تبقى ثابتة، وإذا كانت الزمرة المختلفة لديها هويات جماعية مختلفة، فيترتب على ذلك أن عملية التجنيد أو دخول أعضاء جدد يؤدي إلى حدوث التغيير في الحركات الاجتماعية. وقد جرى تحليل عملية الإحلال بين الزمر، فربما تغادر النخب الأولى، أو تفقد سيطرتها على التنظيم، ويحل محلها الأعضاء الجدد. ويحدث التغيير في المؤسسات والمنظمات بسيطرة زمرة معيّنة على مقاليد الأمور. وفي الحقيقة، فإن مستوى التغيير ليس متماثلًا بين مختلف المنظمات؛ إذ يلاحظ في المنظمات الرسمية التي تمّ التركيز عليها في الدراسات، مثل الشركات والأجهزة البيروقراطية للدولة، أن نظم الأقدمية والترقيات تقلل من سرعة وصول القادمين الجدد إلى مراكز السلطة.

وهذا التغيير البطيء يسمح للخبراء بالقيام بعملية تنشئة أقوى، ما يؤدي إلى استمرارية أطول للمنظمة ولكنها تحد من التغيير التنظيمي. وعلى العكس من ذلك، فإن الحركات غير المركزية وغير الهيراركية لا يمكنها أن تتحكم بفاعلية في نتائج عملية التجنيد؛ إذ يمكن للأعضاء المستمرين فترة طويلة أن يفقدوا سلطتهم لمصلحة الأعضاء الجدد. وإلى جانب ذلك، ترصد نانسي ويتير عوامل أخرى تؤدي إلى مزيد من التغيير السريع في الحركة، مثل العوامل الخارجية التي تعزز نمو الحركة، والخصائص الداخلية، مثل: الاعتماد على العضوية المؤقتة، وقواعد تغيير الرؤساء الشائعة في المنظمات النسائية الراديكالية، وزيادة الطلب على العضوية، ما يؤدي إلى الوصول بسرعة والخروج من الحركة (سرعة الدخول والخروج). وعلى الرغم من كون الإحلال بين الزمر مصدرًا محتملًا للتحول المؤسسي، فإن بنية الحركة الاجتماعية تؤثر في معدل الإحلال بين الزمر، بما يسهم في التغيير أو الاستمرار. فالتغيير بين الزمر، كما ترى ويتير، هو عاملٌ من بين عوامل عدة تساهم في إحداث التغيير في الحركات الاجتماعية، من بينها التغير في البيئة الخارجية، أو أن يقوم الناشطون بتغيير إستراتيجياتهم من دون حدوث إحلال بين الزمر[36].

35 Whittier, p. 764.

36 Ibid.

## د. الافتراض الرابع

تتعدد الزمر التي تدخل الحركة الاجتماعية خلال جيل واحد، ويكون دخول كل زمرة في شكل موجة معيّنة مرتبطًا بالسياق الخارجي والظروف الداخلية للحركة. وعلى الرغم من تعدد الزمر، فإن هناك خصائص مشتركة وتداخل بينها؛ ما يجعل بعضها يؤثر في بعضها الآخر. وتظهر الفجوة بين جيلين سياسيين. وبحسب كينيث ميكنيل، فإنّ الفجوات الجيلية تظهر عندما توجد فترة معيّنة لا تنضم فيها إلى الحركة زمر أو تكوينات عنقودية جديدة، ما يخلق مسافة كبيرة بين الزمر والتكوينات العنقودية داخل الجيل نفسه[37]. ويرى فيرتا تايلور أن الفجوة تظهر أثناء فترات عدم الفاعلية أو تعطل النشاط، وينتج منها اختلافات حادة في الهويات الجماعية بين عنقود معيّن من النخب الصغيرة التي تشكّل، سياسيًا، جيلًا معيّنًا وبين عنقود آخر من النخب الصغيرة التي تشكّل جيلًا سياسيًا جديدًا[38].

والخلاصة أن دخول زمر أو تكوينات عنقودية جديدة إلى الحركة قد يؤدي إلى تغيير توجهاتها وهويتها الجماعية، وبناءً عليه تتغير الإستراتيجيات والتكتيكات والثقافة السياسية والبنية المؤسسية. وفي الحقيقة، إن مستوى التغيير في الحركة الاجتماعية وعمقه يتوقفان على سرعة الإحلال بين الزمر التي لا تختلف من حيث أعداد الأعضاء الذين يتم تجنيدهم فحسب، بل من حيث البنية التنظيمية والثقافة، والتنافس والجدل بين الأعضاء القدامى والمجندين حديثًا أيضًا. فالناشطون القدامى ربما تكون لديهم القوة المنظمة التي تبقي سيطرتهم على الرغم من التحديات، والأعضاء الجدد ربما تكون أعدادهم قليلة؛ ما يضعف من تأثيرهم. كما يتوقف الأثر الذي ينتج من إحلال الزمر في تغيير تنظيم الحركة الاجتماعية على الذاكرة التنظيمية، أو فاعلية مخزن المعلومات والاسترجاع، بما يسمح للناشطين اللاحقين بالتعلم من خبرات السابقين[39].

ولذلك، يمكن أن نتوقع درجة أكبر من الاستمرارية - على الرغم من تغير الزمر - في المنظمات التي تصوغ برامج تدريب لأعضائها الجدد، وهناك ذاكرة تاريخية تعمل بكفاءة[40].

إن الموجة الأولى للأعضاء المؤسسين للحركة قد تقوم بصياغة رؤية فكرية وحركية ومؤسسية تدور حول هويتها الجماعية ويتمّ نقلها إلى الأجيال اللاحقة، ما يؤدي إلى استمرارية أطول. وفي المقابل، وفي بعض الحركات الاجتماعية الأخرى، فإن الناشطين القدامى قد يغادرون منظمات الحركة الاجتماعية، ما يفتح المجال أمام المشاركين الجدد.

إن التغير في الزمر ربما يـؤدي إلى تعزيز الابتكار والإبــداع في الإستراتيجيات والبنى التنظيمية والهوية الجماعية. وفي المقابل، ربما يكون للتغير في الزمر آثار محدودة بشأن التغيير في الحركة؛ لأسباب قد يكون من بينها أنّ الظروف الخارجية تفرض إستراتيجية معيّنة، أو أنّ الهوية الجماعية غير مهمة إلى حد ما في تحديد مسار الحركة، أو أنّ الهوية الجماعية ضعيفة نسبيًا، أو بسبب وجود قدر أقل من الاختلافات بين الزمر، أو بسبب محدودية الإحلال بين الزمر أيضًا[41].

ويرتبط فهم الاستمرارية والتغيير في الحركات السياسية والاجتماعية بعدد من المتغيرات الأساسية التي تؤثر في دور الزمر في إحداث التغيير؛ مثل دور الناشطين القدامى، والاختلافات بين الزمر في هوياتهم الجماعية، والمدة التي تستغرقها عملية الإحلال بين الزمر، وتقاطع ذلك الإحلال مع التغيرات السياسية الخارجية والثقافية والتنظيمية.

ويمكن تطبيق تلك المقولات على بعض الحركات الاجتماعية والسياسية التي تبنَّت الخيارات الثورية، وانتهجت وسائل إصلاحية أو ثورية، أو جمعت بينهما، في دول الربيع العربي. إن الموجة الأولى للأعضاء المؤسسين لحركة سياسية مثل جماعة الإخوان المسلمين، تقوم بصياغة رؤية فكرية وحركية ومؤسسية تدور حول هويتها الجماعية، ويتم نقلها إلى الأجيال اللاحقة، ما يؤدي إلى استمرارية أطول. وفي المقابل، فإن الناشطين القدامى في بعض الحركات الاجتماعية الأخرى يغادرون منظمات الحركة الاجتماعية؛ ما يفقد الحركة تماسكها، ويسمح بمرونة أكبر في الفكر والممارسة مرتبطة بطبيعة المشاركين الجدد، ويظهر ذلك في حالة التيارات اليسارية في مصر.

وتعتبر العمليات الجيلية شديدة التأثير في مستويات التعبئة المختلفة داخل الحركة، فأثناء الدرجات الدنيا من التعبئة، كما هي حال الحركات السياسية قبل كانون الثاني/ يناير 2011، ربما يؤدي وجود التزامات قوية من الأعضاء القدامى نحو الحركة، ومعدل تجنيد منخفض، إلى استمرارية أطول، ولكنها استمرارية تتسم بجمود تنظيمي وفكري وعدم فاعلية.

أما أثناء فترات الصعود والتعبئة الواسعة التي تحدث في سنوات ما بعد الثورة وما يرتبط بها من موجات ثورية، فإن نجاح عملية

37 Kenneth McNeil & James D. Thompson, "The Regeneration of Social Organizations," *American Sociological Review*, vol. 36, no. 4 (1971), pp. 624-637.

38 Whittier, p. 771.

ولمزيد من التفصيل، انظر:

Verta Taylor, "Social Movement Continuity: The Women's Movement in Abeyance," *American Sociological Review*, vol. 54, no. 5 (1989), pp. 761-775.

39 Whittier, p. 775.

40 لمزيد من التفصيل، انظر:

James P. Walsh & Gerardo Rivera Ungson, "Organizational Memory," *Academy of Management Review*, vol. 16, no. 1 (1991), p. 67.

41 Whittier., p. 776.

تجنيد أعضاء شباب جدد يخلق درجة أعلى من إحلال الزمر، ما يسهم في حدوث تغيير سريع في الحركة؛ وبناءً على ذلك، يمكن أن تظهر خلافات بين الزمر الصغيرة كل عدة سنوات. وفي الحصيلة؛ في حالة انتقال الحركة الاجتماعية من حالة الجمود واللافاعلية إلى حالة التعبئة والتجدد، وفي ظل قيام الجيل الأكبر من الأعضاء القدامى بإعطاء المشعل للأعضاء الجدد، يصبح التدافع الجيلي، بما يتضمنه من اختلافات وصراعات جيلية، هو الأمر الأهم[42].

إن التغير في الزمر ربما يؤدي إلى تعزيز الابتكار والإبداع في الإستراتيجيات والبنى التنظيمية والهوية الجماعية[43]؛ ولذلك تظهر إشكالات ومناقشات واسعة حول قضايا معقدة من علاقة الحركة بالحزب السياسي، ومستقبلها بوصفها حزبًا سياسيًا أو جماعة ضغط أو حركة اجتماعية، أو حول الإستراتيجيات وأساليب التغيير بين المنهج التقليدي الإصلاحي أو المنهج الثوري أو الثوري العنيف.

## 2. افتراضات حول طبيعة التفاعلات المتبادلة بين المتغير الجيلي وسياق الانتقال الديمقراطي

تظهر أهمية معدل التغيير الاجتماعي وسرعته في تحقيق وضعية الجيل من حقيقة أن المجتمعات التي تتسم بالجمود الواضح وبطء التغيير، مثل مجتمعات الفلاحين، لا تشهد وجود ظواهر مثل وجود جيل جديد منفصل انفصالًا حادًا عن الأجيال التي سبقته. فالتغيير يكون تدريجيًا وبطيئًا جدًا؛ حتى إنّ الأجيال الجديدة تتطور بالنظر إلى الجيل السالف، أو ما سبقها من الأجيال، من دون انقطاع أو صراع. وكل ما يمكن أن يحدث هو اختلافات بيولوجية وجيلية فقط (بالمعنى العائلي والديموغرافي)، يقوم على أساس العمر ودورة الحياة. ومثل هذه العوامل البيولوجية مؤثرة بطبيعة الحال في المجتمعات الحديثة أيضًا، فالشباب ينجذبون إلى نظرائهم من الشباب، وكذلك كل مجموعة عمرية نحو الأخرى. ولكن الجيل لا يظهر على أساس هذا العامل البسيط من الانجذاب بين أعضاء المجموعة العمرية نفسها. وهكذا؛ كلما تسارعت معدلات التغير الاجتماعي والثقافي، تعاظمت فرص تفاعل مجموعات جيلية معيّنة من هذا التغيير منتجة أسلوبها الخاص في الحياة[44].

وفي الحقيقة، إن ظواهر معيّنة مثل انتشار القومية والتصنيع، ثم العولمة والإنترنت والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي في الوقت الراهن، تبين جميعها تكسير الحواجز بين الأجيال، وفي الوقت نفسه، يزيد التغيير الاجتماعي السريع أهمية الحواجز الزمانية والمؤقتة Temporal بين الأجيال. ويجعل أثر هذا التطور الأخير الاتصال بين الأجيال السياسية المختلفة أكثر صعوبة، بينما يزيد أثر التطور الأول من أهمية انخفاض القدرة على الاتصال. وما زالت الآثار البعيدة المدى لهذه التداعيات، في معاني الاتصال داخل النظم السياسية والأجيال وبينها، في حاجة إلى اهتمام[45].

ويؤثر التقدم في وسائل الاتصال في العلاقة بين الأجيال، فلا شك في أن وسائل الإعلام تؤثر في التنشئة السياسية والاجتماعية للأطفال؛ ومن ثمّ في سلوكهم السياسي المستقبلي. لقد كانت الأجيال الكبيرة بعيدة نسبيًا عن السياسة والشؤون العامة قبل تقدم وسائل الاتصال[46]. وقد فقد الآباء سيطرتهم على تعليم أطفالهم لمصلحة التلفزيون الأقوى والأشد تأثيرًا[47].

ويُعد الحراك الجيلي من أبرز قنوات التغيير في الواقع الاجتماعي والسياسي وآلياته، كما أنه نتيجة له في الوقت نفسه. ويمكن تحليل التجدد الحضاري والتغيير في النظم والحركات السياسية والاجتماعية من خلال مقاربة التدافع الجيلي التي تركز على العمليات الجيلية وديناميات التجنيد والهوية المشتركة، وذلك إلى جانب المقاربات الأخرى، مثل: الفرص السياسية والقدرات التنظيمية والمؤسسية[48]. وفي الواقع، يوفر التغيير في الفرص السياسية قوة دافعة للتغيير والتدافع الداخلي، أما العمليات الجيلية من تجنيد سياسي وحراك للزمر والوحدات الجيلية، فهي تُعد بمنزلة الآلية التي يظهر من خلالها الانتقال السياسي والديمقراطي وتحولاته.

وفي هذا الصدد، يقوم النسق الثقافي والسياسي المستقر عبر الزمن بنقل القيم والاتجاهات إلى الأجيال الجديدة من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية، بما تتضمنه من قيم ومقولات واتجاهات تعزز التوجهات الديمقراطية أو تعاديها. وفي المقابل، إن الثورة بوصفها حالة قطيعة مع هذا النسق القائم، لها آثار جيلية يمكن رصدها في عملية التحول الديمقراطي، كما تفتح ساحة للتكوين السياسي والتدريب وإكساب القيم السياسية الجديدة، بما يخلق قوة دفع للحراك الجيلي بين أجيالٍ جاءت تنشئتها ضمن النسق الثقافي المستقر (الثقافة

42 Ibid., p. 775.

43 Ibid., pp. 775-776.

44 Mannheim, p. 14.

45 Marvin Rintala, *The Constitution of Silence: Essays on Generational Themes* (Westport: Praeger, 1979), p. 20.

46 William Greider, *Who Will Tell the People: The Betrayal of American Democracy* (New York: Touchstone, 1992). pp. 307-308.

47 Ibid., p. 311.

48 Whittier, pp. 760-761; Jennings, pp. 367-382.

السياسية السائدة في بلداننا العربية قبل الثورات مثالًا)، وأخرى جاءت تنشئتها مع اضطراب هذا النسق ومراجعته الجذرية.

ويرتبط التجدد الحضاري والسياسي والثوري بالتغيير والتحولات في النسق الثقافي والسياسي ومنظومة القيم بمنهجية مقصودة أو غير مقصودة. ويأتي الحراك والتدافع بين الأجيال في إطار المتغيرات والتحولات التي يمكنها أن تساهم في إطلاق سياق التحول والانتقال الإصلاحي أو الثوري، أو تعديله. ويمكن أن يساهم التدافع الجيلي في بلورة توجهات جديدة وتقديم اجتهادات سياسية ورؤى فكرية وإستراتيجية مختلفة عن النمط السائد الذي يتسم بالجمود أو عدم الفاعلية، بل إن فهم طبيعة الأصول والثوابت نفسها وإدراكها يتعرضان للتقييم المستمر والمراجعة الدائمة حتى يتبين الحقيقي من الزائف والمستدام من المؤقت والإستراتيجي من التكتيكي.

وهناك علاقات تفاعل متبادلة ومعقدة بين المتغير الجيلي وسياقات التغيير السياسي والانتقال الديمقراطي الإصلاحي أو الثوري، والمتغير الجيلي يمكن أن يكون متغيرًا مستقلًا أو تابعًا في التحليل؛ فالحراك الجيلي باعتباره متغيرًا مستقلًا يمكن أن يكون دافعًا بقوة أو معوقًا لعملية الانتقال الديمقراطي في سياق محدد. وفي المقابل، يمكن أن يكون الجيل متغيرًا تابعًا تؤثر فيه النظم السياسية السلطوية أو الديمقراطية؛ من خلال غرس قيم وتوجهات أكثر ديمقراطية لدى الأجيال الجديدة، بما يعيد تشكيل رؤيتها للعالم وتعديل سلوكها السياسي تجاه النظام السياسي أو الأحزاب والحركات الاجتماعية والسياسية.

وفي الواقع، يتبادل كلٌّ من الظروف والفرص السياسية المتاحة من جهة، وإستراتيجيات الفاعلين من رموز وقيادات الأجيال الجديدة من جهة أخرى، التفاعل والتأثير لإنتاج حالةٍ ووضع سياسي معيّن، وتتزايد أهمية الحراك الجيلي وفاعليته باعتباره متغيرًا مستقلًا في سياقات الانتقال عندما تتوافر شروط أساسية، أبرزها ظهور الجيل السياسي الذي يمتلك وعيًا جيليًا متقدًا، وهوية جيلية متبلورة، ورموزًا وقيادات فاعلة ونافذة. فعندها يصبح الحراك الجيلي بمنزلة المتغير المستقل القادر على صناعة التغيير والتأثير في العمليات السياسية؛ وهو ما يتجلى في لحظة الثورة، على سبيل المثال. وفي المقابل، تتسم مراحل الاستقرار والجمود بتابعية متغير الجيل أو غيابه كليًا، فقد يعلو تأثير متغير النظام السياسي كفاعل في التعبئة والتنشئة والثقافة السياسية المتوارثة. أما مرحلة التحول الديمقراطي، فتشهد تبادل التأثير والتفاعل والانتقال من الاستقلال إلى التبعية بين الحراك الجيلي والنظم والثقافة السائدة؛ بحيث تصبح النهايات مفتوحة إما تجاه انتقال وتحول ديمقراطي أو ثوري، وإما تجاه عودة إلى الوضع القديم والجمود.

ويرتبط الانتقال الديمقراطي بطبيعة القيم والاتجاهات والأفكار التي تكتسبها الأجيال الجديدة، والتي تساهم في انطلاق عملية التحول الديمقراطي وتواصلها حتى تصل إلى مرحلة الترسيخ والاستقرار. وعلى العكس من ذلك؛ قد يكون أبرز أسباب فشل عملية التحول الديمقراطي هو عدم قدرة الأجيال السياسية المختلفة على استيعاب المعاني والقيم والتوجهات المرتبطة بهذه العملية وترسيخها في النفوس. ويكشف ذلك عن صعوبة عملية الانتقال الديمقراطي؛ فقد تبدأ العملية نتيجة فرص أو تحولات معيّنة في البيئة السياسية، ولكن منظومة القيم والأفكار والتوجهات المضادة للتحول الديمقراطي التي تتوارثها الأجيال السياسية تكون من القوة والرسوخ على نحو تهيمن فيه على سلوك الأجيال الجديدة وأدائها في السياق الانتقالي، بما يؤدي في النهاية إلى التعثر والنكوص والتراجع من حالة التحول الديمقراطي إلى الحالة السابقة عليها من الاستبداد؛ سواء على مستوى النظام السياسي، أو على مستوى الحركات والأحزاب السياسية.

> يرتبط الانتقال الديمقراطي بطبيعة القيم والاتجاهات والأفكار التي تكتسبها الأجيال الجديدة، والتي تساهم في انطلاق عملية التحول الديمقراطي وتواصلها حتى تصل إلى مرحلة الترسيخ والاستقرار

وبهذا المعنى، فإن مسألة الثقافة السياسية الجيلية ضرورية للتحول الديمقراطي من خلال غرس القيم والاتجاهات الديمقراطية وتعزيزها، بما يتضمنه ذلك من تطوير السلوك التفاوضي للنخب الشابة في مراحل الانتقال، وتشكيل القناعات حول صور التنظيم السياسي الديمقراطي، وبناء التحالفات لدعم الديمقراطية، وتحديد وجهات المنافسة السياسية وعناصر بناء الخطاب السياسي المخاطب للجماهير.

ويمكن النظر إلى العلاقة بين حراك الأجيال والانتقال الديمقراطي من مستويات عدة، أولها أن أبرز محددات العلاقة بين الجيل والانتقال الديمقراطي تتمثل بالنظام السياسي والثقافة السياسة، ولا شك في أنّ هناك ارتباطًا بين طبيعة الثقافة السياسية السائدة في مجتمع ما وطبيعة النظام السياسي القائم فيه. كذلك يعبّر نمط الحراك الجيلي داخل النخب، كمتغير تابع، عن نظام القيم في المجتمع ومدى انسجامه أو تناقضه، كما يعبّر عن الدرجة والنوع بالنسبة إلى ديمقراطية النظام السياسي.

ثمّ إن الجيل، كمتغير مستقل، يؤثر في تغيير الثقافة السياسية والتحول الديمقراطي والمشاركة السياسية واستقرار النظام، بل يمكن دراسة التنمية السياسية من خلاله. فالتغير الجيلي، وفقًا لمانهايم، يؤدي إلى حدوث تغييرات سياسية واجتماعية، وإن كان هو في الأصل ردة فعل، أو استجابة، للتغيرات المجتمعية؛ ولذلك عدّه بمنزلة نذير بعدم استمرارية العملية الاجتماعية أو تغييرها.

ترتبط ظاهرة الحراك الجيلي السلمي بنوعية معيّنة من النظم السياسية هي الأنظمة الديمقراطية التي توفر آليات الحراك الجيلي وصعود قيادات جديدة عن طريق الانتخابات الحرة، بينما ترتبط أزمة الحراك الجيلي بالنظم السلطوية التي تقوم فيها عملية الإحلال بين الأجيال في النخبة السياسية الحاكمة عن طريق الوراثة أو الانقلابات العسكرية أو التدخل الخارجي، في حين تعاني النخبة السياسية المعارضة تكلسًا وجمودًا، وسيطرة جيل الشيوخ، وعدم إتاحة الفرصة للأجيال الشابة والوسيطة.

وعلى الجانب الآخر، فإن حدوث الحراك الجيلي لا يعني بالضرورة بروز جيل أكثر ديمقراطية من الجيل الأكبر سنًا، فالثقافة السياسية العابرة للأجيال قد تكون أقوى وأشد وأرسخ، بحيث تنتقل بأمراضها وفيروساتها إلى الأجيال الجديدة؛ فلا يكون الحراك الجيلي إلّا تغييرًا في وجوهٍ وإحلال نخبةٍ محلَّ أخرى، أو تغييرَ وجوهٍ جديدة محل الوجوه القديمة، وليس تغييرًا في أنماط التفكير أو السياسات.

وفي هذا الصدد تبرز أهمية القيم والاتجاهات السياسية التي تقوم النظم السياسية بترسيخها عبر وسائل التنشئة السياسية ومؤسساتها، فالقيم التي ترسخها النظم التسلطية والقومية في عقول النشء والأجيال المختلفة تجعلها تقاوم باستمرار أفكار التغيير والديمقراطية؛ مثلما حصل في المرحلة الناصرية، بينما كان الجيل السياسي الذي نشأ في العهد شبه الليبرالي الذي غُرست فيه قيم الحرية والممارسة السياسية التعددية، أكثر ميلًا إلى عملية التحول الديمقراطي وأكثر قبولًا بها.

وتكمن الإشكالية في تكوين الرؤى والأفكار وصياغتها لدى الأجيال الجديدة، ومدى قدرتها على تحقيق الاتساق بين مكوناتٍ وقيمٍ واتجاهاتٍ متعددة في العقول والقلوب. فالقيم والاتجاهات الديمقراطية ليست منفصلة عن غيرها من القيم والأفكار الكبرى؛ من قبيل الحرية، والعدل، والاستقلال. وتختلف الوحدات الجيلية في ترتيب هذه القيم والأهداف وفقًا لسلّم معيّن من القيم، يختلف باختلاف الأيديولوجيات والسياق السياسي. فهناك من يرفع من أولوية قيم الحرية والليبرالية السياسية على ما عداها، ما يجعلها أقرب إلى وحدة الجيل الليبرالية داخل الجيل نفسه، ومن يرفع من أولوية قيم العدالة الاجتماعية وعدالة التوزيع يكون أكثر ارتباطًا بوحدات الجيل اليسارية، ومن يرفع من قيم الوطنية والاستقلال على ما عداها يعكس توجهات القسم القومي من الجيل السياسي، ومن يرفع من قضية الهوية والانتماء الديني يعبّر عن وحدات الجيل الإسلامية أو المسيحية أو اليهودية.

وتزداد الإشكالية عمقًا عندما يبرز التضارب بين القيم الديمقراطية وقيم الاستقرار أو الاستقلال. فقيم الاستقرار والخوف على بقاء الدولة والمجتمع، تدفع بعض الفئات إلى التنازل عن قيم الحرية. وقيم الاستقلال ومواجهة الأعداء المتربصين تدفع بعض النظم إلى ادعاء أنّ الديمقراطية، أو الحرية، بابٌ يلج الأعداء من خلاله.

## رابعًا: التنشئة والتجنيد السياسيان وأثرهما في الجيل السياسي

ترتبط عمليتَا التنشئة والتجنيد السياسيتَين بعملية الحراك الجيلي في النظام السياسي والأحزاب، وتعتبر دراسة التنشئة السياسية من أهم المقاربات المفيدة في فهم الاستقرار أو التغيير السياسي؛ فالتنشئة السياسية هي عملية يتم من خلالها حفظ بقاء الثقافة السياسية أو تغييرها[49]. ويمكن النظر إلى الحركات والقوى السياسية بوصفها هيئة من هيئات التنشئة، ويمكن أن تقوم هذه الهيئات بغرس القيم الديمقراطية في المجتمع والدولة؛ وذلك من خلال إسهامها في عملية التنشئة السياسية، ومن خلال ممارسة الديمقراطية داخل الحزب[50]. وتختلف الوظائف والنشاطات لتلك القوى والحركات بحسب السياق السائد في الدول التي تعمل بها، كما تختلف وظائفها وفقًا للمجال الحضاري وموقعها من دول العالم على الخط المتصل بين الديمقراطية والشمولية؛ لذلك قد يكون من أهم الوظائف التي يفترض أن تقوم بها الحركات والأحزاب في مرحلة الانتقال والتحول الديمقراطي هي التنشئة السياسية، وتشجيع المشاركة السياسية وبث قيم الحرية[51]. ولكنّ خبرة تجربة ما بعد الربيع العربي تشير إلى أزمة في فهم المفهوم الديمقراطي نفسه وتفسيره، فقد غاب التوافق حول المضمون، ومال كل طرف إلى تفسير الديمقراطية وقيمها وفقًا لما يخدم هدفه في الوصول إلى السلطة، حتى لو كان ذلك على حساب "جثة" الديمقراطية.

---

49 عبد السلام نوير، **المعلمون والسياسة في مصر** (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2001)، ص 34.

50 عبد المنعم المشاط، **التربية والسياسة** (القاهرة: دار سعاد الصباح، 1992)، ص 118-119.

51 محمد سعد أبو عامود، "الأحزاب بين الدول المتقدمة والنامية"، **مجلة الديمقراطية**، القاهرة، العدد 4 (خريف 2001)، ص 40-43.

وعمومًا، تشير خبرة النظم الحزبية في الدول النامية إلى سيادة نمط التعبئة، إذ يتمّ تشجيع المشاركة السياسية، ولكنْ يكون هذا التشجيع بمفهوم التعبئة الجماهيرية، وليس بمعنى الإسهام والمشاركة في وضع السياسات العامة. إذ تسعى القيادة السياسية لحشد الجماهير وتعبئتهم خلف النظام؛ من أجل إضفاء الشرعية عليه[52]. وقد أعطيت هذه الوظيفة الأولوية من بين كثير من الوظائف الأخرى، بل أنشأت النظم السياسية أحزابها الخاصة للقيام بهذه المهمة أساسًا[53].

أما التجنيد السياسي، فهو تلك الوظيفة التي يتمّ من خلالها شغل المناصب والأدوار في النظام السياسي[54]. فالمفهوم يشير إلى شغل المناصب والمواقع السياسية الرسمية، كما يشير إلى الأدوار التي يؤديها أفراد ليسوا بالضرورة في مواقع رسمية؛ من قبيل النشاطات السياسية والحزبية[55]. وتميل مختلف النظم السياسية إلى وضع برامج خاصة لتنشئة الأفراد المؤهلين أو المرشحين لتولي وظائف سياسية عليا، تقوم بها مؤسسات تعليمية خاصة في الدول الغربية، أو يقوم بذلك الحزب عبر المعاهد والمدارس الملحقة به في دول الحزب الواحد. كما تقوم بهذه الوظيفة دول العالم الثالث، إما داخل منشآتها التعليمية، وإما من خلال إرسال أبنائها إلى الخارج للدراسة في المدارس والمعاهد الخاصة بإعداد النخبة[56].

وقد يكون التجنيد لشغل الأدوار السياسية على أسس ومعايير عامة أو خاصة. فالاختيار على أساس الانتخاب أو القدرة والأداء هي معايير عامة، أما التجنيد على أساس القبيلة أو الجماعة العرقية فهو من المعايير الخاصة. ولا يمكن الفصل بين وظيفتَي التجنيد السياسي والتنشئة السياسية، فالتجنيد من شريحة أو طائفة أو طبقة معيّنة يعني شغل الأدوار السياسية بأناس لديهم ميول واتجاهات وقيم ومصالح معيّنة، وتكون لهذه الخلفيات آثار مهمة في أدائهم أدوارهم المختلفة؛ ذلك أنّ إعادة تنشئتهم على قيم واتجاهات ومهارات جديدة ما إن يشغلوا وظائفهم أمر مهم. والطرق التي بمقتضاها يجري تجنيد الأفراد للأدوار السياسية سوف تؤثر في قدرات النظام السياسي. فالموظفون الإداريون الذين يتمّ اختيارهم على أساس معيار الأداء يكونون أكثر فاعلية وكفاءة في القيام بالوظائف المتخصصة[57].

52 حمدي عبد الرحمن، "النظم الحزبية والمشاركة السياسية"، **مجلة الديمقراطية**، القاهرة، العدد 4 (خريف 2001)، ص 33.

53 أبو عامود، ص 42.

54 Gabriel A. Almond & G. Bingham Powell, *Comparative Politics: A Developmental Approach* (New York: Little, Brown & Co, 1966), p. 47.

55 علي الدين هلال وآخرون، **معجم المصطلحات السياسية** (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 1994)، ص 184.

56 عائشة محمد خالد الفلاحي، "التنشئة السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، 1991، ص 27.

57 Almond & Powell, pp. 47-49.

ويُعد التعليم أداة للحراك الجيلي، ومصدرًا للتجنيد السياسي؛ فطلاب الجامعات، سواء كانوا من ناشطي الحركات السياسية أو من الأكاديميين، كثيرًا ما يصبحون أعضاءً في النخبة السياسية.

وتتأثر عملية التجنيد السياسي بطبيعة التنظيمات السياسية وتؤثر فيها في الوقت نفسه. وإذا كان أبرز وظائف الأحزاب السياسية أن تعمل قنوات لتجنيد القيادات، فإن دراسة عملية التجنيد السياسي في الأحزاب السياسية تزود الباحثين برؤية استشرافية وتبصّر بأنواع الأحزاب وتكوينها السياسي والأيديولوجي. وتؤثر عملية التجنيد السياسي في تطور الأحزاب السياسية، على سبيل المثال. فالأحزاب التي تختار مرشحيها ممن يمتازون بمهارات سياسية متميزة - من أجل زيادة الأصوات التي تحصل عليها - تعرّض وحدة الحزب الأيديولوجية ووحدة برنامجه السياسي للضعف؛ نظرًا إلى تجنيد أشخاص في الحزب أقل التزامًا من الناحية الأيديولوجية[58].

> إن هوية جيل الثورات العربية تتحرك في إطار المتغيرات والمستجدات التكنولوجية والثقافية والتطورات الاجتماعية والسياسية، وهي تشكّل تنوعًا داخل الهوية العامة ولا تتناقض معها بالضرورة

وتتأثر عملية التجنيد السياسي بطبيعة التنظيمات السياسية. ومن هذا المنظور، يؤدي اختلاف الأنماط التنظيمية المؤسسية للأحزاب إلى اختلاف أنماط تجنيد المرشحين. وقد قام ليون إبستاين بالتمييز بين الحركات السياسية التي تركز على سياسات الهوية والحركات السياسية التي تركز على سياسات القوة. فالأولى ترى دورها أداةً للتغيير الثقافي والأيديولوجي؛ لهذا تكون حذرة فيما يتعلق بالتجنيد، وذلك مثل أحزاب البرامج التي لا تكترث كثيرًا بالسعي نحو السلطة السياسية، ولا ترغب في تغيير هوية الحركة وفقًا لحسابات التصويت، ولكنها تعتبر الفوز في الانتخابات وسيلة لتطبيق برنامجها، وذلك في مقابل أحزاب الانتخابات التي تعرض برنامجها من أجل أن تفوز بالانتخابات[59].

58 John Ishiyama, "Candidate Recruitment, Party Organisation and the Communist Successor Parties: The Cases of the MSzP, the KPRF and the LDDP," *Europe-Asia Studies*, vol. 52, no. 5 (July 2000), p. 1.

59 Leon Epstein, *Political Parties in Western Democracies* (New York: Frederick A. Praeger, 1967).

وفي هذا السياق، يمكن القول إن هوية جيل الثورات العربية تتحرك في إطار المتغيرات والمستجدات التكنولوجية والثقافية والتطورات الاجتماعية والسياسية، وهي تشكّل تنوعًا داخل الهوية العامة ولا تتناقض معها بالضرورة في كل الأوقات. فهذه الهوية الجيلية ترتبط بحدوث خلخلة في منظومة القيم السياسية والاجتماعية السائدة بسبب طبيعة التغيرات الثورية غير المسبوقة التي تمرُّ بها الأمة. وهنا تتمايز القيم والاتجاهات السياسية والاجتماعية بحيث يترسخ منها الأصيل القادر على التجدد والتعايش مع المستجدات، ويتراجع منها الجامد المتكلس الذي لا يتعايش مع روح العصر.

ومن الجدير بالذكر أنّ هناك منظومات قيمية وأنماطًا من السلوك التي تستقر فترات طويلة في إطار الثقافة السياسية القائمة، ولكنها ليست من الأصول، أو يتغير مضمونها بتغير الظروف والمكان. ومن ذلك قيم الطاعة والتدين واحترام السلطة وعدم مقارعة الظلم خشية الفتنة والتمسك بشكلٍ وأنماطٍ معيّنة من الهوية. فهذه القيم تكون فعالة وجيّدة طالما أنها تظهر في سياق مستقر، يحقق أهدافه بكفاءة وفاعلية، ولكنها تكتسب مضمونًا سلبيًا وضارًا حينما يكون السياق الذي تمر به الأمة هو التحرر والتجديد الحضاري والسياسي، فالطاعة المطلقة قد تؤدي إلى الالتزام بقراراتٍ وقياداتٍ غير موفقة، والتمسك بأنماط التدين الشكلي والمظهري قد يتحول إلى عائق أمام مقاصد الدين العليا في التحرر وحماية حق الاختيار والمعارضة، وخصوصًا عندما يلجأ الحكام إلى ادعاء التدين والحرص المظهري والشكلي على رعاية المساجد والشيوخ؛ طالما لا تخلق روحَ تجددٍ وإصلاحٍ وتثوير في المجتمع. وإنّ احترام السلطة والشيوخ في إطار الحركات السياسية قد يرتبط بنوع من الاستمرارية والاستقرار القائم على الجمود، ولكنه لا يمكّن الحركات من التجدد والتطور والتفاعل مع مستجدات العصر ومتغيراته وأدواته بفكر وروح جديدَين قادرَين على مغالبة السنن الكونية والاجتماعية وتوجيهها، على نحو يحقق المقاصد العامة وروح الشريعة ومبادئها وأحكامها.

ويمكن القول إن معادلات وتوازنات محددة تستقر في النظم السياسية، فتخلق بدورها أنماطًا سلوكية وقيمًا واتجاهات يقدسها الجميع؛ سواء كان ذلك في السلطة أو في المعارضة. ومن تلك القواعد التي تستقر: ضرورة الالتزام بالقواعد القانونية وعدم تحديها أو إظهار معارضتها ورفضها على نحو صريح، وعدم التظاهر والاحتجاج في الشوارع والميادين لأنّ التجارب السابقة تبرز مخاطر ذلك والتعرض للقمع، والخضوع لأشكال معيّنة من عمليات التنشئة والتوعية التقليدية المرتبطة بالكتاب والمذياع والحلقات التنظيمية، ورفض الثورة والتغيير الشامل والعنيف والجذري لأنه يؤدي إلى فوضى، وربما إلى انهيار الدول واستغلال القوى الخارجية حالة الانقسام الاجتماعي. ولكن تدريجيًا أو دراماتيكيًا، تبدأ هذه المعادلات والقواعد في التآكل بفعل عمليات التحول الاجتماعي والاقتصادي السريعة التي تؤدي إلى تراجع تدريجي أو سريع، ويكون الشباب والأجيال الجديدة الأقدر على إدراك هذه التغيرات؛ وليس ذلك لأنهم جزء من هذه التحولات والتغييرات نفسها فحسب، بل لأنهم الأقدر على استيعابها ودمجها في إطار حراك ورؤى سياسية جديدة أيضًا.

## خاتمة

ناقش الفصل المفاهيم والمقولات المرتبطة بقضية الحراك الجيلي وسياقات الانتقال السياسي على ثلاثة مستويات أساسية؛ أولها مفهوم الجيل السياسي مقارنةً بغيره من المفاهيم، مثل الجيل الديموغرافي أو السلالي أو التاريخي، وثانيها ديناميات التغيير والاستمرار في الحركات السياسية والاجتماعية، وثالثها مقولات أساسية حول الجيل والتغيير الاجتماعي والانتقال الديمقراطي.

> يعدّ جيل ثورات الربيع العربي جيلًا متمايزًا له خصوصية ووضعية اجتماعية متجانسة لأفراد في مراحل سِنّية معيّنة، عاصروا تغيرات وأحداثًا تاريخية كبرى تؤدي إلى تشكيل وعيهم السياسي بطريقة مختلفة عن الأجيال السابقة واللاحقة

يعدّ جيل ثورات الربيع العربي جيلًا متمايزًا له خصوصية ووضعية اجتماعية متجانسة لأفراد في مراحل سِنّية معيّنة، عاصروا تغيرات وأحداثًا تاريخية كبرى تؤدي إلى تشكيل وعيهم السياسي بطريقة معيّنة مختلفة عن الأجيال السابقة واللاحقة، وتتشكل هوية الجيل السياسي وفقًا للحدث المؤسس، ما يخلق خصائص متميزة وهوية سياسية فريدة للجيل السياسي نفسه. وبناءً عليه تكون تصرفات أبناء هذا الجيل السياسي نابعة من طبيعة هذا الوعي وتلك الهوية التي تكتسب جوانب استمرارية مستقرة عبر الزمن مع إمكان بروز كثير من جوانب التغيير في الفكر أو السلوك السياسي في فترات لاحقة.

وعلى الرغم من وجود الهوية الجيلية لجيل ثورات الربيع العربي، فإنه يضم وحدات جيلية متعددة منقسمة على أساس أيديولوجي،

فبعضها يكون أكثر محافظة، وبعضها يكون أكثر يسارية، وبعضها سلطوي وبعضها أكثر ديمقراطية. كما تختلف العلاقة بين تلك الوحدات الجيلية بحسب السياق السياسي، فقد تميل إلى التعاون أو الصراع مع بعضها، في أحداث ومواقف معيّنة، كما قد تكون علاقتها الأفقية داخل الجيل نفسه أقوى من علاقتها داخل الجيل الأكبر سنًا في الحركة نفسها، أو التيار السياسي، أو قد يحدث العكس وفقًا للأحداث والمتغيرات السياسية.

وفي القسم الثاني، قمنا بمناقشة الافتراضات الأساسية حول أثر المتغير الجيلي في قضايا الاستمرارية والتغيير في الحركات الاجتماعية والسياسية؛ إذ برزت طبيعة الهوية الجيلية التي تدفع إلى الممارسة أو تأسيس حركات اجتماعية أو سياسية ذات أيديولوجيات ورؤى فكرية مختلفة عن الحركات والأحزاب السياسية القائمة، واتضح أنّ الهوية الجيلية تساهم في تحقيق الاستمرارية والاستقرار الداخلي؛ بحيث تحتفظ الأجيال الأكبر سنًا بالذاكرة التاريخية المؤسسية للحركة، وأنّ الحركات الاجتماعية تشهد تغيرات فكرية وسياسية بانضمام زمر أو فئات جيلية ذات هوية جديدة أو مختلفة؛ وذلك من خلال عمليات الإحلال أو الحراك الجيلي التي تؤدي إلى تغييرات في القيادة والتنظيم والرؤى السياسية والفكرية.

وفي القسم الأخير، نوقشت التفاعلات المتبادلة بين المتغير الجيلي والسياق الانتقالي السياسي وعملية التحول الديمقراطي، وأكدت أن الجيل السياسي، باعتباره متغيرًا مستقلًا، يمكن أن يؤدي إلى تغييرات في الثقافة السياسية والمشاركة السياسية، بل يمكن دراسة التنمية السياسية والتحول الديمقراطي من خلاله. فالمتغير الجيلي يساهم في حدوث تغييرات سياسية واجتماعية كبرى، وإن كان، في الأصل، ردة فعل أو استجابة للتغييرات المجتمعية والأحداث التأسيسية التي تخلق وعيًا وهوية خاصة بالجيل السياسي؛ ولذلك يمكن اعتبار ظهوره مؤشرًا مهمًا دالًا على عدم قدرة النظام على الاستمرار، أو اختلال في أدائه على الأقل. ومن الجدير بالذكر أن ظهور الجيل السياسي وحدوث الحراك الجيلي لا يعنيان بالضرورة بروز جيل أكثر ديمقراطية؛ ذلك أنّ الثقافة السياسية العابرة للأجيال قد تكون أقوى وأرسخ، بحيث تنتقل بأمراضها وفيروساتها إلى الأجيال الجديدة، فيؤدي الحراك الجيلي إلى تغيير في الوجوه والأشخاص فحسب، بإحلال أشخاص أو حتى نخبة محل أخرى، من دون تغيير في رؤى العالم وأنماط التفكير أو حتى السياسات، بل قد تقوم النظم السياسية التي تأتي عبر الثورات والانقلابات بعد مرحلة شبه ليبرالية أو ديمقراطية بخلق أنماط من الثقافة والقيم السياسية المعادية للديمقراطية والداعمة للسلطوية وترسيخها.

## المراجع

### العربية

أبو عامود، محمد سعد. "الأحزاب بين الدول المتقدمة والنامية". **مجلة الديمقراطية**. القاهرة. العدد 4 (خريف 2001).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **المقدمة**. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984.

الزيدي، المنجي. "أهمية مفهوم الجيل في دراسة قضايا الشباب العربي". مجلة **إضافات**. الجمعية العربية لعلم الاجتماع. العدد 3 (كانون الثاني/ يناير 2001).

عبد الحي، أحمد تهامي. **حراك الأجيال السياسية في مصر**. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2009.

عبد الرحمن، حمدي. "النظم الحزبية والمشاركة السياسية". **مجلة الديمقراطية**. القاهرة. العدد 4 (خريف 2001).

عبد العاطي، السيد. **صراع الأجيال: دراسة في ثقافة الشباب**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987.

الفلاحي، عائشة محمد خالد. "التنشئة السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة". رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة. مصر، 1991.

كوهين، ألين س. وسوزان أ. وايت وشريف بهلول. "آثار التنشئة القانونية علي التحول نحو الديمقراطية". **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** (اليونسكو). العدد 152 (حزيران/ يونيو 1997).

المشاط، عبد المنعم. **التربية والسياسة**. القاهرة: دار سعاد الصباح، 1992.

نوير، عبد السلام. **المعلمون والسياسة في مصر**. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2001.

هلال، علي الدين وآخرون. **معجم المصطلحات السياسية**. القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 1994.

### الأجنبية

Almond, Gabriel A. & G. Bingham Powell. *Comparative Politics: a Developmental Approach*. New York: Little, Brown & Co, 1966.

Ishiyama, John. "Candidate Recruitment, Party Organisation and the Communist Successor Parties: The Cases of the MSzP, the KPRF and the LDDP." *Europe-Asia Studies*. vol. 52. no. 5 (July 2000).

Jennings, M. Kent. "Residues of a Movement: The Aging of the American Protest Generation." *American Political Science Review*. vol. 81. no. 2 (June 1987).

Kayode, Adeyemo Lateef. "Youth Activism, Social Media and Nation Building." paper presented at IIUM graduate conference on youth activism. Malaysia, 15 April 2011.

McNeil, Kenneth & James D. Thompson. "The Regeneration of Social Organizations." *American Sociological Review*. vol. 36. no. 4 (1971).

Neumann, Sigmund. "The Conflict of Generations in Contemporary Europe from Versailles to Munich." *Vital Speeches of the Day*. vol. 5. no. 20 (August 1939).

Rintala, Marvin. *The Constitution of Silence*: *Essays on Generational Themes*. Westport: Praeger, 1979.

Schneider, Beth. "Political Generations in the Contemporary Women's Movement." *Sociological Inquiry*. vol. 58. no. 1 (1988).

Taylor, Verta. "Social Movement Continuity: The Women's Movement in Abeyance." *American Sociological Review*. vol. 54. no. 5 (1989).

Walsh, James P. & Gerardo Rivera Ungson. "Organizational Memory." *Academy of Management Review*. vol. 16. no. 1 (1991).

Whittier, Nancy. "Political Generation, Micro-Cohorts, and the Transformation of Social Movement." *American Sociological Review*. vol. 62. no. 5 (October 1997).

Y. Casset, Jose Ortega. *Man and Crisis*. Mildred Adams (trad.). New York: W. W. Norton & Company, 1958.

Bayat, Asef. *Life as Politics*: *How Ordinary People Change the Middle East*. Stanford: Stanford University Press, 2009.

Braungart, Richard G. & Margaret M. Braungart. "Life-Course and Generational Politics." *Annual Review of Sociology*. vol. 12. no. 1 (1986).

Chauvel, Louis. "Social Generations, Life Chances and Welfare States." paper presented at conference on "Transforming the Democratic Balance among State, Market and Society: Comparative Perspective on France and the Developed democracies." Minda de Gunzburg Center for European Studies. Harvard University, May 17-18, 2002.

Cherrington, Ruth. "Generational Issues in China: A Case Study of 1980 Generation of Young Intellectuals." *The British Journal of Sociology*. vol. 48. no. 2 (June 1997).

DeMartini, Joseph R. "Change Agents and Generational Relationships: A Reevaluation of Mannheim's Problem of Generations." *Social Forces*. vol. 64. no. 1 (1985).

Epstein, Leon. *Political Parties in Western Democracies*. New York: Frederick A. Praeger, 1967.

Esler, Anthony. *The Youth Revolution*: *The Conflict of Generation in Modern History*. Washington, D.C.: Heath & Company, 1974.

Feuer, Lewis S. *The Conflict of Generations*: *The Character and Significance of Student Movement*. London: Heinemann, 1969.

Giles, Cynthia Hicks. "Benefits of State Youth Council Membership as Perceived by Adult Advisors of North Carolina Youth Councils." Master Thesis. North Carolina State University. USA, 2008.

Greider, William. *Who Will Tell the People*: *The Betrayal of American Democracy*. New York: Touchstone, 1992.

شاكر الحوكي | Chaker Houki*

# الشباب والثورة:
# هل تصلح المقاربة الجيلية أساسًا لقراءة الثورة التونسية؟

# Does Generational Theory Provide an Explanation for the Tunisian Revolution?

تفرز قراءة الثورة التونسية انطلاقًا من المقاربة الجيلية أربعة أسئلة رئيسة. يتعلق السؤالان الأول والثاني بصعوبة العثور على الوعي الجيلي والسياسي لدى الشباب التونسي وأساسًا قبل الثورة. أمّا السؤالان الثالث والرابع فيتعلقان بالمقاربة الجيلية نفسها التي تعاني الهشاشة في مفاهيمها وضعفًا في الإحاطة بكل الظواهر الاجتماعية المستجدة. هل يعني ذلك أن هذه المقاربة لا تصلح لمقاربة الثورة التونسية مقاربة تامة وأن الثورة التونسية عصية على مقاربتها مقاربة جيلية؟ تسعى هذه الدراسة لتبيان أنه بقدر غياب الشروط الأساسية لمقاربة الثورة التونسية جيليًا، وبقدر النقد الموجه إلى هذه المقاربة، يبدو المجال فسيحًا للعثور ليس فقط على التفاعلات الممكنة بين الثورة التونسية والمقاربة الجيلية، ولكن أيضًا لفهمٍ أفضل لمجمل التحولات الكبرى التي تعيشها تونس.

**كلمات مفتاحية:** الشباب، الثورة التونسية، المقاربة الجيلية.

Any attempts to interpret the Tunisian Revolution of 2011 through the prism of generational shifts raises four major questions. The first two concern the difficulty of attributing to young Tunisians any kind of generational or political consciousness, particularly before the outbreak of the revolution in 2011. The third and fourth questions relate to the concept of the "Generational Theory" itself and its ability (or otherwise) to explain a wide spectrum of social factors. Can the demographic approach sufficiently describe the Tunisian Revolution of 2011? This paper will demonstrate that a demographic approach can illuminate not only an understanding of the Tunisian Revolution, but also of the wider social and political changes which have shaped the country in recent times.

**Keywords:** Youth, Tunisian Revolution, Generational Theory.

* أستاذ القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس، جامعة تونس المنار.

* Professor of Common Law, Faculty of Law and Political Science, Tunis El Manar University

"كل ثورة دليل حيوية. والشباب هو الجزء الحيوي في الجسم. [...] وقلَّما تكون هناك ثورة شيوخ. [...] والفرق بين 'الثورة' و'الهوجة' هو أن 'الهوجة' تقتلع الصالح والطالح معًا. [...] أما 'الثورة' فهي تُبقي النافع، وتستمد منه القوة، بل وتصدر عنه أحيانًا. [...] ولكن المسألة ليست دائمًا بهذه البساطة، فالثورة والهوجة تختلطان أحيانًا. [...و] الثورة كي تؤكد ذاتها وتثبِّت أقدامها تلجأ إلى عنف الهوجة لاقتلاع كل ما كان قبلها، وتجعل بداية كل خير هو بدايتها، وتاريخ كل شيء هو تاريخها".

توفيق الحكيم[1].

## مقدمة

يولّد تناول المسألة الشبابية في علاقتها بالثورة التونسية إحراجًا قد يصعب تجاوزه؛ فإما أن نكون إلى جانب فئة الشباب وتأكيد دورها فيها، ومن ثم الانزلاق نحو خطاب تمجيدي يضخِّم بطولاتها المزعومة. وإما أن ننخرط في قراءة نقدية لهذا الدور؛ فنتورط في موقف معادٍ لها، بل قد نتورط في قراءة بائسة تحاول أن تنسب الثورة إلى غير من قام بها، أو حتى إنكارها هي ذاتها.

تتضح علاقة الشباب بالثورة بالقراءات السياسية – وهي قراءات متوترة - على أكثر من صعيد: فمَن يحاول أن ينكر على الشباب دورهم في الثورة، يبدو كأنه يحاول "سرقة" شيء لم يسهم فيه. ومن يلح في أنها ثورة الشباب بلا تحفظ، فإنما يحاول أيضًا، ولو بطريقة مختلفة، الالتفاف عليها من خلال إقصاء أي دور للفاعلين فيها.

ولا يتعلق الأمر بمحاولة إقصاء الخصوم السياسيين والاجتماعيين فقط، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الرغبة في الحلول محل الشباب أنفسهم؛ فالزعم أنها ثورة الشباب، بينما لا يستطيع الشباب ترجمتها سياسيًّا واجتماعيًّا بما يخدم مطالبهم، يعني أن السياسي هو من سيتعهد تلقائيًّا بتنفيذ هذه المهمة، وكأن في الأفق تفويضًا ضمنيًّا متروكًا لمن يتلقفه.

وتأكيد أن الثورة "ثورة الشباب" فيه أيضًا نوع من الاستخفاف بالشباب، بوصفهم عنوان التهور والخفة، بل ربط ما حدث بالوهم؛ ذلك أن الشباب حالة عابرة في حياة الإنسان، ولا يمكن أن تترتب عليها استحقاقات ثابتة للأشخاص أنفسهم الذين شاركوا في الاحتجاجات.

وهكذا، فإن محاولة استنطاق المسكوت عنه في علاقة الشباب بالثورة، وتفكيك الملتبس منها ضمن مقاربة علمية، تبدو أسلم طريق لملامسة الموضوع، بعيدًا عن متاهات الانزلاق في التوظيف السياسي، فنسأل: بأي معنى شارك الشباب في الثورة؟ وهل كانت الثورة التونسية ترجمة فعلية لوعي جيلي وسياسي حقيقي؟

وهنا، تُطرح المقاربة الجيلية بإلحاح؛ ليس فقط لأنها تقوم على الربط بين الجيل والمتغيرات السياسية، ولكن لأن الثورة التي حدثت في تونس تمنحنا فرصة نادرة لدراسة هذه العلاقة بينهما. وهنا يبرز الدور الحاسم الذي اضطلع به كارل مانهايم[2] في تطوير الدراسات الجيلية، ولا سيما فيما يتعلق بالتنظير للعلاقة بين الجيل والتغيير الاجتماعي[3]؛ إذ يعود له الفضل، هو وفرنسوا مونتري[4]، وخوسيه أورتيغا إي غاسيت[5] في وضع أسس النظرية الجيلية ومبادئها[6]. وهذه الأسس والمبادئ تبقى معتمدة حتى الآن[7]، وخصوصًا فيما يتعلق بطبيعة الصراع الذي طبع هذه النظرية بطابعه ومختلف أشكاله: صراع بين الأجيال، يرفض فيه جيل الشباب سلطة الكبار، وصراع داخل الجيل نفسه، بفعل الاختلاف الذي يحصل في الرؤى والتصورات[8]. والثابت أن هناك إسهامات عديدة كان من شأنها تعزيز هذه النظرية وإثراؤها؛ لعل من أهمها دراسة مارغريت وريتشارد برونغارت حول تعريف "الأجيال السياسية"[9]، وهي أهم الإضافات التي جادت بها العلوم السياسية.

1 توفيق الحكيم، **ثورة الشباب** (القاهرة: دار مصر للطباعة، 1988)، ص 11-12. لعلنا كنا مضطرين إلى هذا الاقتباس الافتتاحي من توفيق الحكيم لنسوق ملحوظة أساسية منذ البداية، وهي أن هذا البحث لا يطمح إلى التشكيك في مشاركة الشباب في الاحتجاجات التي سبقت الثورة، ولكن من الضروري التفريق بين الحراك الاحتجاجي الذي شارك فيه الشباب بكثافة، والحراك الثوري الذي يشمل الاحتجاجات ويتجاوزها؛ فالاحتجاجات جزء من الثورة وليست كل الثورة. كذلك، وجب التفريق بين الشباب ومشاركته ضمن أفق جيلي يملك تصورًا ورؤية للعالم ووعيًا ذاتيًّا بنفسه، والشباب بوصفه معطى موضوعيًّا لا أكثر. هل تنبغي الإشارة أيضًا إلى أن طموح البحث ليس التشكيك في الثورة أبدًا، وإنما هو الانخراط في ديناميكيتها وتفكيك مسارها؟

2 Karl Mannheim, "The Problem of Generations," in: Karl Mannheim, *Essays on the Sociology of Knowledge: Collected Works*, vol. 5, Paul Kecskemeti (ed.), (London: Routledge/ Kegan Paul, 1952), pp. 276-322.

3 Margaret Braungart & Richard Braungart, "Les générations politiques," in: Jean Crête & Pierre Favre (dir.), *Générations en politique* (Paris and Laval: Economica/ PUL, 1989), p. 14.

4 François Mentré, *Les générations sociales* (Paris: Bossard, 1920).

5 José Ortega y Gasset, *Le thème de notre temps* (Sainte-Foy: Le griffon d'argile, 1926).

6 Braungart & Braungart, pp. 13-14.

7 Magali Boumaza & Jean François Havard, "Générations politiques: Regards comparés. Avant-propos au thème," *Revue internationale de politique comparée*, vol. 16, no. 2 (2009), p. 183; Claudine Attias-donfut, "La notion de génération: Usages sociaux et concept sociologique," *L'Homme et la société*, no. 9 (1988), pp. 36-50.

8 Mannheim, "The Problem of Generations," p. 292.

9 Braungart & Braungart, pp. 29-31.

لكن، إلى أي حد يمكن اعتبار المقاربة الجيلية المقاربة المثلى لتفسير اندلاع الثورة؟ تلك هي الإشكالية التي سنحاول الإجابة عنها، منطلقين من فرضية التشكيك في قدرتها على أن تكون أساسًا لقراءة الثورة التونسية، وذلك ضمن أفق منهجي يزاوج بين الوصفي والتحليلي والنقدي من جهة، والسوسيولوجي المرتكز على المعاينة الذاتية المستندة بدورها إلى كثير من الدراسات الإحصائية والميدانية من جهة أخرى.

ولحل الإشكالية المطروحة، سنقسِّم هذه الدراسة إلى جزأين: جزء أول نبينٍّ فيه كيفية إفلات الثورة التونسية من أهم محددات المقاربة الجيلية؛ وجزء ثانٍ نوضح فيه عجز المقاربة الجيلية عن مقاربة الثورة التونسية.

## أولًا: إفلات الثورة التونسية من أهم محددات المقاربة الجيلية

هل يمكن تنزيل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية؟ يبدو أن جملة الخصوصيات التي ميزت الثورة التونسية تجعلها تُفلت جزئيًّا أو كليًّا بحسب المرحلة من أن تكون مشمولة بشروطها أو مستجيبة لعناصرها.

### 1. إفلات شبه كلي قبل الثورة

فتح خروج الشباب إلى الشوارع، وتزامُن ذلك مع هروب الطاغية، زين العابدين بن علي، إلى المملكة العربية السعودية، الباب على مصراعيه لمقاربة الأحداث من زاوية نظر جيلية[10]، واعتبار هذا الخروج تتويجًا لمسار النضالات المتلاحقة الذي سلكته الأجيال السابقة بغية تحقيق الحرية والكرامة. لكن المقاربة الجيلية تبدو أشدّ تعقيدًا وأعمق من هذه القراءة السطحية؛ ذلك أنها تقوم على جملة من الوحدات المتداخلة التي يصعب فصل بعضها عن بعض، ولكن يمكن حصرها، عمومًا، في الحدث التاريخي، والجيل السياسي، والتحرك، والوعي الجيلي. وكان كارل مانهايم قد ربط منذ البداية بين الوعي الجيلي وبروز الحركات الجيلية[11]. وتواصل الأمر مع رودلف هابرلي الذي أكد، في إطار محاولته تطوير نظرية مانهايم، أن الوعي الجيلي هو الذي يسمح بتحرك الجيل السياسي[12].

وعلى الرغم من أن بعض هذه العناصر لا يمكن إنكار وجودها في الثورة التونسية (الحدث السياسي، والتحرك الشبابي)، فإن مسألة الوعي الجيلي أو الوعي السياسي تبدو من المفاهيم الغائبة التي يصعب العثور عليها في الحالة التونسية، علمًا أن جل الدراسات الجيلية تؤكد أهمية الوعي الذاتي في صفوف أفراد الجيل الواحد، وأن كلمة "جيل" "ليست تجميعًا لأفراد وُلدوا في الحقبة الزمنية نفسها، بل إنهم مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين الواعين الذين يملكون القدرة على الإدراك والتصرف وفقًا لفلسفة حية أو نظرة مشتركة للعالم"[13].

وعادة ما يُعرَّف الجيل السياسي في الدراسات الجيلية بأنه الفئة العمرية التي تنفرد بوعي أفرادها في لحظة زمنية استثنائية بالتغيير الاجتماعي والسياسي[14]، بل التحاقهم بدوائر النضال والنشاط فيها ضمن منظمات مدنية أو تشكُّلات سياسية[15]. أما الوعي الجيلي، فهو ذلك الإحساس الذي يتشكل بفعل العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين مجموعة من الأفراد المتقاربين عمريًّا الذين تُوحِّدهم قيم مشتركة، ويكون هدفهم خلق وضعيات سياسية جديدة؛ فالوعي الجيلي يكاد يكون حينئذ شرطًا للوعي السياسي، وهو ما يعني بدوره أن الجيل يستطيع أن يوجد في ذاته، من دون أن يتحوَّل بالضرورة إلى فاعل سياسي إذا لم ينتظم اجتماعيًّا، وإذا أصبح قائمًا لذاته؛ وهو الأمر الذي حصل مع جيل الستينيات لتمثُّله الواعي لهموم الشباب في كل أنحاء العالم، وطموحهم المعلن نحو التغيير الاجتماعي والسياسي.

غير أن تتبُّع يوميات الثورة التونسية يضعنا أمام حقيقة أخرى؛ فحجم الخراب الذي لحق بالمِلك العام، وحتى الخاص، فضلًا عن النهب الذي شمل الفضاءات العمومية، يدلان على أن المشاركة الشبابية في هذه الثورة، لم تكن واعية، ولم تحمل مشروعًا سياسيًّا محددًا، وإن أربكت القيادة السياسية آنذاك. وهذا ما يدعونا إلى التساؤل عن حقيقة الوعي الجيلي لدى الشباب المشاركين في الاحتجاجات. وهنا، وجب ألّا نطمئن كثيرًا إلى شعار "خبز، حرية، كرامة وطنية" الذي التقطته النخبة بسرعة، وجعلته العنوان الأبرز للثورة؛ فالشعارات التي رُفِعت آنذاك كانت من كل لون وطعم.

---

10 محمد علي بن زينة، "جيل الثورة: قراءة سوسيودِمغرافية في تحولات واقع الشباب في سيدي بوزيد والقصرين ودورها في قيام الثورة التونسية"، في مجموعة مؤلفين، **الثورة التونسية: القادح المحلي تحت مجهر العلوم الإنسانية** (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 147-180.

11 Magali Boumaza, "Les générations politiques au prisme de la comparaison," *Revue internationale de politique comparée*, vol. 16, no. 2 (2009), p.192.

12 Rudolf Heberle, *Social Movements: An Introduction to Political Sociology* (New York: Appleton Century-Crofts, 1951); Boumaza, p. 192, 194.

13 David Knoke, "Conceptual and Measurement Aspects in the Study of Political Generations," *Journal of Political and Military Sociology*, no. 12 (1984), pp. 101-201;
محمد فريد عزي، "الأجيال والقيم: مقاربة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر"، أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع السياسي، جامعة وهران، وهران - الجزائر 2008، ص 49.

14 Braungart & Braungart, p. 9.

15 Olivier Fillieule (dir.), *Le désengagement militant* (Paris: Belin, 2005), note 10 à l'avant-propos, p. 252; Olivier Fillieule, "Propositions pour une analyse processuelle de l'engagement individuel," *Revue française de science politique*, vol. 51, no. 1-2 (2001), pp. 199-217.

والسؤال المطروح: هل يكفي الاحتجاج حتى يتحول الشباب المحتجون إلى جيل سياسي؟ هذا السؤال طرحته بينيديكت ريكابي من قبل في دراستها التجربتين المكسيكية والمجرية، وانتهت إلى أن الفعل الاحتجاجي لا يمكن أن يتحول إلى فعل سياسي، والجيل الاحتجاجي إلى جيل سياسي، إلا إذا توافرت شروط محددة[16]، وهي شروط تبدو غائبة في الحالة التونسية؛ ذلك أن التحركات التي شارك فيها الشباب على نحو عفوي ومكثف انحصرت في الأحياء الشعبية، وذلك خلافًا لغيرها من التظاهرات المؤطرة التي كانت تخرج بالأساس من أمام المقرات الجهوية للاتحاد العام التونسي للشغل[17]. كما أن تسارع الأحداث طوال فترات الاحتجاج حرم الشباب من أن يدخلوا في علاقات بينية تفاعلية من أجل تحقيق التغيير المنشود وإدراك أنفسهم إدراكًا واعيًا، بوصفهم وحدة أو وحدات جيلية.

أما الحشد الضخم الذي اجتمع أمام وزارة الداخلية يوم 14 كانون الثاني/ يناير 2011، فلم يكن حشدًا شبابيًّا خالصًا، ولم يكن يعكس رغبة فعلية في المشاركة بقدر ما كان يعكس دوافع متعددة؛ فمنهم من كان معنيًّا بالشأن العام، وكان يرغب في الاحتجاج؛ ومنهم من وجد نفسه هناك صدفةً، أو شارك من باب الفضول والاستطلاع. وقد بيَّن أمين علال، من خلال المقابلات التي أجراها مع بعض المشاركين في تلك الاحتجاجات، أن مشاركتهم كانت تعود في أحيان كثيرة إلى أسباب نفسية واجتماعية معقَّدة جدًّا، ولا يمكن حصرها في إعلان الرغبة في إطاحة نظام بن علي[18].

ونحن نتساءل: هل كان لهذا الحشد أن يحصل لولا موافقة السلطة السياسية آنذاك عليه؟ ألم يكن بن علي هو من سمح في خطابه الأخير (بتاريخ 13 كانون الثاني/ يناير2011) قبل أن يرحل، بحق التظاهر ضمن حزمة من الإجراءات التي كان يرغب من خلالها في تدشين مرحلة سياسية جديدة تقوم على الانفتاح على الحريات السياسية، بل إنه ذهب إلى حد التعهد بألّا يترشح لانتخابات عام 2014؟ وهل كان لهذا الحشد أن يحدث لو لم تتناد له الأحزاب والقوى السياسية المعارضة، خصوصًا الاتحاد العام التونسي للشغل، ولو لم يحرض على المشاركة فيه راشد الغنوشي ومنصف المرزوقي وطارق المكي، وهم أبرز المتدخلين على الفيسبوك في تلك الأيام الملحمية، وهو ما يجرد الشباب من امتلاكهم زمام المبادرة؟

أما حدثا القصبة الأول والثاني (الاعتصامات التي حدثت في ساحة القصبة من أجل إسقاط الحكومة مباشرة بعد رحيل بن علي، أي بعد 14 كانون الثاني/ يناير)، فقد كشفا النقاب عن حقيقة أخرى للشباب التونسيين؛ فهم شباب قادمون من كل مكان من العاصمة، يريدون أن يفهموا ماذا يجري ويستكشفون الأمر؛ وشباب آخرون، جيء بهم من أعماق البلاد ليرابطوا في الخيام من دون أن يعرفوا ماذا يريدون بالضبط (وهو استنتاج توصلنا إليه عن قرب من خلال الحوارات التي جمعتنا بالمعتصمين مباشرة). وقد فرضت هوية الاتحاد العام التونسي للشغل وحركة النهضة وحزب العمال الشيوعي نفسها في ذلك الوقت، على نحو جعل الشباب وقودًا لصراع يشملهم ويتجاوزهم في الوقت نفسه. كما أن مجالس حماية الثورة وروابطها اللاحقة عرفت هي أيضًا مشاركة فاعلة للشباب، ولكنها كانت تتحرك ضمن أفق حزبي ونقابي منذ البداية، ولم توفَّق في أن تطرح القضايا الرئيسة المتعلقة بالشباب.

الحقيقة المرة التي ستؤكد غياب أيّ حضور للوعي الجيلي والسياسي ستتضح جليًّا من خلال مسارعة الشباب إلى ركوب قوارب الموت؛ بحثًا عن جنة منشودة على ضفاف البحر المتوسط الأخرى، في موجات هجرية مكثفة وغير مسبوقة، لتنفجر كل الأسئلة الحارقة عن أسباب هذا الخيار: كيف للشباب أن يختاروا الهجرة إلى أوروبا طريقًا للخلاص والحال أن البلاد لم تلبث أن تخلصت من نظام ديكتاتوري وتتأهب للدخول في عهد جديد من الحرية والكرامة؟ وكيف نفسر ذهابهم إلى بؤر القتال والحال أن البلاد في طريقها إلى أن تفتح ذراعيها لجميع أبنائها؟ والمدهش أن يتقاسم الشباب المشاركون في الثورة والشباب المهاجرون المواصفات النفسية والاجتماعية نفسها تقريبًا، وهو الأمر الذي تَمَكَّنَّا من استنتاجه من الدراسات الميدانية التي أجراها بعض الباحثين[19].

في النهاية، سقطت حكومتا الغنوشي، الأولى والثانية اللتان خلفتا الرئيس المخلوع، وجاءت حكومة الباجي قايد السبسي، وذهب الجميع لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي، وبدت الحقيقة المرة أشدّ وضوحًا.

لم ينخرط الشباب بقوة في الأحزاب السياسية، ولم يتم انتخاب أحزاب شبابية، وحتى الشباب الذين شاركوا في الحملات الانتخابية لبعض

16 Bénédicte Récappé, "Mobilisation étudiante et génération politique: qui précède l'autre? Réflexions comparatives à partir des exemples hongrois (1956) et mexicain (1968)," *Revue internationale de politique comparée*, vol. 16, no. 2 (2009), p. 220.

17 كان أول تحرك مساند لأهالي سيدي بوزيد من جانب الاتحاد العام التونسي للشغل قد انطلق يوم 25 كانون الأول/ ديسمبر 2010 من ساحة محمد علي حيث يوجد مقر اتحاد الشغل. وتكرر ذلك بصفة رسمية صباح يوم 27 كانون الأول/ ديسمبر 2010 بالعاصمة، ويوم 12 كانون الثاني/ يناير 2011 بمدينة صفاقس، وقد أقر الاتحاد الإضراب العام يوم 14 كانون الثاني/ يناير في العاصمة.

18 Amin Allal, "Trajectoires 'révolutionnaires,' processus de radicalisations politiques, 2007-2011," *Revue française de science politique*, vol. 62, no. 5-6 (2012), p. 831.

19 Ibid., pp. 828-839.

الأحزاب كانوا قد شاركوا فيها؛ بفعل انتمائهم السياسي الموروث. أما الإدمان على الكحول والمخدرات، وانتشار الأغاني على وسائل التواصل الاجتماعي التي تدين الثورة وتصرح بحنينها إلى العهد البائد، وهي من المظاهر التي برزت بقوة، فلم تكن تمثل إلا الوجه الآخر لهذا الغياب للوعي السياسي.

أما عندما كان المجلس التأسيسي التونسي يناقش فصول الدستور، ويحاول جاهدًا العثور على أشدّ التوافقات بين مختلف التصورات الحزبية والأيديولوجية ملاءمة، فإن الشباب لم يكونوا مغيبين فقط من المشاركة في هذا النقاش - بمعنى أنهم لم يكونوا طرفًا أساسيًّا فيه - ولكن الدستور أيضًا وُضِع على نحو يخلو من أي تصور أو أفق شبابي. والحصيلة هي فصل لا غير يعترف للشباب بأنهم قوة فاعلة في المجتمع، في إطار تصور كلاسيكي للحريات والنظام السياسي، ليس فيه أي خيال أو روح شبابية أو مكانة حقيقية لهم. بل إن عبارة "ثورة الشباب" لم تُذكَر في الدستور على الإطلاق[20]. ولعل خيار المجلس الوطني التأسيسي إسقاط تحديد السن القصوى من شروط الترشح لمنصب رئاسة الجمهورية لا يمكن قراءته إلا بوصفه استهدافًا مبطنًا للشباب. وهو استهداف حصل من دون أن يلقى معارضة من الشباب أنفسهم.

وقد اتضح من خلال بارومتر الشباب لعام 2012 الذي أنجزه المرصد الوطني للشباب في دراسته بعنوان "الشباب والمشاركة السياسية"، أن 93 في المئة من الشباب لم يشاركوا في العمل الجمعياتي، وأن 77.7 في المئة منهم لم تكن لهم مشاركة في النشاطات الحزبية. ومعنى هذا أن التحرك الشبابي في الثورة هو تحرك "احتجاجي يغذيه الانفعالي أكثر مما يغذيه العقل"[21].

لا مناص حينئذ من الاعتراف بغياب الوعي السياسي بوصفه شرط تشكُّل الجيل السياسي، وشرط اعتماد المقاربة الجيلية. وما من حيلة لتجاوز هذا المعطى إلا بتغيير معنى الوعي السياسي وأشكاله، أو "تطويع" مفهومه ليشمل ما يمكن وصفه بـ "السلوكيات الجديدة للوعي السياسي"، وهو ما يتطلب إثباته عملًا تنظيريًّا وميدانيًّا.

هذا فيما يتعلق بتنزيل المقاربة الجيلية على المرحلة التي سبقت الثورة، فماذا عن المرحلة التي تلتها؟

20 بحسب الفصل 8 من الدستور، فإن "الشباب قوة فاعلة في بناء الوطن تحرص الدولة على توفير الظروف الكفيلة بتنمية قدرات الشباب وتفعيل طاقاته وتعمل على تحمله المسؤولية وعلى توسيع إسهامه في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية".

21 المرصد الوطني للشباب، **الشباب والمشاركة السياسية: مسح استطلاعي لنوايا المشاركة في الشأن العام** (تونس: 2012)، ص 5-6؛ وهي النتيجة نفسها التي توصلت إليها تقارير أخرى، مثل: البنك الدولي للإنشاء والتعمير، مجموعة البنك الدولي، **تونس: إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب** (واشنطن: 2014)، ص XV.

## 2. إفلات جزئي بعد الثورة

إذا ما استعملنا نظرية "تأثير المرحلة"، بوصفها أساسًا للمقاربة الجيلية، واعتبار أن جيل الثورة هو الجيل الذي تأثر بالثورة، لا الجيل الذي واكبها، وهي مقاربة أشد ملاءمة للثورة التونسية من مقاربة تأثير دورة الحياة، أو تأثير "الزمرة"، فسيصعب هنا أيضًا تطبيق المقاربة الجيلية؛ بسبب غياب أركانها الأساسية المتعلقة بالوعي السياسي أو الوعي الجمعي[22]. والمدهش أن جل التحركات الشبابية التي حدثت بعد الثورة، إنما كانت احتجاجًا على عدم التشغيل، وذلك على غرار "حملة المفروزين أمنيًّا"[23]، واحتجاجات "جمعية المعطَّلين عن العمل"، وهنا يُطرَح الإشكال من جديد حول صلاحية تبني المقاربة الجيلية والحال أن الوعي السياسي غير قادر على تجاوز المطلب التشغيلي.

> إن طغيان الهم الشخصي بعد الثورة لم يَخْلُ من بروز وعي جيلي سياسي صاعد، وقد ظهر ذلك من خلال تحركات شبابية كانت نتيجة مباشرة لمناخ الحريات الذي برز بفعل الاستحقاقات الثورية والدستورية

تبدو هنا التجارب المقارنة بالغة الأهمية؛ فأحداث أيار/ مايو 1968 في فرنسا، التي انطلقت من الجامعة وأحدثت زخمًا في الدراسات الجيلية، كشفت أن التحركات الشبابية كانت مشغولة بالأساس بالحقوق السياسية، ومعارضة الحرب في فيتنام. كما أن الانتفاضة المجرية، عام 1956[24]، قد ركزت بالأساس على المطالب السياسية التي صيغت ضمن عرائض مكتوبة، ودعوات واضحة للنزول إلى الشارع للمطالبة بانتخابات حرة ونزيهة، وإرساء نظام ديمقراطي. أما التحركات الطلابية في المكسيك، صائفة عام 1968، فقد نددت بطبيعة النظام السياسي، وطالبت بتحرير المساجين السياسيين[25].

22 Vincent Tournier, "Générations politiques," in: Bruno Cautres & Nonna Mayer (dir.), *Le nouveau désordre électoral: Les leçons du 21 avril 2002* (Paris: Presses de sciences po, 2004), p. 230.

23 "المفروزون أمنيًا" هم مجموعة من الشباب الذين حُرموا من حقهم في العمل في الوظيفة العمومية بسبب نشاطهم النقابي المعارض حينما كانوا طلبة في الجامعة.

24 Récappé, p. 208.

25 Ibid., pp. 206-209.

ومع ذلك، فإن طغيان الهم الشخصي بعد الثورة لم يَخْلُ من بروز وعي جيلي سياسي صاعد، وقد ظهر ذلك من خلال تحركات شبابية عدة، كانت نتيجة مباشرة لمناخ الحريات الذي برز بفعل الاستحقاقات الثورية والدستورية. وقد ظهر هذا الوعي الجيلي، خصوصًا من خلال حملة "مانيش مسامح" ضد قانون المصالحة الإدارية أو "العفو عن الفاسدين" الذي حرصت رئاسة الجمهورية على تمريره بذريعة إنعاش الاقتصاد وتحرير الإدارة من القيود المسلطة عليها بفعل تهم الفساد المتورطة فيها، وهي أكثر الحملات الشبابية تعبيرًا عن هذا الوعي السياسي. وعلى الرغم من أن المشاركين في الحملة كثيرًا ما تجاوزت سنهم الثلاثين، فقد بقيت الروح الشبابية طاغية على الحملة التي استطاعت أن توحِّد صفوف فئة شبابية متعددة المشارب الفكرية والسياسية ضد الفساد، وتمكنت من أخذ زمام المبادرة، بل الذهاب إلى الساحات العامة والشوارع لقيادة المسيرات.

وقد نجحت هذه الحملة بعد عامين من انطلاقتها في أن تكون مستقلة عن الأحزاب بعض الشيء، وتبتكر وسائل احتجاجية طريفة وخلَّاقة (قمصانًا عليها شعار مطرقة العدالة)، وتفرز تصورًا جديدًا للمواطَنة والوطن، قوامه رفض الفساد. كما نجحت الحملة في ضم شباب الذكور والإناث من ذوي المستوى التعليمي العالي، وهو ما أكد وجود وعي سياسي وجيلي بارز سبق أن عبَّر عنه رئيس "شبكة دستورنا"، جوهر بن مبارك، بالقول: إن "هؤلاء الشباب كانوا بعد سقوط النظام القديم أطفالًا، وقد بدأ وعيهم السياسي يتشكل في فترة الثورة"[26].

وينطبق الأمر نفسه على حملة "وينو البترول؟"، و"اعتصام الكامور"، وهما اللذان ارتقيا بدوريهما من خلال المطالب التي وضعها الشباب الناشطون إلى مستوى التعبير عن الهمِّ الوطني. كشفت حملة "وينو البترول؟" عن وعي سياسي غير مسبوق. وهي حملة دشنتها مجموعات شبابية على المواقع الاجتماعية، مستفسرة عن مصير الثروة النفطية الموجودة في البلاد، لكنها سرعان ما تحولت إلى مسيرات شعبية ونقاشات سياسية مكثفة. وقد اتهم الناشطون في هذه الحملة الدولةَ بإخفائها الحجم الحقيقي للموارد البترولية في البلاد، مطالبين إياها بالكشف عن ملفات الفساد والصفقات المشبوهة المتعلقة بهذه الثروة. وقد شكلت هذه الحملة منطلقًا لما عُرِف فيما بعد باسم "اعتصام الكامور"؛ فقد اعتصم عدد من الشباب في صحراء تطاوين، في منطقة تُسمَّى الكامور، مطالبين بحقهم في التشغيل، وسرعان ما تطورت مطالبهم لتشمل الدعوة إلى تنمية الجهة من خلال فرض مبدأ المساهمة في التنمية على المؤسسات النفطية في المنطقة، ونشر الأرقام الحقيقية بخصوصها، بل المطالبة بفرض الدولة سيادتها على ثرواتها الطبيعية بتأميمها.

وقد انتهى هذا الاعتصام بالتوصل، بعد جولات من المفاوضات بين المعتصمين والحكومة، إلى اتفاق شاركهم فيه الاتحاد العام التونسي للشغل، في 16 تموز/ يوليو 2017. وكانت النتيجة تخصيص مبلغ 80 مليون دينار تونسي سنويًّا لصندوق التنمية والاستثمار في تطاوين، وعدم التتبع العدلي لكل من شارك في الاحتجاجات، فضلًا عن توفير أكثر من 4500 فرصة عمل لشباب المنطقة[27].

وتجلى مظهر آخر لهذا الوعي الجيلي والسياسي، من خلال الإضراب العام الذي نظَّمه طلبة الحقوق في العاصمة وبقية الولايات، ودام أكثر من شهرين خلال عام 2017، وذلك للمطالبة بإلغاء الأمر 345 المؤرخ في 9 آذار/ مارس 2017، المتعلق باشتراط الحصول على شهادة الماجستير لاجتياز مناظرة دخول المعهد الأعلى للقضاء[28]. وعلى الرغم من أن مطلب التشغيل كان حاضرًا في خلفية الاحتجاجات (من خلال المطالبة بالإبقاء على حظوظ المترشحين لاجتياز مناظرة القضاء من دون أن تطول بهم مدة الدراسة الجامعية حتى الحصول على الماجستير)، فإن طريقة الطلبة في إدارة اختلافاتهم عبر صندوق الاقتراع من خلال اللجوء إلى الانتخاب، والضغط على الحكومة من خلال تنظيم التظاهرات والاعتصامات، وتوحيد صفوفهم حول مطلب واحد، مثَّلت (بقدرٍ ما) نقلة نوعية في الوعي السياسي.

تجدر الإشارة أيضًا إلى أن بعض الندوات التي نظمتها مراكز دراسات وطنية، كشفت عن درجة عالية من الوعي السياسي والجيلي لدى الشباب، ممزوجًا بمشاعر الغبن والخيبة والضيم، مختزلًا مهمة السياسيين في محاولة استبعادهم من المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار السياسي، أو استغلالهم فيما يخدم مصلحتهم لا مصالح الشباب. وقد جاء على لسان أحد الشباب المتدخلين في إحدى هذه الندوات قوله: "إن تشبث الشيوخ والكهول بالكراسي لا يترك مجالًا للشباب"[29]. أما عبارة "صراع الأجيال" فقد وردت صراحة على لسان إحدى المتدخلات في ندوة أخرى، عندما قالت: "أشعر بأن هناك

26 خميس بن بريك، "مانيش مسامح: صرخة شباب تونس ضد الفساد"، الجزيرة نت، 2017/5/14، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/KrcAko

27 لمزيد من المعلومات حول اعتصام الكامور، انظر: "اعتصام الكامور"، **ويكيبيديا**، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/iGYxVn

28 الجمهورية التونسية، رئاسة الحكومة، "أمر حكومي عدد 345 لسنة 2017 مؤرخ في 9 مارس 2017 يتعلق بتنقيح الأمر عدد 1290 لسنة 1999 المؤرخ في 7 جوان 1999 المتعلق بتنظيم المعهد الأعلى للقضاء وضبط نظام الدراسات والامتحانات والنظام الداخلي"، **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**، السنة 160، العدد 20 (آذار/ مارس 2017).

29 "ندوة بعنوان: آليات حث الشباب على المشاركة السياسية"، صفحة مركز دراسة الإسلام والديمقراطية على الفيسبوك، 2017/5/4، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/cVkdvm

صراعًا بين الجيل الجديد والجيل القديم، وأن هذا الصراع حادٌّ جدًّا، سواء في الأحزاب أو في خارجها"[30].

والحقيقة أن هذه الحملات - وهي الأبرز من حيث التعبئة والحضور الميداني والمشاركة الشبابية - لم تكن إلا أمثلة لجملة من الحملات الأخرى التي ما انفكت تكتسح المجال العام، مثل حملة "موش على كيفك"[31]. كما أن المداخلات في الندوات المذكورة ليست إلا عينة مما يُتداول من مواقف شبابية.

أما التحركات الشبابية التي ظهرت بغتة بعناوين الإبداع وحرية التعبير بعد الثورة مباشرة، ونشطت بقوة في أثناء ما عُرف بـ "حكومة الترويكا"[32]، وأوحت بتشكُّل قيم جديدة، واقتحام عصر جديد من الحرية، على غرار "الهارلم شيك" Harlem Shake (وهو نوع من الرقص الوافد من الغرب، استطاع اقتحام فضاءات تربوية حساسة مثل المدرسة)، والـ "وان مان شو" السياسي One man show (وهو نوع من الأداء المسرحي الفردي الساخر)، وحتى "الجرافيتي" Graffiti (وهو نوع من الكتابة أو الرسم على الجدران بطريقة مستفزة ومثيرة)، فقد تبين أنها لم تكن تعبيرات شبابية خلاقة وخالصة يمكن قراءتها ضمن أفق الوعي السياسي والجماعي، بقدر ما كانت محاولة لاستفزاز نظام "الحكم الإسلامي"؛ إذ سرعان ما اختفت بسقوط حكومة الترويكا وعودة المنظومة القديمة إلى الحكم.

والمفارقة أن الجيل الذي لم يشارك في الثورة ضمن قواعد المقاربة الجيلية، أتاحت له الثورة، بفضل ما وفرته من مناخات حرة، المجال ليعبِّر عن انشغالاته بما يستجيب لشروطها، غير أن الإشكال المطروح يبقى في الهنات التي تنطوي عليها هذه المقاربة نفسها.

## ثانيًا: عجز المقاربة الجيلية عن مقاربة الثورة التونسية

يتضح عجز المقاربة الجيلية عن مقاربة الثورة التونسية، من خلال بعدين: الأول يتعلق ببنية المقاربة الجيلية نفسها (عجز داخلي)، والثاني يتعلق بصعوبة تحديد الشباب ضمن خانة النخبوي أو الطليعي (عجز خارجي).

### 1. عجز داخلي: هشاشة المقاربة الجيلية بوصفها أداة لتفسير أحداث الثورة التونسية

على الرغم من أن الثورة التونسية لم تزل تحمل معها جملة من الخصوصيات التي تجعلها عصية على الاستجابة لقواعد التفسير الجيلي، ينبغي لنا القول إن المقاربة الجيلية نفسها تشكو من العوائق التي تحد من اعتمادها مقاربة عامة تصلح لكل المجتمعات؛ وذلك لأسباب عدة: لعل أهمها أن المقاربة الجيلية التي نشأت بديلًا من المقاربة الطبقية الماركسية، بوصفها محاولة لتفسير كبرى التغيرات السياسية والاجتماعية[33]، لا يمكن قبولها من دون إثارة الشكوك حول صلاحيتها المعرفية؛ بحكم قيامها على استبعاد غيرها من المقاربات الراسخة في العلوم الاجتماعية والسياسية. وهذا ما نبه إليه كثير من علماء الاجتماع السياسي الذين أبرزوا الحاجة إلى دمج المقاربة الجيلية مع بقية التفاعلات الاجتماعية المرتبطة بالأيديولوجيا والدين والعرق والطبقة الاجتماعية[34]. بل إن التركيز على صراع الأجيال، بوصفه أداة لتفسير كل التناقضات الاجتماعية والسياسية، لن يكون من شأنه إلا تسييس قضية الشباب، والانحراف بحقيقة الصراع السياسي والاجتماعي المؤسَّس بطبعه على صراع المصالح المادية والمشاريع المجتمعية؛ ذلك أن فئة الشباب ليست كتلة متجانسة، ولا طبقة اجتماعية، ولا هوية اقتصادية خالصة، بل هي فئة عمرية تشقها التناقضات الاقتصادية والصراعات الأيديولوجية[35].

أضف إلى ذلك أنّ تنزيل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية، مع كون هذه المقاربة وليدة مناخات اجتماعية وسياسية غربية مغايرة لواقعنا الثقافي العربي، قد يورطنا مجددًا في الانجرار المعرفي الذي لن يكون إلا على حساب خصوصياتنا المحلية وحقيقتنا الموضوعية؛ فتوافر شروط المقاربة الجيلية في البيئة الغربية لا يعني بالضرورة توافر شروطها في كل مكان.

أما تباين المواقف والتصورات حول مفهوم الجيل، فيمثّل بدوره كبرى المعضلات التي تكشف عن هشاشة المقاربة الجيلية[36]؛ وهو تباين يقوم على التمييز بين ثلاث مقاربات أساسية؛ هي:

- تأثير دورة الحياة؛ أي معرفة خصائص التطور المرتبط بكل مرحلة من الحياة المفسرة للسلوكات السياسية المختلفة لكل

30 "فيديو لندوة الشباب التونسي: الواقع، التحديات والحلول"، موقع مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، 2016/9/24، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/jttJgh

31 هي حملة نظمتها مجموعة من الشباب لمطالبة وزارة الداخلية بسحب مشروع قانون زجر الاعتداءات على قوات الأمن من مجلس نواب الشعب لما فيه من فصول تتعارض مع الدستور وتمس حرية التعبير.

32 الائتلاف الذي حكم تونس في أثناء المرحلة الانتقالية (2011-2014)، وتشكل من ثلاثة أحزاب رئيسة: حركة النهضة، والمؤتمر من أجل الجمهورية، والتكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات.

33 عزي، ص 30.

34 Boumaza, p. 194.

35 حسن طارق، "تأملات حول قضايا الشباب السياسية والانتقال الديمقراطي"، منبر الدكتور محمد عابد الجابري، د.ت.، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/scK2RC؛ المرصد الوطني للشباب، الشباب والمشاركة السياسية، ص 2.

36 Récappé, p. 205.

فئة عمرية. وترى هذه المقاربة أن كل مرحلة عمرية تتميز بخصائص فيزيولوجية واهتمامات عاطفية واجتماعية تفرز هوية ذاتية مستقلة عن الآخرين، وخصوصًا الكبار[37]. هنا يتم استخدام مفهوم الجيل ليدل على العلاقات البيولوجية بين أجيال القرابة، كالعلاقة بين جيل الآباء وأبنائهم.

> تنزيل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية، مع كون هذه المقاربة وليدة مناخات اجتماعية وسياسية غربية مغايرة لواقعنا الثقافي العربي، قد يورطنا مجددًا في الانجرار المعرفي الذي لن يكون إلا على حساب خصوصياتنا المحلية وحقيقتنا الموضوعية

- تأثير ما يُطلق عليه بالإنكليزية "Cohort"، وهو مفهوم لم يحظ بعد بتعريف موحَّد في اللغة العربية، وترجمته مشتتة بين "الزمرة" و"الجماعة" و"الفوج" و"الكتيبة" و"العصبة"، ولكنه يفيد مجموعة الأفراد الذين جرَّبوا الأحداث نفسها في الحقبة الزمنية نفسها. وهو بذلك يختلف عن مفهوم الجيل الذي يفترض وجود وعي جماعي يتميز من بقية الشرائح الاجتماعية بجملة من الخصائص، ويحاول التأثير في مجرى الأحداث؛ ذلك أن "الزمرة" تشكل فئة اجتماعية "في ذاتها"، في حين أن الجيل هو مجموعة اجتماعية أو سياسية تعمل "لذاتها"[38].
- تأثير المرحلة، أي تأثير كبرى الأحداث المعاصرة والاستثنائية في الأفراد والجماعات، على نحو يخلق حالة من التفاعل والتأثير فيهم[39]؛ وهو ما يعني بروز جيل سياسي لا يرتبط بالأساس بالعوامل الداخلية التي تجمع أفراده، وإنما يتعلق بعامل خارجي هو الذي يعطي الجيل هويته، وهو ما يُسمَّى الحدث المولِّد[40].

غير أن تعدد المقاربات الجيلية، على الرغم من محاولة بعض الدارسين تجاوز تناقضاتها الداخلية، ضمن مقاربة تفاعلية فيما بينها[41]، ترك الباب مفتوحًا لطرح الأسئلة الأشد إلحاحًا: كيف يمكن التفريق بين آثار السن، وآثار الجيل، وآثار المرحلة؟ ما أهمية وعي الذات بوعيها الجيلي؟ ما أهمية العلاقات بين الأجيال في تشكيل تطور كل جيل؟ كيف تتشكل الذهنيات الجماعية؟ ووفق أي مسار[42]؟ وهذه الأسئلة بالغة الأهمية، وللإجابة عنها تداعيات عملية عديدة، ولا سيما على صعيد التطبيقات الإمبريقية[43].

ووجبت الإشارة أيضًا إلى أن مفهومَي الجيل و"الزمرة" ليسا دائمًا واضحين، وكثيرًا ما يُعرَّف أحدهما على أساس الآخر[44]، وفي أحيان أخرى يحدث تداخل بين الجيل السياسي والجيل الفكري أو النخبوي[45]، بل إننا لا ندري إن كنا إزاء جيل واحد أم أجيال متعددة، ونتحدث عن جيل سياسي أم إننا بصدد اختلاق أسطورة جيل، على غرار جيل عام 1968[46].

يبدو ضبط الحدود الزمنية التي يستغرقها الجيل، أو تحديد الفاصل الزمني بين جيلين، من أهم الصعوبات التي تواجهها الدراسات الجيلية، والخلاف بين المختصين في هذا المجال ليس هينًا؛ فبعضهم يرى أن المدى الزمني للجيل يدوم 16 عامًا، والبعض الآخر يحدده بـ 30 عامًا[47]. ويبدو أن وتيرة التغيير الاجتماعي هي التي تفسر هذا الاختلاف؛ فكلما كانت هذه الوتيرة سريعة يتناقص الفارق الزمني بين الأجيال.

ويذهب ميشال فيليبار إلى أن الفاصل الزمني بين الأجيال يجب أن يخضع لاعتبار التمييز بين الطبقة العمرية والزمرة والجيل. وإذا كان هذا الفاصل لا يتجاوز بضع سنوات بالنسبة إلى الطبقات العمرية، فإنه يتجاوز العشرية بالنسبة إلى الزمرة، ويراوح بين 15 و20 عامًا بالنسبة إلى الجيل[48].

أما أنصار نظرية دورة الحياة فيركزون تحديدًا على العوامل السوسيوديموغرافية المتعلقة بالأساس بتأخر الشباب عن خوض غمار الحياة العملية (من خلال الشغل والزواج وتكوين الأسرة)، بوصفها سببًا في تمدُّد الفاصل الزمني بين الأجيال، وما ينتج منه من إطالة مرحلة الشباب. والنتيجة أن عملية تحديد حدود الجيل تبدو "نوعًا

37 Braungart & Braungart, pp.16-17.

38 Ibid., p. 21.

39 Ibid., pp. 27-28.

40 Jean François Sirinelli, "Génération et histoire politique, Vingtième siècle," *Vingtième Siècle, Revue d'histoire*, no. 22 (1989), p. 72.

41 Braungart & Braungart, p. 38.

42 Boumaza, p. 198.

43 عزي، ص 49.

44 Boumaza & Havard, p. 185.

45 Sirinelli, pp. 72-73.

46 Boumaza & Havard, p. 186; Sirinelli, pp. 74-75.

47 عزي، ص 40.

48 Michel Philibert, "Rapport au temps et fossé des générations," Actes du colloque CNRS/Association des FED' ages, Gif-sur-Yvette, November 29-30, 1979, cité dans Attias-donfut, p. 44.

ما اعتباطية"؛ ذلك "أن الأحداث المُشكِّلة للأجيال لا تقع وفق وتيرة منتظمة"[49].

ويُعَد الجيل السياسي من أبرز المفاهيم التي تزيد المقاربة الجيلية هشاشة. وعلى الرغم من الإضافات التي قدَّمها رودلف هابرلي وفانسون تورنيي - إذ خصص الأول في كتابه، **الحركات الاجتماعية**، مبحثًا كاملًا للأجيال السياسية، معتبرًا أن تغير الأفكار السياسية مرتبط بتغير الأجيال، وأن الأفكار التي تتشكل لدى الفرد في مرحلة شبابه يكون أثرها حاسمًا في تشكل شخصيته[50]؛ بينما أكد الثاني ضرورة ربط الذهنية الجماعية بالحدث المولِّد[51] - فإن مفهوم الجيل السياسي، باستثناء مجهود مارغريت وريتشارد برونغارت بقي شبه غائب في دراسات علم الاجتماع السياسي والعلوم السياسية[52]، ومصدرًا للالتباس والغموض[53]: هل توجد علاقة سببية بين الجيل والحدث السياسي؟ وأيهما يمهد للآخر؟ وهل يؤدي التحرك الاحتجاجي إلى ظهور الجيل؟ أم هل إن الجيل هو الذي يؤدي إلى التحرك الاحتجاجي؟ وهل يمكن قياس الوعي الجماعي أو الوعي الجيلي قياسًا علميًّا؟ ومتى تتشكل الأجيال السياسية[54]؟

جعلت هذه الأسئلة وغيرها المقاربة الجيلية برمتها عرضة للنقد. وقد عبر بيار فافر عن رفضه القطعي لفكرة الجيل، معتبرًا أنها نوع من اللغو الذي يفتقر إلى الأساس العلمي[55]؛ إذ لا يوجد معيار لقياس الجيل السياسي، كما أن الحدث المولِّد، أي الإشكالية التاريخية التي تكون سببًا في ولادة جيل معيَّن، وتعطيه هويته، وتشكِّل ذاكرته الجماعية، لا يمكن أن يختزل نشأة الأجيال السياسية وحده، والأهم من ذلك أن الأحداث التاريخية، على أهميتها، كثيرًا ما لا تترك أثرًا في نشأة الأجيال[56]، وربط بروز الجيل بالحدث التاريخي يقلل من أهمية الحدث نفسه، بحكم اختزاله في المسألة الجيلية[57]، والحال أن الذاكرة الجماعية والمجتمعية، كما تقول كلاودين أتياس-دنفو، تتجاوز الذاكرة الجيلية[58].

أما مارك تسلر، فقد وجه نقدًا قاسيًا إلى هذه المقاربة الجيلية بتأكيده، أولًا، أن المواقف والقيم التي يكوِّنها الأفراد في فترة شبابهم غير ثابتة، وهي تتغير طوال حياتهم باستمرار، ولا تقف عند محطة معينة كما تزعم النظرية الجيلية؛ وبتأكيده، ثانيًا، أن الأحداث التاريخية الكبرى لا يتباين تأثيرها في الناس بحسب المرحلة العمرية، وإنما يكون هو نفسه تقريبًا بقطع النظر عن طبيعة شرائحهم العمرية[59].

في الواقع، لا يعود عجز المقاربة الجيلية عن مقاربة الثورة التونسية فقط إلى هشاشة مفاهيمها وضعف بنائها الداخلي، ولكن إلى عجزها عن قراءة واقع الاحتجاجات الشبابية كما جرت إبان الثورة أيضًا.

## 2. عجز خارجي: عجز المقاربة الجيلية عن قراءة تحركات الشباب في الثورة التونسية

على الرغم من التطورات التي عرفتها المقاربة الجيلية، خصوصًا في خمسينيات القرن الماضي ضمن الأفق الجديد للدراسات السوسيولوجية؛ حيث أصبح مفهوم الجيل مرادفًا لمفهوم الشباب، بعد أن بات محور المقاربة الجيلية[60] - وهذا خلافًا لما كان عليه الوضع سابقًا لمَّا كان مفهوم الجيل يقترن بجيل البالغين[61] - فإن المقاربة الجيلية بقيت على حالها في عدم اشتراط مشاركة كل الشباب لكي يحدث التغيير الجيلي؛ إذ يكفي مشاركة جزء منهم في صناعة الأحداث. كما لا تشترط أن يكون الجميع على موقف واحد[62]، إذ يكفي أن يقود الحركة الجيلية نخبة من الشباب القادرين على تمثُّل مشاغلهم، وهو ما يسميه مانهايم "الوحدات الجيلية" التي تتمتع بوعي جيلي تستطيع من خلاله تجنيد الوحدات الجيلية الأخرى[63]. وهنا يتضح عجز المقاربة الجيلية عن مقاربة الثورة التونسية

49 عزي، ص 49.

50 Heberle; Boumaza, p. 194.

51 Tournier, p. 230.

52 Boumaza & Havard, pp. 183-184.

53 Récappé, p. 205.

54 وفقًا لمحمد فريد عزي، تتشكل الأجيال السياسية عبر صيرورة معقدة، تتداخل فيها الأحداث التاريخية مع عملية التنشئة السياسية، لكي تنتج نظرة سياسية مميزة للجيل يصعب حل خيوطها، عزي، ص 50.

55 Pierre Favre, "De la question sociologique des générations et de la difficulté à la résoudre dans le cas de la France," in: Crête & Favre, p. 319.

56 عزي، ص 26.

57 Attias-donfut, p. 46.

58 Ibid., p. 48.

59 Mark Tessler et al., "Political Generations in Developing Countries: Evidence and Insights from Algeria," *Public Opinion Quarterly*, vol. 68, no. 2 (2004), p. 188.

60 Shmuel Nooh Eisenstadt, *From Generation to Generation: Age Group and Social Structure*, 2nd ed. (New Brunswick, London: Transaction Publishers, 2002);

عزي، ص 33.

61 Norman B. Ryder, "The Cohort as a Concept in the Study of Social Change," *American Sociological Review*, vol. 30, no. 6 (1965), p. 844; Boumaza, p. 190.

62 Karl Mannheim, *Le problème de générations* (Paris: Nathan, 1990), p. 120.

63 Alessandro Cavalli, "Generations and Value Orientations," *Social Compass*, vol. 51, no. 2 (2004), p. 163;

عزي، ص 38.

وخصوصيتها؛ وذلك لسببين: أولهما أن الشباب المشاركين في الثورة لم يكونوا شبابًا طلائعيين، ودليل ذلك أنهم لم يتحركوا انطلاقًا من الجامعة، أو المدن، أو حتى العاصمة، ولم يكونوا يملكون القدرة على التأثير والتجنيد. والسبب الآخر أن "شباب الثورة" الافتراضيين لم يكونوا يحملون مشروعًا سياسيًّا بوصفه ثمرة وعيهم الجيلي.

ويبدو التصنيف الذي اعتمده مصطفى حجازي للشباب، بتمييزه بين الشباب "النخبوي" والشباب "المحظي" والشباب "المكافح" وشباب "الظل"[64]، بالغ الأهمية لقراءة الثورة التونسية وهوية الشباب المشاركين فيها؛ فشباب الظل تحديدًا، وهم المشاركون الأساسيون في الثورة، لم يكونوا يملكون وعيًا سياسيًّا؛ ذلك أن انتماءهم إلى الشرائح الشعبية الأكثر فقرًا وحرمانًا من التعليم والتشغيل لم يمكنهم من هذا الوعي. وهذا ما أبانت عنه نوعية الشهادات التي عُرضت إلى حد الآن من خلال جلسات الاستماع لهيئة الحقيقة والكرامة، فضلًا عن قائمة الشهداء التي نُشرت في بعض المجلات والتقارير[65]. وينطبق الأمر نفسه تقريبًا على ما يسميه حجازي الشباب المكافحين، وهم الشباب الباحثون عن العمل من أبناء الأسر متوسطة الدخل، الذين حظوا برعاية أسرية مقبولة، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحام سوق الشغل على الرغم من تحصيلهم العلمي الجامعي، فيتولد من ذلك حالة من الاحتقان الوجداني الذي سرعان ما يتفجر أثناء الأزمات الاجتماعية.

أما شباب النخبة والشباب المحظي، فهم ينتمون إلى الشرائح الشبابية الميسورة. فشباب النخبة هم الشريحة التي حظيت بأفضل رعاية أسرية، وبأعلى مستويات التعليم والمهارات المهنية، وهي بحكم نشأتها تبدو الأبعد عن الانخراط في التحركات الاحتجاجية؛ فهي تدخل سوق العمل بلا عناء، وسرعان ما تصل إلى مستويات قيادية تتيح لها المكانة الاجتماعية اللائقة، وسرعان ما تضحِّي بالحرية السياسية وتنخرط في منظومة الحكم.

أما الشباب المحظي فهم "أبناء محدثي النعمة" الذين استأثروا بثروات البلاد بفعل اقترابهم من دوائر الحكم، واستطاعوا الاستفادة من هذه المكانة للحصول على الشغل الملائم والتمتع بالأمن والحماية؛ وهي شرائح لم تتضرر يومًا من النظام السابق، وكانت مستفيدة من خياراته وسياساته باستمرار. وهنا، لا بد من الانتباه إلى الصورة النمطية التي قُدِّمت عن الشباب غداة 14 كانون الثاني/ يناير 2011 في الصحف الوطنية والعالمية، بوصفهم هؤلاء الشباب الجامعيين المثقفين، الحاملين للشهادات العلمية، العاطلين عن العمل، وهو طرح لم يسلم منه مفكرون كبار على غرار فوكوياما[66]. وهذه هي الصورة التي عمل العقل الغربي على اختلاقها وفقًا لرؤية "استشراقيه جديدة"، في محاولة منه لتأكيد قدرة الحضارة الغربية مجددًا على تحرير شعوب الشرق من العبودية التي تعيشها، بفضل ما تتيحه لها هذه الحضارة من وسائل اتصال حديثة ونمط اجتماعي عصري[67].

أما تصنيف الشباب على أساس وظيفي، بين التلمذي، والجامعي، والعامل، والباحث عن العمل، والعاطل، وهو التصنيف الذي نقترحه بوصفه الأقرب لقراءة الثورة التونسية ومقاربة دور الشباب فيها، فهو يدحض بدوره الطرح السائد (من أن الثورة التونسية من صنع الشباب المثقف الجامعي الحامل للشهادات العلمية، العاطل من العمل)؛ ذلك أن أغلب الشباب الجامعيين كانوا منغمسين في فترة المراجعة، ويستعدون للعودة الجامعية لإجراء الاختبارات. وأما حاملو الشهادات العلمية العاطلون عن العمل الذين تراوح أعمارهم عادة بين 23 و30 سنة، فقد كانوا منشغلين بإجراء الاختبارات الكتابية والشفاهية، خصوصًا أن هذه الفترة كانت تعج بالمناظرات الوطنية؛ حيث شملت الآلاف من الشباب الحاملين للشهادات العليا. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الشباب الجامعيين، وهم نخبة الشباب، كانوا تقريبًا خارج التحركات الاحتجاجية التي كانت تجري في البلاد، وذلك على عكس ما حصل في فرنسا والمكسيك والمجر. وحتى إن شارك بعضهم في الاحتجاجات العامة أو في داخل الحرم الجامعي، فلم يكن لذلك أي آثار عملية[68].

في المقابل، كانت المشاركة الحقيقية في أحداث الشغب من جانب الشباب "التلمذي" الذي كان في عطلة ويستعد للعودة المدرسية يوم 2 كانون الثاني/ يناير 2011، ولكن وزارة التربية آنذاك سرعان ما تدخلت لتأجيل عودته المدرسية، في محاولة لتجنب الفوضى في المدارس، فكان ذلك بمنزلة الإذن له بتفجير طاقات العنف التي بداخله، وإثارة الشغب الذي لم يكن دائمًا في علاقة بما يجري في البلاد

64 مصطفى حجازي، "ثورة الشباب وتحولاتها الثقافية"، ورشة الموارد العربية، [د.ت.]، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/nz5Fgz

65 "قائمة أسماء الشهداء: الوفايات والضحايا"، **قضايا إستراتيجية**، العدد 7 (2012)، ص 108-151؛ اللجنة الوطنية لاستقصاء الحقائق حول التجاوزات والانتهاكات، **التقرير** (تونس: نيسان/ أبريل 2012)، ص 653 وما بعدها؛ هيئة الحقيقة والكرامة، "جلسة الاستماع العلنية الخامسة 14 جانفي 2017"، موقع هيئة الحقيقة والكرامة، 2017/1/15، شوهد في 2018/5/6، في: https://goo.gl/JkXPBY

66 Francis Fukuyama, "The Middle-Class Revolution," *Wall Street Journal*, 28/6/2013, accessed on 6/5/2018, at: https://goo.gl/tQcGSb

67 Mounia Bennani-Chraibi & Olivier Fillieule, "Pour une sociologie des situations révolutionnaires, Retour sur les révoltes arabes," *Revue française de science politique* , vol. 62, no. 5-6 (2012), p. 774.

68 يمكن أن نشير هنا إلى الاحتجاجات الطلابية التي حدثت في 5 كانون الثاني/ يناير 2011 في كلية الآداب 9 أفريل بتونس العاصمة، وكلية الآداب بسوسة التي شهدت مواجهات حادة بين الطلبة وأعوان مكافحة الشغب، انظر: نزار شقرون، **رواية الثورة التونسية** (صفاقس: دار محمد علي الحامي، 2011)، ص 34.

من توتر، بل إن عدم استئناف عودته المدرسية على نحو طبيعي سمح بتحويل الساحات العامة والشوارع إلى ما يشبه ملاعب رياضية رُفِعت فيها كل شعارات كرة القدم المعهودة، وظهرت فيها كل السلوكيات التي اعتاد الشباب التلمذي على ممارستها إثر نهاية كل مقابلة رياضية. وهذا ما تَفَطَّن إليه بعض الباحثين في سعيهم لقراءة طبيعة الاحتجاجات آنذاك وتتبع جذورها[69]. وهنا، لا بد أن نتساءل عن مدى صلاحية الأخذ بالمقاربة الجيلية وحدودها، ليس فقط لأن المشاركين في الاحتجاجات لم تتجاوز سنهم في أغلب الأحيان 15 سنة، ولكن لِما تميزت به الاحتجاجات من عنف وفوضى.

> شباب الثورة هم شباب الجهات لا العاصمة؛ شباب النزوح والأحياء الشعبية لا المدن؛ الذكور لا الإناث؛ الشباب التلمذي لا الجامعي؛ الشباب المهمش تحديدًا لا شباب العائلات الميسورة والأحياء الراقية التي سارع "الأمن" و"الدفاع" إلى حمايتها

ومهما كانت التصنيفات الشبابية، فإن شباب الثورة هم شباب الجهات لا العاصمة؛ شباب النزوح والأحياء الشعبية لا المدن؛ الذكور لا الإناث؛ الشباب التلمذي لا الجامعي؛ الشباب المهمش تحديدًا لا شباب العائلات الميسورة والأحياء الراقية التي سارع "الأمن" و"الدفاع" إلى حمايتها من هجوم حشود الجماهير الغاضبة في يوميات الثورة.

وهنا، يجدر التذكير بأنه إلى حدود يوم 12 كانون الثاني/ يناير 2014 كانت المقاهي والمطاعم في كل الأحياء الراقية، في العاصمة أو غيرها من المدن الكبرى، تعيش في عالم آخر لا يمت بصلة لما يجري في البلاد من أحداث. كما أن جزءًا كبيرًا منهم في ذلك الوقت كان منخرطًا في احتفالات رأس السنة الميلادية. وهذا ما يدعونا إلى التوقف عند مفهوم الشباب الطليعي أو النخبوي ودوره كما ورد في نظرية كارل مانهايم، والقول بعجز هذه النظرية عن الإلمام بالثورة التونسية؛ ذلك أن الشباب النخبوي لم يكن مشمولًا بالثورة، خلافًا للشباب المهمش والمنسي الذي شكَّل وقودها. والمفارقة أن الشريحة الشبابية التي شاركت في الاحتجاجات فعلًا، لا يبدو عليها الاهتمام بأي قراءة تحاول أن تنزع عنها شرف المشاركة في الثورة أو أن تشملها به، إنها لا ترى نفسها معنية بالموضوع من الأصل. والحقيقة أن الاحتجاجات التي انتشرت في المناطق الداخلية لم تكن رغبة جيلية في الانعتاق والتحرر، ولكنها كانت تنبع من وضع جغرافي وتاريخي يحفر بعيدًا في البنى الاقتصادية والاجتماعية لتلك المناطق الخاضعة بدورها إلى سوسيولوجيا "التوازنات الزبونية" التي أرساها النظام السابق، وكان يشرف عليها الحزب الحاكم نفسه من خلال خلاياه في الجهة[70].

أما المسألة الثانية التي تبرز من خلالها هشاشة المقاربة الجيلية وعجزها عن مقاربة الثورة التونسية، فتُطرَح على مستوى علاقة الشباب بالإنترنت. والثابت أن الفيسبوك، بعد 17 كانون الأول/ ديسمبر 2010، أثث يوميات الثورة على نحو مكثف؛ إذ صار المصدر الأول لنشر المعلومة، واضطلع بدور مهم في التصدي للخطاب الرسمي للنظام، والرد على رواية وسائل الإعلام الرسمية لحقيقة ما يحصل على أرض الواقع، بل الذهاب إلى حد التحريض على إسقاط النظام (يومَي 10 و11 كانون الثاني/ يناير 2011).

كما اضطلع المدوِّنون، على الرغم من عزلتهم عن الرأي العام، بدور مهم أيام الثورة في نقل الخبر وتغطية الأحداث بطريقة فاقت الإعلام العمومي الذي اختصر دوره في تبرير الأحداث والدفاع عن النظام. ونجحوا في أن يؤثثوا الفضاء الافتراضي بجملة من الرسوم الكاريكاتورية الساخرة، والمقالات المترجمة إلى اللغات الأجنبية؛ في محاولة للكشف عن الحقيقة القمعية لنظام بن علي.

غير أن هناك جملة من الملحوظات والأسئلة التي وجب طرحها لنقف على حقيقة استجابة الثورة التونسية للمقاربة الجيلية، نسوقها على النحو الآتي:

- تبقى شبكة الإنترنت أداة، لا فاعلًا مستقلًّا، وهذا ما يفرض علينا التنسيب عندما نتناول دورها في الثورة التونسية[71]. وكما يقول علال أمين، فالثورات لا تدار من خلف الحواسيب[72]. وهنا، لا بد من أخذ جملة من المعطيات في الاعتبار، منها أن استعمال الإنترنت في المناطق الداخلية، منبع الثورة، مثل سيدي بوزيد والقصرين، لم يكن بالحجم نفسه الذي كان في المدن الكبرى والعاصمة[73]، وأن هذا الاستعمال لم يكن يعني بالضرورة

69 Ashraf El-Sherif, "The Ultras' Politics of Fun Confront Tyranny," *Jadaliyya*, 5/2/2012, accessed on 6/5/2018, at: https://goo.gl/gHVrfj

70 Allal, "Trajectoires," p. 821.

71 Romain Lecomte, "Révolution tunisienne et Internet: le rôle des médias sociaux," *L'Année du Maghreb*, vol. VII (2011), p. 393.

72 Amin Allal, "Avant on tenait le mur, maintenant on tient le quartier!," *Politique Africaine*, no. 121 (2011) p. 59; Michael Béchir Ayari, "Non, les révolutions tunisienne et égyptienne ne sont pas des révolutions 2.0," *Mouvements*, vol. 2, no. 66 (2011), pp. 56-61.

73 أحمد خواجة، "الممارسات الثقافية ودورها في اندلاع الثورة في ولايتَي سيدي بوزيد والقصرين"، في مجموعة مؤلفين، **الثورة التونسية**، ص 192.

الانخراط في الشأن العام والاهتمام به؛ فموضوعات الشبكة التي تستقطب اهتمام الشباب عديدة، ولكل منهم مآربه فيها؛ علمًا أن مواقع عديدة كانت منخرطة في الدفاع عن النظام وتبرئة ساحته.

- لا ينبغي لنا أن ننسى حالة الارتباك التي كانت تخيم على مستعملي الإنترنت قبل الثورة، وحرصهم على تفادي المقاطع أو الصور، مخافة حجب صفحاتهم[74]، وحتى في أيام الثورة، كثيرًا ما كان التفاعل باهتًا. وقد كشف رومان لوكونت، من خلال تصفحه مختلف المدونات ومواقع الفيسبوك حينها، عن حقيقتين: انتشار ظاهرة اللامبالاة لدى مستعملي الإنترنت، وأن جل مستعملي الإنترنت المهتمين بالمسائل السياسية والمواطنية كانوا بالأساس من المواطنين بالخارج، والبعض منهم من دوائر العاصمة[75]، معتبرًا أن الاحتفاء بثورة الفيسبوك كما صورها الإعلام مُبالَغ فيه، وأن الزعم أن شباب الفيسبوك هم شباب الثورة غير "واقعي"[76].
- إن مشرفي الصفحات الفيسبوكية في جلهم كانوا يتجاوزون 25 سنة تقريبًا، وأن النشاط السياسي على الفيسبوك غالبًا ما كان يمارسه جيل الكهول، لا جيل الشباب. أما المدوِّنون، وهم الأقرب إلى الاستجابة إلى شرط الوعي السياسي، فكان جُلُّهم، فضلًا عن تجاوزهم سن الثلاثين، من محترفي مهنة الصحافة. وهذا يعني أنهم لم يتولوا تغطية الأحداث انطلاقًا من وعيهم المواطني بوصفهم مدونين على الإنترنت، ولكن لأنهم كانوا يعملون بالأساس لفائدة وسائل إخبارية أخرى، غير أنهم أثناء عملهم يمرون عبر مدوناتهم لنشر ما حُرِموا من نشره في الوسيلة الإعلامية التي يعملون لفائدتها. وهذا ما يخالف الفلسفة التي قامت عليها المدونات، التي تقضي بامتناع المدوِّن عن نشر مادته الإخبارية في غير مدوَّنته[77].
- ينبغي لنا التذكير بأن أغلب الشعارات التي رُفِعت خلال التظاهرات التي انطلقت في أواخر عام 2010 كانت بالأساس شعارات نقابية. وقد نفت فاطمة رياحي، وهي مدوِّنة عُرِفت في الفضاء التدويني باسم "أرابكا"، أن يكون هناك شعار واحد من بين تلك التي رُفِعت خلال الاحتجاجات مصدره المدوَّنات[78]. أما عبارة "ديغاج"، أي "ارحل"، فعلى الرغم من انتشارها على صفحات الفيسبوك قبل أن تنزل إلى شوارع العاصمة، فلا بد من القول إن صاحبها من جيل الكهول، وهو المعارض السياسي طارق المكي، المقيم في كندا، وكان قد أطلقها من خلال تسجيلات الفيديو التي كان يبثها عبر صفحته على الفيسبوك، ولم يقم الشباب بصياغتها.
- بسقوط نظام بن علي، سقطت مواقع الصفحات الفيسبوكية في صراعات بينية حادة، والنتيجة تُهَم متبادلة، وتراشق بالشتائم والسباب. وهذا ما يؤكد غياب الرؤية المشتركة للعالم، فضلًا عن الوعي الجيلي لدى أصحابها.

أما الأسئلة التي يجب أن تُطرَح انطلاقًا من هذه الملحوظات فهي عديدة: هل يمكن أن نتحدث عن وعي جيلي فيسبوكي؟ وهل يكون الاحتجاج افتراضيًّا؟ وهل يؤشر تداول مقاطع الفيسبوك ونشرها إلى وعي سياسي؟ وهل يمكن وضع الشباب الناشطين على الفيسبوك في خانة الجيل السياسي، وإدراج ما يقومون به في خانة الوعي الجيلي؟ هل يمكن قياس الوعي السياسي من خلال النشاط الفيسبوكي؟ وماذا عن قيمة نشر المعلومة على الفيسبوك والحال أنها عملية لا تتطلب أي جهد؟ ثم كيف نتعامل مع مسألة السن إذا كان أغلب المشرفين على الصفحات تجاوزت سنهم 25 سنة؛ أي إنهم تجاوزوا المرحلة العمرية التي تعتمدها جل الدراسات السوسيولوجية لتعريف الشباب؟ وهنا، لا مناص من ربط الدراسات الجيلية بالدراسات السوسيولوجية المتعلقة بالشباب، وهي دراسات مختلفة بدورها حول تحديد سن الشباب؛ فبعض الدراسات يحصرها في الفترة بين 15 و24 سنة، والبعض الآخر يرى أنها تمتد من 15 إلى 39 سنة، وهناك من يذهب إلى أنها لا تتجاوز الفترة الممتدة بين 12 و16 سنة[79]. ولكن الغالب الأعم من هذه الدراسات يَعُد مرحلة الشباب بين 15 و24 سنة، وهذا هو التحديد المعتمَد دوليًّا (من البنك الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة)[80]، وإن كان تقرير **إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب**، المتعلق بالحالة التونسية، قد أدرج الشباب في الفئة العمرية التي تراوح بين 15 و29 سنة[81]. والثابت أن هناك أسئلة

74 أيمن الرزقي، "شباب الفايسبوك وثورة 14 جانفي"، في مجموعة مؤلفين، **الانتقال الديمقراطي في تونس** (تونس: الديوان للنشر، 2012)، ص 237-238.

75 Lecomte, "Révolution tunisienne et Internet," pp. 390, 395.

76 Romain Lecomte, "Les usages "citoyens" d'internet dans le contexte autoritaire tunisien," in: Sihem Najar (dir.), *Le cyberactivisme au Maghreb et dans le monde arabe* (Paris: IRMC-Kharthala, 2013), p .73.

77 كان سفيان الشورابي، صاحب مدونة "تونس أخرى ممكنة" التي أحدثها في حزيران/يونيو 2008، صحافيًّا في جريدة **الطريق الجديد**. كما كانت لينا بن مهني، صاحبة مدونة "بنية تونسية" A Tunisian girl تشتغل على ذمة قناة *TF1* حينما كانت تغطي الأحداث عن قرب في سيدي بوزيد، وكان برفقتها فريق صحافي مكلف بتغطية الأحداث. أما سامي بن غربية، وهو مدوِّن معروف، فهو نفسه أحد مؤسسي موقع **نواة**، راجع: نسرين رمضاني، "المدونون"، في مجموعة مؤلفين، **الانتقال الديمقراطي**، ص 260-263.

78 حوار أجرته معها نسرين رمضاني في المرجع نفسه، ص 267.

79 عزت حجازي، **الشباب العربي ومشكلاته**، سلسلة عالم المعرفة 6 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985)، ص 28-29.

80 المرجع نفسه، ص 2.

81 البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ص 5.

مستجدة فرضت نفسها بفعل تطور وسائل التواصل الاجتماعي وهي في حاجة إلى الإجابة.

## خاتمة

موضوع الشباب والثورة في تونس كثر فيه التوظيف السياسي، وبات مُلِحًّا تناوُله ضمن مقاربة علمية تنأى به عن التجاذبات السياسية. من هذا المنطلق، بدت المقاربة الجيلية الأنسب لقراءة الثورة التونسية في علاقتها بالشباب، خصوصًا أنها تقوم على الربط بين العامل الجيلي والمتغيرين السياسي والاجتماعي. ولا تتوقف أهمية المقاربة الجيلية هنا على أنها أسلم السبل لفك طلاسم الثورة التونسية، والوقوف عند أسبابها فحسب، ولكنها مثلت فرصة ثمينة للتوقف عند هذه النظرية التي ما انفكت تشغل اهتمام الباحثين أكثر فأكثر، وباتت تفرض نفسها ضمن كبرى المقاربات التاريخية والاجتماعية التي تطمح إلى تفسير التحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى.

غير أن محاولة قراءة الثورة التونسية وفقًا للمقاربة الجيلية لم تكد تبدأ حتى اصطدمت بأشدّ الإشكاليات حرقة وإلحاحًا: هل تصلح هذه المقاربة بالأساس لقراءة الثورة التونسية؟

وقد تبينَّ من خلال البحث أن الثورة التونسية تقبل القراءة الجيلية؛ فالشباب وتحركاتهم الاحتجاجية كانوا حاضرين بقوة، و"الحدث السياسي" تجلَّى في أبلغ معانيه (الثورة)، غير أن عناصر عديدة كـ "الوعي السياسي" و"الجيل السياسي" وغيرهما من أسس المقاربة الجيلية ومفاهيمها تبدو باهتة ومفقودة.

وكشفت لنا محاولة الغوص بقدر أكثر في أعماق هذه المقاربة العلمية عن حقيقة أخرى لا تقل أهمية، وهي أن هذه المقاربة تعاني نقائص في مسار تشكُّلها، وغموضًا في مفاهيمها، وتباينًا في تصوراتها.

والنتيجة (أو المفارقة) التي انتهينا إليها هي أنه عندما نريد أن ننزِّل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية نكتشف أنها لا تستجيب لشروطها الأساسية على النحو المطلوب، وعندما ننجح في أن نعثر على بعض العناصر التي تستجيب للملامح الكبرى للمقاربة الجيلية نكتشف أنها، أي المقاربة الجيلية، تشكو النقائص وتعاني الهنات.

وعمومًا، إذا كانت الثورة التونسية تبدو في حاجة إلى مزيد من الوقت للعثور على القراءة الدقيقة لفك طلاسمها، فإن المقاربة الجيلية تحتاج بدورها إلى الدراسات الدقيقة التي تستوعب التطورات الأخيرة التي فرضها واقع العالم الافتراضي.

## المراجع

### العربية

البنك الدولي للإنشاء والتعمير، مجموعة البنك الدولي. **تونس: إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب**. واشنطن دي سي: 2014.

الجمهورية التونسية، رئاسة الحكومة. "أمر حكومي عدد 345 لسنة 2017 مؤرخ في 9 مارس 2017 يتعلق بتنقيح الأمر عدد 1290 لسنة 1999 المؤرخ في 7 جوان 1999 المتعلق بتنظيم المعهد الأعلى للقضاء وضبط نظام الدراسات والامتحانات والنظام الداخلي". **الرائد الرسمي للجمهورية التونسية**. السنة 160. العدد 20 (آذار/ مارس 2017).

حجازي، عزت. **الشباب العربي ومشكلاته**. سلسلة عالم المعرفة 6. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985.

الحكيم، توفيق. **ثورة الشباب**. القاهرة: دار مصر للطباعة، 1988.

شقرون، نزار. **رواية الثورة التونسية**. صفاقس: دار محمد علي الحامي، 2011.

عزي، محمد فريد. "الأجيال والقيم: مقاربة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر". أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع السياسي. جامعة وهران. وهران - الجزائر، 2008.

"قائمة أسماء الشهداء: الوفايات والضحايا". **قضايا إستراتيجية**. العدد 7 (2012).

اللجنة الوطنية لاستقصاء الحقائق حول التجاوزات، **التقرير**. تونس: نيسان/ أبريل 2012.

مجموعة مؤلفين. **الانتقال الديمقراطي في تونس**. تونس: الديوان للنشر، 2012.

مجموعة مؤلفين. **الثورة التونسية: القادح المحلي تحت مجهر العلوم الإنسانية**. الدوحةبيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

المرصد الوطني للشباب. **الشباب والمشاركة السياسية: مسح استطلاعي لنوايا المشاركة في الشأن العام**. تونس: 2012.

هيئة الحقيقة والكرامة. "جلسة الاستماع العلنية الخامسة - 14 جانفي 2017". موقع هيئة الحقيقة والكرامة. 2017/1/15. في: https://goo.gl/JkXPBY

## الأجنبية

Allal, Amin. "Avant on tenait le mur, maintenant on tient le quartier!" *Politique Africaine*. no. 121 (2011).

_____. "Trajectoires 'révolutionnaires,' processus de radicalisations politiques, 20072011-." *Revue française de science politique*. vol. 62. no. 52012) 6-).

Attias-donfut, Claudine. "La notion de génération: Usages sociaux et concept sociologique." *L'Homme et la société*. no. 9 (1988).

Ayari, Michael Béchir. "Non, les révolutions tunisienne et égyptienne ne sont pas des révolutions 2.0." *Mouvements*. vol. 2. no. 66 (2011).

Bennani-Chraibi, Mounia & Olivier Fillieule. "Pour une sociologie des situations révolutionnaires, Retour sur les révoltes arabes." *Revue française de science politique*. vol. 62, no. 52012) 6-).

Boumaza, Magali. "Les générations politiques au prisme de la comparaison." *Revue internationale de politique compare*. vol. 16. no. 2 (2009).

Boumaza, Magali & Jean François Havard. "Générations politiques: Regards comparés. Avant-propos au theme." *Revue internationale de politique comparée*. vol. 16. no. 2 (2009).

Cautres, Bruno & Nonna Mayer (dir.). *Le nouveau désordre électoral: Les leçons du 21 avril 2002*. Paris: Presses de sciences po, 2004.

Cavalli, Alessandro. "Generations and Value Orientations." *Social Compass*. vol. 51. no. 2 (2004).

Crête, Jean & Pierre Favre (dir.). *Générations en politique*. Paris and Laval: Economica/ PUL, 1989.

Eisenstadt, Shmuel Nooh. *From Generation to Generation: Age Group and Social Structure*. 2nd ed. New Brunswick, London: Transaction Publishers, 2002.

Fillieule, Olivier. "Propositions pour une analyse processuelle de l'engagement individuel." *Revue française de science politique*. vol. 51. no. 12001) 2-).

_____ (dir.). *Le désengagement militant*. Paris: Belin, 2005.

Heberle, Rudolf. *Social Movements: An Introduction to Political Sociology*. New York: Appleton Century-Crofts, 1951.

Knoke, David. "Conceptual and Measurement Aspects in the Study of Political Generations." *Journal of Political and Military Sociology*. no. 12 (1984).

Lecomte, Romain. "Révolution tunisienne et Internet: le rôle des médias sociaux." *L'Année du Maghreb*. no. VII (2011).

Mannheim, Karl. *Essays on the Sociology of Knowledge: Collected Works*. vol. 5. Paul Kecskemeti (ed.). London: Routledge & Kegan Paul, 1952.

_____. *Le problème de générations*. Paris: Nathan, 1990.

Mentré, François. *Les générations sociales*. Paris: Bossard, 1920.

Najar, Sihem (dir.). *Le cyberactivisme au Maghreb et dans le monde arabe*. Paris: IRMC-Kharthala, 2013.

Récappé, Bénédicte. "Mobilisation étudiante et génération politique: qui précède l'autre? Réflexions comparatives à partir des exemples hongrois (1956) et mexicain (1968)." *Revue internationale de politique comparée*. vol. 16. no. 2 (2009).

Ryder, Norman B. "The Cohort as a Concept in the Study of Social Change." *American Sociological Review*. vol. 30. no. 6 (1965).

Sirinelli, Jean François. "Génération et histoire politique, Vingtième siècle." *Vingtième Siècle, Revue d'histoire*. no. 22 (1989).

Tessler, Mark et al. "Political Generations in Developing Countries: Evidence and Insights from Algeria." *Public Opinion Quarterly*. vol. 68. no. 2 (2004).

Y Gasset, José Ortega. *Le thème de notre temps*. Sainte-Foy: Le griffon d'argile, 1926.

أحمد الخطابي | Ahmed Elkatabi*

# من حركة 20 فبراير إلى حراك الريف: الخوف من الديمقراطية أم الخوف من جيل الشباب بالمغرب؟

# From the 20 February Movement to the Rif Movement: Does Morocco Fear Democracy, or the Youth Generation?

تركز هذه الدراسة على الدور الذي ظل يؤديه جيل الشباب المغربي، بما هو قوة اجتماعية وسياسية، في عملية تقديم البدائل وإعادة بعث الدينامية في العمل السياسي عبر المساهمة في تأسيس الانتقال نحو الديمقراطية. وتؤطر الدراسة الأسئلة التالية: إلى أي حد ساهم الشباب المغربي في إعادة تحديد مفهوم العمل السياسي؟ وكيف تَصّور جيل الشباب عملية الانتقال إلى الديمقراطية؟ وما مآل المطالب التي رفعوها؟ تستعمل الدراسة مفهوم "الجيل" سوسيولوجيًا، من حيث إنه ليس قوة أو كتلة متجانسة اجتماعيًا، وإنما يحمل معه توترات مرتبطة بنظرته إلى العالم؛ هي التي تمنحه الدينامية المتجلية في البحث عن موقع اجتماعي، إلى جانب الأجيال السابقة.

**كلمات مفتاحية:** المغرب، الوعي الجيلي، الانتقال الديمقراطي، حركة 20 فبراير، الحركات الاجتماعية.

This study examines the role played by the youth of Morocco, turning this generational group into a political and social force capable of proposing alternative solutions to Morocco's political impasse, introducing dynamism and alternatives along the path to democracy. The question which frames this study is: to what extend did Moroccan youth contribute to the reshaping political culture in the country? How do Moroccan youth conceptualize the transition to democracy, and what happened to their demands? The author adopts a sociological definition of a "generation", meaning that it does not define a generational cohort as a homogenized social group but rather represents a set of people with a shared set of anxieties surrounding their position in relation to other (previous) generations.

**Keywords:** Generation, 20 February Movement, Rif Movement, Morocco, Democratic Transition.

* أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب.

* Professor of Sociology, Faculty of Art and Humanities, Moulay Ismail University, Meknes, Morocco.

## مقدمة

يقترن الحديث عن الديمقراطية بالحديث عن الدور الذي يمكن أن يؤديه جيل الشباب في المساهمة والتأثير في تصور هذه الديمقراطية وترسيخها؛ بما هي آلية تنظيمية للحياة السياسية، فمن المهم دراسة الجيل من أجل معرفة ما يعتمل داخل الحركات الاجتماعية عمومًا والحركات الاحتجاجية خصوصًا، ومدى مساهمة جيل الشباب في التغير الاجتماعي. وما دام المغرب قد عرف موجات من الحركات الاحتجاجية في العقود الأخيرة كان وراءها أساسًا فئة الشباب، فإن البحث في مطالب هذا الجيل يمثل أهمية كبرى من الناحية السوسيولوجية، لكونه في كل لحظة يحاول أن يعبر عنها بطرق متعددة، يُنوّعها وفق الشروط السياسية التي في إطارها تتم تلك التعبيرات الاحتجاجية.

تسعى هذه الدراسة لتحقيق هدفين مترابطين، أولًا: تحديد مفهوم الجيل من وجهة نظر سوسيولوجية وفلسفية، وثانيًا: إبراز دوره في عملية التحول نحو الديمقراطية وبنائها عبر اللجوء إلى الاحتجاج. الجيل هنا يحمل دلالة سوسيولوجية محددة بشروط سياسية، اجتماعية وثقافية، قبل أن يتحدد بيولوجيًا (عمريًا)؛ من أجل ذلك حاولت الدراسة توظيف المقاربة النسقية المتعددة الأبعاد Multidimensionnelle؛ عبر استثمار الدراسات المرتبطة بالموضوع في ميادين السوسيولوجيا والعلوم السياسية والتاريخ، مع افتراض أن ارتفاع منسوب الوعي الجيلي يرفع من سقف المطالب؛ ما يجعل من مطلب الديمقراطية مطلبًا ملحًّا.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تمّ الاستناد إلى معطيات كمية أُخذت من الملاحظة بالمشاركة مادتها الأساسية، وتحليل مضامين الشعارات التي كانت ترفعها في المسيرات، إضافةً إلى المواظبة على حضور الاجتماعات العامة لحركة 20 فبراير. من جهة ثانية، تمّ الاعتماد على تحليل مضمون الفيديوهات الموثقة لحراك الريف في شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية ومقارنتها بخطاب الحركة.

وقد قُسمت الدراسة إلى مستويين، يضم الأول تأطيرًا نظريًا لمفهوم الجيل والوعي الجيلي الذي يتشكل بتقاطع المحددات العمرية مع المحددات الاجتماعية والتاريخية. ويتناول الثاني الدور الذي أدته حركة 20 فبراير؛ بما هي حركة جيلية في تطوير الوعي السياسي لدى الشباب، وخلق ثقافة سياسية جديدة مرتبطة بمطالب دستورية تكون مدخلًا للانتقال نحو الديمقراطية، عبر الإلحاح على مطلب الملكية البرلمانية. غير أن عدم تحقق هذا المطلب، إلى جانب التهميش والإقصاء اللذين مسَّا هذا الجيل، سمح بعودة الدينامية إلى الشارع السياسي المغربي وبروز حراك الريف وتناميه زمنيًا وكميًا ونوعيًا، مجسدًا أشكالًا احتجاجية جديدة وقيادات ميدانية كاريزمية؛ وهي كلها معطيات سوسيولوجية تؤشر إلى أن الفعل السياسي المؤسساتي يعيش أزمة حقيقة أفقدته ثقة الشارع.

## أولًا: الجيل والوعي الجيلي

ارتبط مفهوم الجيل في الأدبيات السوسيولوجية، خصوصًا، بكتابات كارل مانهايم الذي ميّز بين ثلاثة مستويات من التحليل في دراسة الجيل. فالمستوى الأول هو اعتبار أن الجيل مرتبط بعملية تطور بيولوجي (المدرسة الوضعية)؛ بالنظر إلى أن هناك مسارًا متطورًا ومترابطًا للأفراد، بتعاقب المراحل العمرية وتتاليها، وهو ما يُظهر أن الاستمرارية السياسية مؤسسة على الاستمرارية البيولوجية[1]. أما المستوى الثاني من التحليل، فهو مرتبط بالمدرسة الرومانسية التاريخية Romantic-historical التي مثلها ويليم دلتاي Wilhelm Dilthey خصوصًا، وما يهم هنا ليس عملية التعاقب والتتالي فحسب، بل التزامن والمعاصرة Contemporaneity[2] أيضًا؛ لهذا يمثل العمر والزمن مكونين أساسيَين وقاعدة لكل تحليل جيلي، أو كما يقول دلتاي: إن الجيل هو علاقة تزامن أو مُعاصَرة بين أفراد يكونون متأثرين، إلى حد بعيد، بقوًى ثقافية واجتماعية مرتبطة بمرحلتهم التاريخية[3]. أما المستوى الثالث، فهو مرتبط بالتحليل السوسيولوجي للجيل؛ بوصفه الخيط الناظم لكل معرفة ممكنة للحركات الاجتماعية. لهذا من المهم جدًا التركيز على التجارب التاريخية في مسألة التأثير في تكوين الأجيال.

لقد أعطى مانهايم أهمية كبيرة للتاريخ فيما يتعلق بتشكل الوعي الجيلي بين الأفراد، وضمن الفئة العمرية نفسها، كما ركز على دور ديناميات الصراع بين الأجيال وداخل كل جيل أيضًا، بل داخل الفئة العمرية نفسها[4]. لهذا كلما كانت التحولات الاجتماعية سريعة، طورت الأجيال مواقفها الخاصة وإجاباتها النوعية في المجتمع في ارتباط دائم بالوعي الذي يحمله الجيل حول تلك التحولات ووضعها في سياقاتها التاريخية.

لا يرتبط مفهوم الجيل بانتماء مشترك إلى الجماعة العمرية نفسها التي تتحد بخصائص ومميزات مرتبطة بحيز زمني لدورة الحياة

1 Karl Mannheim, *Essays on the Sociology of Knowledge*, vol. 5 (New York: Routledge, 1972), p. 277.

2 Ibid., p. 282.

3 Richard Braungart & Margaret Braungart, "Les générations politiques," in: Jean Crete & Pierre Favre, *Générations et politiques* (Paris: Economica/ Les Presse de l' université Laval, 1989), p. 9.

4 Mannheim, pp. 290-291.

فحسب، كما لا يتحدد بمرحلة تاريخية لجماعة عمرية Cohort في علاقتها بالعوامل الديموغرافية والاجتماعية للحظة الولادة، بل إنه يرتبط أيضًا بالوعي الجيلي؛ بوصفه وعيًا اجتماعيًا يساهم في الصيرورة التاريخية التي تسمح بالتطور داخل جيل بكامله، والتي يمكنها أن تؤدي إلى تغيير مسار التاريخ وحركيته[5]. هذا التداخل في تحديد مفهوم الجيل في علاقة بالوعي المُؤطِّر له، هو ما يجعل الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية يستشعرون الصعوبة المرتبطة بالمفهوم، وهي صعوبة تعود إلى العلاقة القائمة بين البعد البيولوجي، والبعد العلائقي/ الاجتماعي، والبعد التاريخي الزمني.

> لا يرتبط مفهوم الجيل بانتماء مشترك إلى الجماعة العمرية نفسها التي تتحد بخصائص ومميزات مرتبطة بحيز زمني لدورة الحياة فحسب، كما لا يتحدد بمرحلة تاريخية لجماعة عمرية Cohort في علاقتها بالعوامل الديموغرافية والاجتماعية للحظة الولادة، بل إنه يرتبط أيضًا بالوعي الجيلي

وراء هذه الخلفية النظرية والتحليلية لسوسيولوجيا المعرفة عند مانهايم، جاءت الدراسات حول الجيل السياسي في العلوم الإنسانية مستندة إلى ثلاث مقاربات أساسية: تأثير مسار الحياة Life cycle؛ أي معرفة خصائص التطور المرتبط بكل مرحلة من الحياة المفسرة للسلوكيات السياسية المختلفة لكل فئة عمرية، وترى هذه المقاربة أن كل مرحلة عمرية تتميز بخصائص فيسيولوجية واهتمامات عاطفية واجتماعية تدفع إلى تكوين هوية ذاتية معرفية مميَّزة، قادرة على منح الاستقلال عن الآخرين وخاصة الكبار منهم؛ إذ نجد أن الشباب يستثمرون في الأفعال السياسية ضد من سبقوهم جيليًا، لأنهم يعتبرون أن كل مرحلة عمرية من مسار الحياة مرحلةً تتغير فيها المواقف والسلوكيات[6].

وتركز المقاربة الثانية على عامل الجماعة العمرية Cohort Effet؛ أي إن مجموعة الأفراد المنتمين إلى الحقبة الزمنية نفسها يحملون تجارب اجتماعية وسياسية مماثلة، في الوقت الذي يصلون فيه إلى مرحلة الشباب والنضج. فإذا كانت الجماعة تمثل فئة اجتماعية "في ذاتها" En soi، فإن الجيل هو مجموعة اجتماعية أو سياسية تعمل "لذاتها" Pour soi، متميزة من باقي الفئات الاجتماعية؛ لأنها متجانسة عمريًا[7]. والمحدد الثالث هو تأثير المرحلة Effet de période؛ أي تأثير الأحداث التاريخية Evénements التي تقع في المجتمع وتنتج فيه في لحظة ما من تاريخه، وفق سياق تاريخي واجتماعي معطى يتفاعل معه الأفراد والجماعات ويستندون إليه في محاولة التأثير في الواقع. وتتأسس تأثيرات المرحلة في الأحداث المعاصرة التي تتفاعل معها المجموعات والجماعات العمرية ويجيبون عنها[8]. لهذا يرى كارل ماركس أن الناس لا يصنعون تاريخهم الخاص على نحو اعتباطي وعفوي، بل ضمن شروط موروثة من الماضي؛ لأن هناك ضغطًا قويًا لإرث الأجيال السابقة على عقول المعاصرين[9].

بهذا المعنى، يتشكل الجيل السياسي عن طريق تفاعل قوى مرتبطة بظواهر مسار الحياة (محدد فردي)؛ حينما تُطوِّر جماعة عمرية (محدد اجتماعي) تنتمي إلى الحقبة الزمنية نفسها (محدد تاريخي) وعيًا جيليًا يصادف شروطًا تاريخية في طور التغيّر، ينتج بسببها هذا الجيل رد فعل في المجتمع بمحاولة إثارة تغيير سياسي. في هذه الشروط، تأخذ الحركية الجيلية السياسية عند مانهايم شكلين: صراع بين الأجيال يرفض فيه جيل الشباب سلطة الكبار، وصراع داخل الجيل نفسه يكون نتيجة الاختلاف في التصورات بين مكونات وحدات الجيل نفسه أيضًا، مرتبط بنظرة كل مكون إلى الواقع الاجتماعي ومدى تقييمه للمرحلة[10]. السؤال المطروح ما العلاقة بين الانتماء إلى زمن بيولوجي ما (مسار الحياة) والانتماء إلى لحظة تاريخية معينة؟ كيف تؤثر هذه العلاقة في تشكل الوعي الجيلي وبنائه؟

وليتشكل وعي جيلي، لا بد من أن تُخلق علاقات اجتماعية بين أفراد متقاربين عمريًا يعيشون القضايا التاريخية نفسها، ويتشاركون التيارات الاجتماعية والفكرية الرائجة في مرحلتهم التاريخية، يكون لديهم إمكان للتجاوب على نحو إيجابي أو سلبي والتفاعل مع القوى التي تخلق وضعيات جديدة. هذه الوضعيات الجديدة تجسد مواقف جذرية (راديكالية) وظيفتها الأساسية هي التجديد والرفض والاحتجاج. نحن هنا أمام وحدات جيلية تتوحد حول قيم جيلية مشتركة، لكن ليس بالمنظورات والمخرجات نفسها، نتيجة اختلاف مرجعيات التفكير. في أوضاع كهذه، يكون للنخبة المثقفة دور بارز في

5 Braungart & Braungart, p. 8; Jean-François Sirinelli, "Génération et histoire politique," *Vingtième Siècle: Revue d'histoire*, no. 22 (Avril-Juin 1989), p. 68.

6 Ibid., pp. 16-17.

7 Ibid., p. 21.

8 Ibid., pp. 27-28.

9 Karl Marx, *Le 18 Brumaire de Louis Napoléon Bonaparte* (Paris: Éditions sociales, 1969), p. 15.

10 Mannheim, p. 292.

المساهمة في الإجابة عن الإشكالات المطروحة، على الرغم من عدم انتمائهم بالضرورة إلى الجيل نفسه، يقتسمون معهم هذا الوعي الجيلي[11]؛ لهذا لا يمكن الحديث عن نموذج جيلي يمكن اتباعه، بقدر ما يمكن الحديث عن وعي جيلي حامل لخصائص محددة مرتبطة بشروط اجتماعية، واقتصادية، وسياسية تحدد طرق تفكيره وإحساسه ووعيه.

في هذا الإطار، يطرح جون فرونسوا سيرينيلي سؤالًا حول وجاهة مفهوم الجيل في التاريخ السياسي؟ إذ يرى أن مفهوم الجيل من الصعب فصله عن الحدث L'événement؛ لأن الجيل، باعتباره موضوعًا للدراسة وأداة للبحث، يقدم نفسه بثلاثة سجلات Registres، على الأقل، هي المرجعيات (الأيديولوجيات)، والثقافة السياسية، ثم التمثلات[12]؛ بحيث لا يجري تصور الحدث بالطريقة نفسها ولا يحمل المعنى نفسه لدى الجميع، فهو بالنسبة إلى الراشدين والمسنين حدث إلى جانب أحداث أخرى، أما بالنسبة إلى الشباب فهو فعل اجتماعي جديد يجري التعامل معه بنوع من الذاتية لكونه تجربة حياتية أولى[13].

بناءً على ذلك، فإن التاريخ السياسي هو في الآن نفسه تاريخ للسلوكات أو التصرفات، والانتماءات السياسية، ثم الثقافات والأفكار السياسية. من هذا المنطلق، كما يقول راوول جيرار Raoul Girardet، يجب إعطاء أهمية لتعاقب الأجيال كعنصر لتجديد أنماط التفكير وطرق الإحساس[14]؛ ففي عالم متسم بالتغير، تتشكل أنماط تفكير جديدة، وقيم مُؤسِّسة جديدة، بينما تتراجع القيم القديمة ويكون الصراع الفكري بينهما قويًا حول الأسس الفكرية المشكِّلة لهما، وغالبًا ما تكون هذه الأسس تعبيرًا عن أيديولوجيات. في وضع كهذا، يجري إدراك العالم على أنه وحدة بنيوية Structural unity، وليس تعددًا لأحداث متنوعة يمكنها أن تبدو مثل بدايات لانهيار العالم (الاجتماعي). إنها أول مرحلة، كما يقول مانهايم، للتجرد من الدوغمائية الأنطولوجية التي تعتبر العالم ثابتًا ومستقلًا عنا استقلالًا كليًا ونهائيًا[15].

من خلال ما سبق، يمكن القول إن وجود الجيل على هذا النحو، بطريقة موضوعية، يجسد دائمًا بناءً سوسيوتاريخيًا؛ ومن ثم فإنه من الناحية العلمية مفهوم يتطلب بناءً نظريًا/ مفاهيميًا من أجل دراسته واقعيًا. هذا الإطار النظري المفاهيمي يمكنه أن يساعدنا في الإجابة عن الإشكالات المطروحة حول الدور الذي يؤديه التاريخ الاجتماعي في تشكل الوعي الجيلي. وكما يقول آلان سبيتزر، فإن كل جيل يكتب تاريخه الخاص للأجيال، هذا التاريخ الخاص مشروط، تاريخيًا، بتعدد الأبعاد المفسرة لكل وعي جيلي في علاقة بالأجيال السابقة؛ كصيرورة تاريخية تتقاطع فيها المحددات البيولوجية بالمحددات الاجتماعية والثقافية بحسب دلتاي؛ بالمحددات السياسية والاقتصادية بحسب ماركس[16].

ونحن بصدد الحديث عن الجيل، ينبغي عدم إغفال الدور الذي أصبحت تؤديه الوسائل التقنية الحديثة في التأثير وخلق ثقافة جيلية جديدة؛ فهي تؤثر بدرجة كبيرة في شكل الإنتاج الثقافي والمعرفي المستهلك ومحتواه الذي يشكّل أساسًا للوعي الجيلي. وقد أدت هذه التقنيات الحديثة دورًا بارزًا في السنوات الأخيرة، إذ مكنت جيل الشباب من التواصل واقتسام التجارب ونقلها، كما حدث خلال موجات الاحتجاج التي عرفها العالم العربي ابتداءً من سنة 2011، ومكنت أيضًا من التمايز من الأجيال السابقة بسبب التوظيف المتعدد لهذه التقنيات، والنظر إليها بوصفها مؤشرًا دالًا على تحول جذري في بنية العلاقات الجيلية.

لهذا، يمثل مفهوم "الجيل السياسي" بخلفياته النظرية السابقة مرجعًا سيجري الاعتماد عليه من أجل فهم الدينامية الداخلية والعلائقية للفعل الاحتجاجي في بعديه السياسي والاجتماعي. كما سيمثل أداة تحليلية لقراءة سوسيوتاريخية لهذا الفعل الاحتجاجي من خلال نموذجَي حركة 20 فبراير وحراك الريف.

## ثانيًا: جيل حركة 20 فبراير: جيل سياسي

### 1. الذاكرة السياسية المغربية: نصف قرن من الاحتجاج

تندرج الحركات الاحتجاجية التي عرفها الشارع المغربي في مدنه وقراه، في سنة 2011، في إطار دينامية تاريخية مرتبطة بحركية المجتمع أولًا، وبعلاقته بما عرفه العالم من تحولات ومسارات سياسية مختلفة ثانيًا. إن المجتمع المغربي كان دائمًا متفاعلًا مع ما يقع حوله وداخله، ونجد أن الشباب، خصوصًا، هم القوة المحركة لهذا التفاعل

11 Marc Devriese, "Approche sociologique de la génération," *Vingtième Siècle: Revue d'histoire*, no. 22 (Avril-Juin 1989), p. 15.

12 Sirinelli, p. 68.

13 Devriese, p. 12.

14 Sirinelli, p. 72.

15 Karl Mannheim, *Ideology and Utopia: An Introduction to the Sociology of Knowledge* (London: Routledge & Kegan Paul, 1954), p. 59.

16 Alan Spitzer, "The Historical Problem of Generations," *The American Historical Review*, vol. 78, no. 5 (1973), pp. 1383-1384, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2HOgx4Z

منذ السنوات الأولى للاستقلال. لقد عرف المغرب، في أيار/ مايو 1965، موجة احتجاجات عارمة نتيجة قرار صادر من الدولة بحرمان التلاميذ الراسبين في السنة الأخيرة من سلك الإعدادي من ولوج سلك الثانوي بعد نجاحهم عند بلوغهم سن السادسة عشرة (السماح لمن هم دون 16 سنة فقط). قوبل هذا القرار برفض الشارع وبإضرابات شاملة، وخاصة في صفوف جيل التلاميذ والشباب، اضطر معها النظام إلى التدخل على نحو قوي وعنيف أسفر عن مقتل العشرات من الأفراد[17]. كانت هذه الأحداث كافية لتُدخل الشباب مباشرة في قلب الاهتمام بالعمل السياسي، وكانت أيضًا صدمة لجيل ما قبل الاستقلال الذي أدخلته مرحلة الحماية قسرًا في دائرة الاهتمام بالنضال من أجل التحرر. لكن السؤال الذي يُطرح هو ما خلفيات هذا الاهتمام بالعمل السياسي؟ وما أسسه؟

لقد ربط جيل ما بعد الاستقلال بين مطالب الحق في التكوين وفي التعلم وبين الحق في الإدماج في الحياة الاجتماعية؛ عبر تقليص الفوارق بين الفئات والتوزيع العادل للثروات. وكانت هذه المطالب تعبيرًا عن ارتفاع منسوب الوعي السياسي لهذا الجيل المرتبط بالوعي بالتضحيات التي قدمها الجيل السابق له؛ لهذا كانت مطالبه مشروطة تاريخيًا بالشروط السياسية المرحلية. وقد كان لعدم الاستجابة للمطالب في حينها تداعيات سياسية جعلت المغرب يدخل في لحظة من التيه السياسي[18] تجلّت في عملية الاستئصال التي قامت بها الدولة في فترة السبعينيات والثمانينيات.

إذا كانت سنوات الستينيات قد تميزت بحركية سياسية، واستثمار الفضاء العمومي[19] للتعبير عن المطالب، تمثلت في المواجهة المفتوحة والمباشرة بين النظام السياسي ومعارضيه داخل أحزاب الحركة الوطنية (الاتجاه الراديكالي في حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية خصوصًا)، فإن سنوات السبعينيات والثمانينيات عرفت، في المقابل، انغلاقًا للحقل السياسي المؤسساتي واحتكاره من طرف النظام (إقصاء تام للمعارضين، وخاصة تيارات اليسار الراديكالي)، وقد تزامن ذلك مع تنامي الأزمة الاقتصادية والسياسية المرتبطة بسياسة التقويم الهيكلي التي انتهجتها الدولة في بداية الثمانينيات[20].

هذا الواقع، جعل الشباب، وخاصة فئة التلاميذ والطلبة، يلجؤون إلى فضاءات خارجة عن المراقبة المباشرة للدولة؛ كالجمعيات الثقافية (النوادي السينمائية، والفرق المسرحية) والحقوقية، والإطارات الطلابية التي كان لها دور بارز في استقطاب الشباب وحفْزه على الاهتمام بالعمل السياسي والنقابي؛ وهو ما تبلور في الأحداث التي عرفها المغرب في سنوات 1981 و1984 و1990، في شكل إضرابات عامة دعت إليها أحزاب المعارضة والنقابات التابعة لها والحركات الطلابية. وقد تطورت هذه الإضرابات إلى تمردات تمت مواجهتها بالقوة والعنف وخلفت العديد من القتلى، ما اعتبر في حينه تجسيدًا لكره النظام للجمهور والتجمهر أو الاحتشاد، أو أي وسيلة تخلق التواصل بين الأفراد؛ من أجل تفادي أي إمكان للتعبير عن السخط وعدم الرضا[21].

لقد حاولت الدولة السيطرة على الفضاء العمومي واحتكاره ومراقبته حتى لا يُسمح للمعارضين لها باستغلاله، باستثناء الساحات والفضاءات الجامعية التي كانت تستقطب هذا الجيل الجديد من الشباب الذي يخضع داخلها لتنشئة سياسية نتيجة "التلاقح الجيلي". غير أن إستراتيجية احتلال الفضاء العمومي ستبدأ في التحول ابتداءً من منتصف التسعينيات ليصبح هذا الفضاء رهانًا سياسيًا، لم يعد حكرًا على المدن الكبرى، كما يقول عبد الرحمن رشيق، بل أصبح يتسع ويمتد إلى المدن الصغيرة والمناطق المهمشة[22].

إن الصراع السياسي الذي طبع التاريخ المغربي المعاصر هو صراع حول تحديد صلاحيات المؤسسة الملكية، فقد كان يُنظر إليها بكونها تحتكر الحقل السياسي وتهيمن عليه[23]. وهذا المطلب، لربما كان نقطة تقاطع بين الأجيال لم تكن لتختلف كثيرًا حولها، سواء تعلق الأمر بالجيل الذي تلا مرحلة الاستقلال أو الجيل الحالي. لكن السؤال الذي يطرح: إلى أي حد استطاع شباب 20 فبراير أن يحدث خلخلةً في المشهد السياسي المغربي؟ وما حدود الاستجابة لمطالبه؟

17 Irene Bono, "Une lecture d'économie politique de la 'participation des jeunes' au Maroc à l'heure du printemps Arabe," *Revue Internationale de Politique Comparée*, vol. 20, no. 4 (2013), p. 155, accessed on 21/5/2018, at: https://goo.gl/ZLgMx9

18 José González Riera, "Des années de plomb au 20 février," *Confluences Méditerranée*, vol. 3, no. 78 (2011), p. 36, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2I7Rygb

19 يحضر مفهوم الفضاء العمومي في قلب التفكير الفلسفي حول الديمقراطية، بوصفها فضاء الحوار والمساءلة والتشكيك، وقد عدّه هابرماس الوسيط بين الدولة والمجتمع المدني الذي يساهم في إمكان ممارسة النقد لسلطة الدولة ومعارضتها، انظر:
Jürgen Habermas, *L'espace public: Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise*, Marc Buhot de Launay (trans.), (Paris: Payot, 1978), p. 6.

20 Didier Le Saout & Marguerite Rollinde, *Émeutes* et mouvements sociaux au Maghreb: Perspective comparée (Paris: Karthala Editions, 1999), p. 48.

21 عبد الرحمن رشيق، **الحركات الاحتجاجية بالمغرب: من التمرد إلى التظاهر**، ترجمة الحسين سحبان (الرباط: بدائل المغرب، 2014)، ص 23.

22 المرجع نفسه، ص 55.

23 Mohsen-Finan Khadija, "Changement de cap et transition politique au Maroc et en Tunisie," *Pouvoirs*, vol. 2, no. 145 (2013), p. 112, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2FDltI0

## 2. مراجعة دستورية تحت أعين القصر

عمومًا، يمكن تقسيم مطالب حركة 20 فبراير إلى ثلاثة مستويات متداخلة فيما بينها، هي:

- مطلب سياسي يدعو إلى إعادة صوغ وثيقة دستورية تنظم العلاقة بين السلطة الحاكمة وعموم المواطنين، وهي وثيقة تفترض هيئة منتخبة مختصة تحرص على صوغها، تنقل نظام الحكم إلى ملكية برلمانية.
- مطلب اجتماعي متجلٍ في إقامة عدالة اجتماعية وتقليص الفوارق الطبقية بين الفئات تسمح لهم على نحو متساوٍ بالولوج في الخدمات الاجتماعية، وضمان شغل يحقق الكرامة الإنسانية.
- مطلب اقتصادي يركز على عدم الجمع بين السلطة والثروة، ورفض كل أشكال المحسوبية والزبونية، ومحاربة الفساد واقتصاد الريع[24].

هذه المطالب كانت حاضرة لدى جيل الستينيات والسبعينيات، ثم لدى جيل الثمانينيات والتسعينيات بسقف أعلى، غير أن كل جيل يكون - كما قلنا - محكومًا بشروط تاريخية تحدد نوعية المطالب ويتحدد هو بها. إن جيل شباب 20 فبراير هو جيل سياسي حامل لمشروع اجتماعي إصلاحي وخريطة طريق لنوع المجتمع الذي يطمح إلى العيش فيه، مُمَيزًا ذاته من الأجيال الأخرى بالطريقة والأسلوب المُعَبّر بهما عن تلك المطالب؛ لهذا فإن كل جيل، هو بالضرورة، جيل سياسي حينما تكون له مواقف تتجه نحو التغيير الاجتماعي والسياسي[25].

إن تأكيد مطلب الإصلاح السياسي الذي يكون مدخله الإصلاح الدستوري كان أهم ما ميز الصراع بين أحزاب الحركة الوطنية والمؤسسة الملكية من أجل التأسيس للانتقال الديمقراطي؛ من أجل ذلك تحدّث الحسن الثاني عن التناوب والمصالحة وإنقاذ البلاد من "السكتة القلبية"، وتحدّث الملك الحالي عن المجتمع الديمقراطي الحداثي، وعن المفهوم الجديد للسلطة، لكنهما لم يتحدّثا عن الانتقال الديمقراطي بوصفه مشروعًا اجتماعيًا يستلزم إصلاحًا دستوريًا حقيقيًا وتغييرات جذرية على المستويين الاقتصادي والسياسي[26].

يتطلب الانتقال الديمقراطي إجراءات وآليات تفعيله، على رأسها مؤسسات حزبية قوية قادرة على الدفع نحو الانتقال إلى أهدافه والسهر على تحقيقه[27]. وهو ما لا نجده حاضرًا؛ لأن المؤسسات السياسية، وخاصة المؤسسات الحزبية، في وضعية عجز نسبي، وفي حالة من الانتظارية، مقارنة بالمؤسسة الملكية التي تستمد قوتها من نفوذها وعلاقتها بالنخبة التي يمكن احتواؤها في أي لحظة[28].

لقد تجلى مطلب الانتقال الديمقراطي، على نحو أساسي، في مطالب حركة 20 فبراير بالتوجه مباشرة إلى مطلب الملكية البرلمانية. وساهم ذلك كله في فقدان الملك طابعه القدسي الذي كان يحمله سابقًا، وقد حاول أن يعبّر في خطاب 9 آذار/ مارس 2011 عن عدم استجابته لمطالب الشارع، بل إن الأمر يتعلق بإصلاح سياسي يخصه بوصفه رئيس دولة[29]. وهذا ليس جديدًا في تعامل الملك مع الشارع، لأن الدساتير السابقة تقدمه على أنه شخصية ضامنة لوحدة المجتمع، وليس بوصفه فاعلًا سياسيًا، وهو ما برز في الفصل 19 من دستور 1996. غير أننا نجد هذه الصفة أيضًا في الدستور الحالي، لكن ذلك على نحو موزع في أكثر من بند دستوري[30].

أكد العديد من الباحثين المغاربة والأجانب أن الوثيقة الدستورية الحالية لم ترقَ إلى المطالب التي كان الشباب يرفعونها، ولو في حدودها الدنيا[31]. إذ ظلت صلاحيات الملك غير محددة، وموزعة على أكثر من بند دستوري. وهو، إلى جانب اختصاصاته الدينية والعسكرية، فاعل في السلطة التنفيذية ووصي على السلطة القضائية والمشكّل لكل هياكلها ومؤسساتها. وكل ذلك، كما يقول عبد الرحيم العلام، تم في جو تميز بوضع خاص كذلك؛ تمثل في وجود نظام ملكي يسود فيه الملك ويحكم[32]، ما لم يمكّن من صوغ الوثيقة الدستورية المراجعة من طرف لجنة مستقلة أو منتخبة ممثلة لكل الأطياف

24 Joseph Hivert, "Les rapports entre générations dans le mouvement du 20 février," in: Dupret Baudouin et al. (dir.), *Le Maroc au présent: d'une époque à l'autre, une société en mutation* (Casablanca: Centre Jacques Berque- Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud pour les Études Islamiques et les Sciences Humaines, 2015); Riera, p. 43.

25 Braungart & Braungart, p. 9.

26 عمر البرنوصي، "المجتمع المدني، الانتقال الديمقراطي والملكية في المغرب"، **وجهة نظر**، العدد 23 (خريف 2004)، ص 23.

27 زين العابدين حمزاوي، "الأحزاب السياسية وأزمة الانتقال الديمقراطي في المغرب"، **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العدد 16 (خريف 2007)، ص 106.

28 جون واتربوري، **أمير المؤمنين: الملكية والنخبة السياسية المغربية**، ترجمة عبد الغني أبو العزم وعبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط 2 (الرباط: مؤسسة الغني للنشر، 2004)، ص 14.

29 Bernabé López García, *Le Maroc et le printemps arabe dans un monde en plein changement*, PapersIEMed 11, série en partenariat avec Euro Mesco (Barcelona: Institut Européen de la Méditerranée, 2012), accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2HM9CgD

30 عبد الرحيم العلام، "صلاحيات الملك في الدستور المغربي: دراسة نقدية"، **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العدد 41-42 (2014)، ص 138-139.

31 Thierry Desrues, "Le Mouvement du 20 février et le régime marocain: Contestation, révision constitutionnelle et élections," *L'Année du Maghreb*, no. 8 (2012), accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2JQHxS3

32 العلام، ص 142.

والتوجهات السياسية والحقوقية الموجودة في الساحة. لهذا يرى شباب حركة 20 فبراير أن الإصلاحات الدستورية التي تمثل مدخلًا لكل إصلاح ممكن، لم يتم تحققها في الوثيقة الدستورية.

### 3. موت الأحزاب السياسية وانبعاث الشارع

أظهرت استطلاعات المؤشر العربي أن اهتمام الأفراد في العالم العربي بالشؤون السياسية قد ازداد منذ ثورات "الربيع العربي"؛ إذ إن ثلاثة أرباع المستجيبين عبّروا عن اهتمامهم قليلًا أو كثيرًا، نصفهم مهتم ومتابع للشؤون السياسية في بلده[33]. فيما يخص حالة المغرب، بيّن المؤشر أن 7 في المئة من المغاربة مهتمون جدًا بالشؤون السياسية، و21 في المئة مهتمون، و36 في المئة مهتمون قليلًا؛ أي إن نحو ثلثَي المستجيبين (64 في المئة) مهتمون بالشؤون السياسية لبلدهم. ولكن ذلك لا يعني أنهم يشاركون وينخرطون في النشاطات السياسية، مثل توقيع العرائض والمشاركة في المسيرات والوقفات، إذ يظهر المؤشر أن هذه المعدلات لا تتجاوز 13 في المئة في المغرب (20 في المئة عربيًا)[34].

ما زالت نسبة الانتماء إلى هيئات أو أحزاب سياسية تثير انتباه المهتمين بالشأن السياسي في العالم العربي. وفي المغرب، لا تتجاوز هذه النسبة 5 في المئة، بحسب المؤشر العربي، وهي نسبة قريبة إلى حد ما مما أبانت عنه الأبحاث والدراسات حول الشباب المغربي[35]. إن ضعف الانخراط في الإطارات السياسية والحزبية يتم تبريره بعدم جدوى هذه الإطارات، بما أنها غير فعالة في الحياة السياسية، لأنها بدت متخلفة عن الشارع، وعن مطالبه، إبان حركة 20 فبراير. لقد عبّرت أغلبية الأحزاب عن عدم مساندتها للحركة، بل ذهب بعضها إلى منع قواعدها من المشاركة في الاحتجاجات باسم الحزب؛ كما حدث مع حزب العدالة والتنمية الذي قطف في الأخير ثمار الحركة؛ عبر الاستثمار الأمثل لشعارها الأساسي "محاربة الفساد والاستبداد".

كل هذه المعطيات تذهب في اتجاه تأكيد أن الشباب فقدَ الثقة بالمؤسسات والهيئات الوسيطية Intermédiaires التي بإمكانها أن تعكس مطالبه وتعبّر عنها؛ ومن ثم فإنه يكون للجوئه إلى الفضاء العمومي معنيان؛ الأول: عجز هذه المؤسسات التي أصبح ينظر إليها بوصفها قد أصيبت بـ "شيخوخة" سياسية واجتماعية، وغير قادرة على الدفاع عن تلك المطالب، وهي مطالب في جوهرها سياسية قبل أن تكون اجتماعية واقتصادية. أما الثاني فمفاده أن الوعي الذي أصبح يحمله جيل الشباب بضرورة مشاركته في الحياة العامة، عبر السعي نحو دمقرطتها، لا يمكن أن يتحقق إلا عبر تجاوز الأجيال السابقة.

هذه العوامل مجتمعة، إلى جانب عوامل أخرى، ساهمت في عودة الاحتجاج إلى الشارع، وفي جعل الأحزاب السياسية في وضعية حرجة؛ لأن الجيل الجديد من الشباب قد تجاوزها، سواء في مستوى التأطير والتأثير، أو في مستوى أشكال العمل والتواصل. إضافة إلى ذلك، أصبح هناك وعي جيلي مرتبط بالحياة السياسية المغربية المتعلق بمعرفة مراكز القرار السياسي الفعلي، وقد ظهر ذلك خلال جولات الحوار التي عقدها الحزب الفائز في الانتخابات التشريعية التي أجريت في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2016 (حزب العدالة والتنمية المحافظ). فقد استمرت المفاوضات أكثر من 6 أشهر نتيجة وضعية التأزيم Le blocage التي قامت بها الأحزاب الإدارية المقربة من القصر، والتي فرضت في النهاية شروطها في التفاوض، فجاءت الحكومة بعيدة عما أفرزته صناديق الاقتراع.

## ثالثًا: الجيل بين أزمة الخطاب وخطاب الأزمة

### 1. أزمة الخطاب

إذا أخذنا مفهوم الخطاب كما حدده ميشيل فوكو في درسه الافتتاحي، سنكون أمام منظومة من الأفكار والتصورات التي تُميّز لحظة تاريخية ما وظيفتها، هي مراقبة إنتاج الخطاب الذي يدخل في إطار إستراتيجية الاقتصاد السياسي للحقيقة؛ بما هي إنتاج وتوزيع واستهلاك لها وصراع حولها[36]؛ ومن ثم فإن كل خطاب هو خطاب مُمأسس Institutionnalisé صادر عن مؤسسة ومعبّر عنها. لهذا فإن الخطاب حامل لسلطة هي بالضرورة سلطة المؤسسة تمنحه لمن يتم الاعتراف بهم اجتماعيًا؛ بوصفهم معبّرين وناطقين باسمها[37].

وبما أن كل خطاب هو خطاب ممأسس ومراقب، فقد أصبح الفضاء العمومي بعد 20 فبراير فضاءً مراقبًا من جانبين، من جانب السلطة وخوفها من احتكاره من طرف الشباب والحركات الاجتماعية الجديدة، ومراقب من جانب الشباب خوفًا من هيمنة السلطة عليه؛ ما جعل هذا الفضاء غير متحكم فيه كليًا. في هذا الإطار، نشير إلى

33 المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **برنامج قياس الرأي العام العربي: المؤشر العربي 2016** (الدوحة: 2016)، ص 198، شوهد في 2018/5/21، في: https://bit.ly/2iNsvkM

34 المرجع نفسه، ص 207.

35 Royaume du maroc, Haut Commissariat au Plan, *Les jeunes en chiffres* (Rabat: Août 2012), accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2HNBSQ9

36 Michel Foucault, *L'ordre du discours* (Paris: Gallimard, 1971), pp. 10-11; Michel Foucault, *Il faut défendre la société: cours au collège de France* (1975-1976), Édition numérique réalisée en août 2012, p. 21, accessed on 21/5/2018, at: https://goo.gl/m5FDpU

37 Pierre Bourdieu, "Le langage autorisé: Note sur les conditions sociales de l'efficacité du discours rituel," *Actes de la recherche en sciences sociales*, vol. 1, no. 5-6 (1975), p. 186.

ما ذهب إليه عادل المستوي الصغير حينما تحدّث عن وجود نظام من الخطاب وحقل من المعرفة يتميزان بسيطرة وهيمنة لعلاقات القوة المتجلية في الخطابات الرسمية، وظيفتها السيطرة على الحقل الاجتماعي والسياسي، ووجود فضاءات حوارية معارضة تحاول أن تنفلت من هذه الهيمنة المطلقة للخطابات الرسمية[38].

> المكسب الذي حققته حركة 20 فبراير هو ممارستها تأثيرًا كبيرًا ومباشرًا في نظام الخطاب داخل الخطاب الرسمي ذاته، الذي حاول أن يستعمل اللغة السياسية والحقوقية نفسها المتداولة من طرف الشباب في الفضاء العمومي

معنى هذا أن الأمر لا يقتصر على محاولة الهيمنة على المجال القانوني والسياسي، بل إنه يتعدى ذلك إلى الأدوات التي من خلالها يتم تصريف تلك الخطابات، وهي الفضاءات العمومية. وقد تركّز اهتمام شباب 20 فبراير على الفضاءات الافتراضية من أجل التواصل والتأثير؛ إذ فُتحت نقاشات حول المطالب على نحو جريء وغير مسبوق، تفاعل معها جيل الشباب بجرأة كبيرة مستعملين التقنيات الحديثة في التواصل باعتبارها فضاءات معارضة.

يجب وضع هذا المسار وهذه السيرورة في سياقهما الاجتماعي المتمثل في بروز حركة فنية تعبيرية أخذت من الموسيقى، خصوصًا، أداةً لإيصال صوتها وإبداء آرائها. لقد ظهرت في السنوات الأخيرة من القرن الماضي مجموعات موسيقية شبابية أخذت من "الهارد روك" Hard rock و"الراب" Rapp أدوات تعبيرية للتواصل مع المراهقين والشباب. واعتمد هؤلاء الشباب على العالم الرقمي، بوصفه فضاءً عموميًا، لنشر موسيقاهم وتوزيعها؛ إذ نجد أن مضامين هذه الأشكال التعبيرية من الموسيقى مضامين مطلبية؛ كالعيش الكريم، وحرية التعبير، والحق في الاختيار، والمواطنة، والهوية، ومحاربة الفساد والرشوة[39]. وتم استثمار هذه الأشكال التعبيرية الفنية والرمزية كثيرًا أثناء التظاهرات والمسيرات وفي التجمعات، وقد عبّرت عن تلقائيتها وحرفيتها خارج المؤسسات والإطارات الفنية الرسمية التي بدت متجاوزة إلى حد بعيد، والتي بدا أنها تعيش أزمة؛ لأنها لم تعُد هي الأخرى تساير التحولات الاجتماعية التي يعرفها الواقع.

في واقع اجتماعي وسياسي مأزوم، كان لا بد من ظهور هذه الأزمة أيضًا على مستوى الخطاب السياسي؛ لهذا نجد أن من بين ما حاولت حركة 20 فبراير فعله، تجديد أساليب الخطاب الذي تمثّل في إنتاج لغة تَخَاطُب مُتمايزة ومختلفة عن اللغة التي تتداولها النخب السياسية؛ وذلك من خلال التركيز على اللغة العامية والمفردات التي يفهمها الجميع، والابتعاد عن الغموض والشعبوية[40]. والهدف من ذلك هو التميز من لغة التخاطب الرسمية التي تبدو لغةً مأزومة لا تعكس معاناة المواطن المغربي واهتماماته.

إن المكسب الذي حققته حركة 20 فبراير هو ممارستها تأثيرًا كبيرًا ومباشرًا في نظام الخطاب داخل الخطاب الرسمي ذاته، الذي حاول أن يستعمل اللغة السياسية والحقوقية نفسها المتداولة من طرف الشباب في الفضاء العمومي. وغالبًا ما يأتي الخطاب الرسمي ليحتوي الغضب والمطالب التي يتم الإعلان عنها؛ كما حدث في مناسبات عديدة (ما بات يعرف في الأوساط الحقوقية والصحفية بفضيحة مغتصب الأطفال دانييل Daniel Gate[41]. لقد كان خروج الشباب المغربي للاحتجاج هذه المرة ضد المؤسسة الملكية التي طالبوها بعدم احتكار العفو من دون المرور بالمساطر القانونية والمؤسساتية، وكذا المطالبة بتوضيح الإجراءات المرتبطة بعملية العفو.

## 2. خطاب الأزمة

فرض الواقع الجديد تجديد الخطاب السياسي، سواء كان خطابًا حزبيًا أو رسميًا. في هذا الإطار، نشير إلى اللغة التي أصبحت تصاغ بها الخطابات الملكية؛ ففي إحدى فقراته، أشار الخطاب الملكي، في 30 تموز/ يوليو 2014، إلى مطلب 20 فبراير المتعلق بالتوزيع العادل للثروة. وتمّت الإحالة في الخطاب على الدراسات التي أنجزها البنك الدولي حول الوضع الاقتصادي للبلد بالقول: إن المغرب مصنف من بين الدول الأولى على الصعيد الأفريقي، من دون أن ينعكس ذلك

38 Adil Moustaoui Srhir, "Le Mouvement 20 février au Maroc entre l'autolégitimation et la délégitimation de l'État: Une analyse critique du discours," *Pragmalingüística*, no. 22 (2014), p. 118, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2HKcMkY

39 Bouchra Sidi Hida, "Mobilisations collectives à l'épreuve des changements au Maroc," *Revue tiers monde*, no. 5 (2011), p. 168, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2FEWGmG

40 Adil Moustaoui Srhir, "New linguistic Practices of the February 20 Movement in Morocco: Toward a New Model of Language Policy," *Nordic Journal of African Studies*, vol. 25, no. 1 (2016), p. 74, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2JP2a0S

41 في آب/ أغسطس 2013، أصدر العاهل المغربي عفوًا عن مجموعة من السجناء، من ضمنهم سجين إسباني متابَع في قضايا جنائية تتعلق باغتصابه 12 طفلًا مغربيًا أثناء إقامته بمدينة القنيطرة شمال العاصمة الرباط. وقد كان رد فعل الشارع قويًا اضطر معه القصر الملكي إلى إصدار بلاغات متتالية في ظرف وجيز؛ وذلك في سابقة من نوعها في تاريخ المؤسسة الملكية التي وضعته في موقف محلي ودولي محرج.

إيجابيًا على المواطن. إذ نجد في إحدى فقرات الخطاب الملكي الجملة التالية: "أتساءل باستغراب مع المغاربة: أين هي هذه الثروة؟ وهل استفاد منها جميع المغاربة، أم أنها همّت بعض الفئات فقط؟"[42].

لم يكن ممكنًا لخطاب سياسي من هذا النوع أن يظهر لولا الدور الذي أداه جيل الشباب، بإثارة قضايا وموضوعات تهمّ الشأن اليومي للمواطنين؛ كالبطالة، والفقر، والهشاشة، والإقصاء الاجتماعي. وقد عبّر الشباب عن ذلك بلغة واضحة، من خلال استعمال التقنيات الحديثة ووسائل التواصل العصرية كقنوات اليوتيوب والبودكاست[43].

يضاف إلى ذلك أن المواكبة الإعلامية من طرف الشباب للقضايا المحلية والإقليمية والتفاعل معها في مواقع التواصل الاجتماعي، أحرج النخبة السياسية التي ظلت في أغلبها سجينة الممارسات السياسية التقليدية، ما جعل من القادة السياسيين والفاعلين الحزبيين موضوع استهزاء في كثير من الحالات، وهو أمرٌ يكشف عن أن خطابهم كان مأزومًا. وفي مثل هذه الحالات، من الطبيعي جدًا أن تظهر حركات اجتماعية تطرح نفسها بوصفها بديلًا، كاشفةً تناقضات خطاب الأزمة.

في هذا السياق، يرى إريك نوفو أن طبيعة النسق السياسي تساهم في ارتفاع حظوظ نجاح الحركات الاجتماعية أو انخفاضها، ويرتبط ذلك بأربعة محددات أساسية، هي:

- درجة انفتاح النظام مع وجود تقاليد ديمقراطية وثقافة سياسية، تحوّل الفعل الاحتجاجي إلى مجال للتسامح وإعادة البناء.
- درجة من الاستقرار في التحالفات السياسية؛ فكلما كانت علاقات القوى السياسية قوية والنتائج الانتخابية ثابتة، كانت النتائج المتوقعة من الفعل الاحتجاجي ضعيفة.
- إمكان وجود قوى بديلة من الوضعيات الإستراتيجية والانقسام الذي يمكن أن يحدث داخل النخبة.
- قدرة النظام السياسي على تطوير السياسات العمومية، وإعطاء إجابات عن المشكلات والمطالب التي تطرحها الحركات الاجتماعية[44].

في غياب تقاليد ديمقراطية، مع وجود تحالفات سياسية هشة غير مؤسسة على برامج سياسية واضحة في بلد مثل المغرب، لا بد من أن يكون الأداء السياسي ضعيفًا وبعيدًا عن أفق انتظارات الفئات التي ترفع المطالب وتحتج من أجل تحقيقها. إن الرهان الذي ركزت عليه الحركات الاحتجاجية منذ الاستقلال إلى اليوم يصب، في معظمه، في خانة "الإصلاح"؛ إصلاح الملكية والحد من هيمنتها على المجال السياسي؛ لهذا فإن تاريخ الحركات الاحتجاجية إلى اليوم هو مسار يأخذ من الفضاء العمومي أداة وآلية للضغط. كما أن ما ميّز هذا المسار الاحتجاجي المغربي هو أن جيل الشباب، بوصفهم فاعلين اجتماعيين، يختارون أشكال الفعل الملائمة لمطالبهم. وحتى إن كانت ردود فعل السلطة عنيفة، فإنهم يتجنبون المواجهة معها.

كما أن أحد تمظهرات هذا التحول هو انهيار "حائط الخوف"؛ من خلال احتلال الفضاء العام على نحو يتوقف فيه الفرد عن عدّ ذاته مهمشًا، وهذا وحده سبب كافٍ ليحمل الفرد وعيًا سياسيًا حول واقعه، وهو ما ذهبت إليه الباحثة مُنية الشرايبي في دراستها حول علاقة الشباب الحاصلين على شهادات والمعطلين بالوعي السياسي، لتخلص إلى أن هناك نوعًا من "التنشئة النضالية" للشباب الحاصلين على الشهادات الجامعية[45]؛ ففي هذه الحال، يكون الشاب في علاقة زمنية بمن سبقه ثم يلتحق بالمجموعة، لتتأسس علاقة جيلية داخلها.

تكون الأشكال الاحتجاجية من وقفات ومسيرات مصحوبة بشعارات بعضها ذات مطالب اجتماعية، لكن هناك شعارات أخرى ذات حمولات ودلالات سياسية، تجعل من المعطل الحاصل على دبلوم في قلب الاهتمامات والقضايا التي ترتبط بالسياسات العمومية عامة، وليس بسياسة التشغيل فقط. وإذا حدث أنْ وضع الطالب أثناء فترة الدراسة في الجامعة مسافة بينه وبين العمل السياسي، فإن عدم إدماجه في سوق الشغل يجعله، موضوعيًا، مهيأً للاهتمام بها ومعرفة توجهات الدولة بخصوص سياسة التشغيل على الأقل، وهذا في حد ذاته اهتمام سياسي.

إن مفهوم "الشباب"، كونهم فئة عمرية محددة سوسيولوجيًا[46]، أصبح مرادفًا للإقصاء والإبعاد عن المسؤولية الاجتماعية، ومرادفًا لغياب إمكان ممارسة السلطة، والخضوع للفرص المحدودة أيضًا، ولكنه في الوقت نفسه، يمثل صورة ضمنية بالنسبة إلى الفئات التي من المحتمل أن تمثل، أيضًا، "خطرًا". ومن خلال الرجوع إلى تمثيلية الشباب في المجتمع المغربي، نجد أنها هي التي تمثل القاعدة العريضة من المجتمع؛

42 خُطب صاحب الجلالة، "نص الخطاب الذي وجهه جلالة الملك إلى الأمة بمناسبة الذكرى 15 لعيد العرش المجيد"، البوابة الوطنية للمغرب، 30 تموز/ يوليو 2014، شوهد في 2018/5/21، في: https://bit.ly/2IVhvAe

43 نشير في هذا الصدد إلى العديد من المبادرات التي قام بها ناشطو حركة 20 فبراير من أجل الاستمرار في الفعل على المستوى الإعلامي، على الرغم من خفوت الحركة في الشارع؛ مثل تجربة "تسوليزم" التي كانت من إبداع أحد الأعضاء الناشطين في شباب الحركة وقد لقيت إقبالًا كبيرًا، وقد دفع تفاعل الشباب مع مثل هذه التجارب أحد ممثلي اليسار الاشتراكي الموحد في البرلمان إلى التواصل مع المواطنين والمنتخبين عبر تقنية البودكاست.

44 Erik Neveu, *Sociologie des mouvements sociaux*, 3rd ed. (Paris: La Découverte, 2002), p. 102.

45 Mounia Bennani-Chraïbi, "Jeunesses marocaines et politique: le clivage générationnel revisité," in: Mounia Bennani-Chraïbi & Iman Farag, *Jeunesse des sociétés arabes: par-delà les promesses et les menaces* (Le Caire: CEDEJ, 2007).

46 Pierre Bourdieu, *La jeunesse n'est qu'un mot: En Questions de sociologie* (Tunis: Repris Cèrès, 1993), p. 144.

فبحسب الإحصاءات الرسمية، يمثل نحو 38.6 في المئة من الساكنة التي يراوح عمرها ما بين 20 و44 سنة[47]. وهنا تظهر خطورتها في المطالب التي يمكن أن تحملها هذه الفئة؛ فهي لم تعُد تقبل بالتهميش والإبعاد والإقصاء، بل تريد أن تكون طرفًا فاعلًا في الحياة الاجتماعية. وهذا يجعلنا أمام صيرورة اجتماعية جيلية تجعل من كل جيل حامل لبراديغم خاص به مطورًا ومجددًا للبراديغمات الجيلية السابقة على نحو متراكب Chevauchement des générations.

إن التحولات الاجتماعية لا تأتي فجأة ومن دون توقعات. وإن بدت كذلك؛ فلأننا عجزنا، أو لم نعطِ أهمية لصيرورة التحولات والتغيرات البطيئة التي لا تظهر أمام أعيننا، مثلما أن التحولات العلمية لا تكون عفوية؛ فهي تحدث نتيجة تراكمات في المعارف، وكل ثورة علمية تأتي لتجيب عن تساؤلات وإشكالات جديدة لا تستطيع النظريات السابقة الإجابة عنها (وجود أزمة)؛ نظرًا إلى تغير شروط بناء الموضوع العلمي[48]. إن كل تحول سياسي ليس إلا أحد تمظهرات التحولات التي تحدث في الحقول الأخرى، وخاصة الحقول الاجتماعية الثقافية المرتبطة بطبيعة العلاقات بين الأفراد، والنظرة التي تكون لديهم تجاه العالم. لهذا يجب رفض فكرة أن النظام لا يتغير ولا تقع داخل بنيته تحولات، وإلا سنجد أنفسنا أمام أنظمة سلطوية تتكون من ذاتها. كل ما في الأمر أن كل شيء يتغير وتقع داخله حركية من أجل أنْ يبدوَ ألا شيء تغير[49].

كل هذا يؤشر إلى أن الفعل السياسي يحمل أزمة مزدوجة، أزمة خطاب، لأنه غير قادر على تجديد آليات العمل السياسي بما يساير التحولات التي عرفها المجتمع، وواقع يجعل من خطابه تجليًا لأزمة يعشيها في مستويات تنظيمية وفكرية.

## رابعًا: "حراك الريف" واندحار الفعل السياسي المؤسساتي

يمكن عدّ الحركة الاحتجاجية التي عرفها شمال المغرب، وخاصة منطقة الريف وما بات يعرف بـ "حراك الريف"، لحظة مجددة في الفعل الاحتجاجي بالمغرب لما تراكم منذ 20 شباط/ فبراير 2011؛ فعلى الرغم من الطابع الاجتماعي والاقتصادي للمطالب المتجلي في رفع التهميش وإقامة البُنى التحتية ومحاسبة المفسدين، فإنه في الوقت نفسه تعبير عن خطاب سياسي واضح.

لقد كان لمقتل بائع السمك محسن فكري وطحنه في حاوية قمامة وقع الصدمة على الشارع المغربي؛ إذ خرجت أغلبية المدن المغربية للتنديد بالحادث والمطالبة بمحاسبة المسؤولين عنه. هذا الحدث، وإن بدا عارضًا Accidentel، فإنه أثار مسارًا تجديديًا اتسع وانتشر في المجتمع حتى أخذ صفة التغيير[50]. وإن وظيفة الحدث عمومًا، كما يقول إدغار موران، هي تسريع الشروط الموضوعية السابقة له، وخصوصًا إذا كان صادمًا وفي نطاق أزمة هائلة يعرفها المجتمع[51]. إن الحدث ينقل المجتمع من الجزئي إلى الكلي والعام، ومن العناصر الدقيقة إلى القضايا المركبة والمعقدة؛ ولهذا يتحول الحدث إلى قوة موحدة وعامل أساسي لطرح السؤال وللنقد.

إن حراك الريف انعكاس لوعي جيلي يعيد إحياء الذاكرة السياسية الجماعية للسنوات الأولى من الاحتلال الإسباني للمنطقة، والمقاومة المسلحة الشرسة التي قُوبل بها من طرف الساكنة المحلية تحت قيادة عبد الكريم الخطابي[52]. إنها رموز ثقافية وسياسية في الآن نفسه، تحيل على قوة المقاومة من جهة، وعلى مقاومة الشباب للتهميش الذي لحق بالمنطقة منذ الانتفاضة التي حدثت سنة 1958، والتي ردت عليها الدولة بالعنف والقوة، من جهة أخرى.

إن من شأن هذه الرموز التاريخية، بمعناها الأنثروبولوجي لكونها تحمل دلالات ومعاني مُوحَّدة ومُوحِّدةً للجماعة، أن تمثل تعبيرًا عن المقاومة والتضحية والهوية. وهذه الدلالات هي التي نجدها في الوعي الجمعي لدى شباب الحراك، وبواسطتها يتم وصل الذاكرة السياسية للأجيال بالحاضر لبناء وعي جيلي جديد. إن الحراك يحيل في هذا السياق الاجتماعي على آليات التغير الاجتماعي؛ وذلك بالتركيز على تعاقب الأجيال ومفعولها الزمني، المتجلي في القدرة على إدماج أجيال جديدة ودورها في عملية الانتقال واستمرار التنشئة الجيلية[53].

من منظور تاريخي، تُعرف الذاكرة بأنها تجسيد لعلاقة انتقائية للماضي، وإعادة بنائه؛ ليخدم الوجود الحاضر للجماعة الاجتماعية.

---

47 Haute Commissariat au Plan, "Démographie – Maroc," Indicateurs RGPH, HCP, 2014, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2w6tqpF

48 Thomas Kühn, *La Structure des révolutions scientifiques* (Paris: Flammarion, 2008), p. 25.

49 Jean-Noël Ferrié, "Dispositifs autoritaires et changements politiques: Les cas de l'Égypte et du Maro," *Revue Internationale de Politique Comparée*, vol. 19, no. 4 (2012), p. 94.

50 المقصود بالتغيير ليس دعوة إلى قلب الأوضاع، وإنما محاولة تغيير علاقة السلطة بالمواطن عبر العمل على ضمان حقوقه وكرامته، على الرغم من أن الحدث في بعض الأحيان يكون عاملًا على قلب الأوضاع والقيام بانتفاضات وثورات؛ كما حدث في تونس مثلًا.

51 Edgar Morin, "Pour une sociologie de la crise," *Communications*, vol. 12, no. 1 (1968), p. 5.

52 مقاومة ألحقت هزيمة بالاحتلال في معركة أنوال قبل تدخّل السلطات الفرنسية لهزيمتها ونفي عبد الكريم الخطابي إلى مصر. هذه الأحداث ما زالت تلهم شباب المنطقة؛ لذا نجدهم يحملون أعلام جمهورية الريف التي تأسست في الفترة 1921-1926.

53 Devriese, p. 11.

فالذاكرة (الجماعية) تنير تَجذُّرَ الذكرى الفردية في المجتمعي والجماعي على حد سواء، وترسّخ التمثلات اليومية في التاريخ؛ لأن وظيفتها تأسيس هوية الجماعة الاجتماعية[54]. هذا الانتقاء للأحداث الماضية لديه وظائف اجتماعية، لأنه يتم بطريقة واعية وغائية Intentionnelle؛ بالنظر إلى أنه يتوجه إلى فئة اجتماعية جيلية ليطعم وعيها، ويربط ماضيها بحاضرها على اعتبار أن هذا الحاضر امتداد للماضي.

هناك علاقة بين الجيل والذاكرة الجماعية، وهذه العلاقة تتأسس على الحدث لأنه يحيل على ضرورة التفكير في نموذج يجب اتباعه واقتفاء أثره[55]. في حراك الريف هناك ذاكرة جماعية تحيل على المقاومة والانتصار، وهناك وعي جيلي في هذه الذاكرة يريد استعادة أمجادها، وهناك حدث. كلها عناصر قابلة، في شروط اجتماعية معينة، لأنْ تخلق حركة اجتماعية بمطالب محددة. وقد جاءت تعبيراتها السياسية متضمنة لكل هذه العناصر بلغة سياسية قوية غير معتادة.

لهذا، وبحسب باتريك شارودو الذي يقول: "إن الخطاب السياسي هو عبارة عن نتاج لغوي ضمن علاقات الإقناع"[56]، لا بد من أن تتوافر في هذا الخطاب ثلاثة محددات حتى يحقق الفعل التواصلي؛ هي البساطة، والصدقية، والتأثير. حينما يكون الخطاب بسيطًا، تكون له قوة مُوحِّدة، ويمس عددًا أكبر من الجماهير أو المناصرين، وهي خاصية تسمح لهؤلاء المناصرين بالتأكد من صدقيته وقياسه واقعيًا؛ ومن ثم ممارسة التأثير فيهم وكسب ثقتهم. وهذا بالضبط ما يمكن ملاحظته في ظاهرة "الحراك". خطاب يدخل في خانة التضحية بكل شيء من أجل استمرارية المبدأ والفكرة. يقول ناصر الزفزافي، بوصفه قائدًا ميدانيًا للحراك في أحد تجمعاته: "إذا اعتقلت فقد انتصرت، وإذا اختطفت فقد انتصرت، وإذا عذبت فقد انتصرت، وإذا استشهدت فقد انتصرت"[57].

وإذا كان الجيل لا يمكنه أن يوجد إلا في علاقة تزامن مع أجيال أخرى، فإن واقعه الاجتماعي لا يُختزل في بعد رمزي فحسب، بل يُجسد أيضًا واقعًا اجتماعيًا في فترة محددة وملموسة[58]. كذلك هو جيل الحراك؛ إذ يجسد الذاكرة الجماعية ويعطيها مدلولًا اجتماعيًا جديدًا يحدد به هويته في علاقته بالأجيال الأخرى، ويتحدد هو بتلك الذاكرة. إنه وعي جيلي يتوسط التاريخي/ الزمني والاجتماعي ويربط بينهما. هناك ثقل التاريخ بوصفه جغرافيا اجتماعية تضم تضاريس جيلية متنوعة مُكملة لبعضها، كل طبقة تنبني على أخرى مشكّلة قاعدة ومرجعًا لها، وفي الوقت نفسه، معارضة لها؛ لأنها محكومة بشروط تاريخية جديدة.

> أظهر "الحراك" أن جيلًا جديدًا من الشباب قد ظهر إلى جانب جيل 20 فبراير مبدِعًا أشكالًا تعبيرية احتجاجية نوعية، جيل يرى أن المطالب التي خرج من أجلها لم تتحقق

لقد اتضح أن الحراك، كما يقول أحد الناشطين، ليس هو حركة 20 فبراير، إنه حراك قادم من الهامش - مقارنة بحركة 20 فبراير التي كان وراءها شباب متعلم ومسيّس - أغلبه ينتمي إلى الطبقات الوسطى. ووراء حراك الريف، تقف قيادات شعبية بسيطة يصعب احتواؤها، قيادات لا تهادن ولا تساوم، مثلت كاريزما استثنائية مكنتها من تعبئة الشارع بكل أطيافه، وتلك هي قوّته. لكنه في المقابل حراك لا يلغي التاريخ، ومن أهم نقاط قوّته استناده إلى خطاب سياسي يمس كل الفئات الاجتماعية بلغة بسيطة خلقت تجانسًا ثقافيًا، واجتماعيًا وسياسيًا.

أظهر "الحراك" أن جيلًا جديدًا من الشباب قد ظهر إلى جانب جيل 20 فبراير مبدِعًا أشكالًا تعبيرية احتجاجية نوعية[59]، جيل يرى أن المطالب التي خرج من أجلها سنة 2011، تزامنًا مع ما عرف بـ "الربيع العربي"، لم تتحقق. من جهة أخرى، فإن عدم التجاوب مع مطالب الحراك والتعامل معه بمقاربة أمنية يجعل الجيل الصاعد يستبطن مشاعر عدم الثقة؛ ومن ثم يؤكد النظرة السلبية التي

54 Marie-Claire Lavabre, "Génération et mémoire," Intervention au Congrès de l'Association Française de science politique, 22-24 Octobre 1981, Paris, France, table ronde no. 2, "Génération et politique," p. 3, accessed on 21/5/2018, at: https://bit.ly/2juhmFD

55 Marie-Claire Lavabre, "Du poids et du choix du passé: lecture critique du syndrome de Vichy," in: Denis Peschanski, Michael Pollak & Henry Rossou (dir.), *Histoire Politique et Science Sociale* (Paris: editions Complexe, 1991), p. 269.

56 شارودو باتريك، "الخطاب السياسي أو سلطة اللغة"، ترجمة نجيب غزاوي، مجلة **الفكر السياسي**، العدد 51-52 (2014)، ص 131.

57 علي أنوزلا، "دفاعًا عن ناصر الزفزافي"، مدونات الجزيرة، 2017/6/1، شوهد في 2018/5/21، في: https://bit.ly/2wYRjQh

58 Attias-Donfut Claudin, "La notion de génération: Usages sociaux et concept sociologique," *L'Homme et la société: Le temps et la mémoire aujourd'hui*, vol. 90, no. 4 (1988), p. 49.

59 لأول مرة في المغرب نلاحظ مسيرات احتجاجية نسائية استُعملت فيها الأواني المنزلية من أسطح المنازل وشبابيكها لإحداث ضجيج حتى يجري إيصال صوت المحتجين، بعد منعهم من التظاهر في الفضاء العام.

مثلتها الأجيال السابقة. هناك، إذًا، تطعيم للوعي السياسي لدى جيل الشباب من طرف الأجيال السابقة، وهو لا يرتبط بمنطقة ويستثني أخرى، بل نجده يغطي كل الحقل السياسي والاجتماعي بدرجات متقاربة. أعاد حراك الريف إلى الساحة السياسية والفضاء العمومي طرح الأسئلة من جديد حول مطلب الديمقراطية وإعادة بناء الدولة الحديثة. وهكذا فإن الحركات السياسية، عمومًا، بحسب ريتشارد ومارغرت برونغرت، تشتغل بقضيتين أساسيتين، هما: الحق المدني (ضمان الحقوق الأساسية كما هو متعارف عليها كونيًا)، والإصلاح السياسي (أو تغيير النظام).

## خاتمة

من خلال ما سبق، يظهر في نهاية التحليل أن أزمة المجتمع المغربي هي أزمة مرتبطة بالخوف من جيل الشباب الذي يحمل مطالب ومشروعًا مجتمعيًا، مدخله الأساسي مجتمع ديمقراطي يضمن حقوق الأفراد، ليصبح الخوف من الجيل، الذي تمرَّس بالاحتجاج وأبدع في أشكاله، خوفًا من قيام مجتمع ديمقراطي وحداثي يضمن للجميع تكافؤ الفرص؛ عبر التخلص من كل مظاهر الفساد والمحسوبية. الخوف من جيل الشباب ليس باعتباره فئة عمرية ولحظة زمنية من مسار الحياة، وإنما هو خوف من أن يصبح المجتمع في حركية دائمة تقوم على تشبيب الأسئلة والدعوة المستمرة إلى إحياء الدينامية الاجتماعية. غير أن هذا الوعي السياسي الجيلي ليس وليد لحظة راهنة بل إنه تكوَّن نتيجة مسارات وصيرورات تاريخية حاضرة في الذاكرة الجماعية للأفراد، يتم العودة إليها في كل لحظة؛ سواء لانتقادها وتقييمها أو لتجديدها وتجاوزها.

## المراجع

### العربية

باتريك، شارودو. "الخطاب السياسي أو سلطة اللغة". ترجمة نجيب غزاوي. مجلة **الفكر السياسي**. العدد 51-52 (2014).

البرنوصي، عمر. "المجتمع المدني: الانتقال الديمقراطي والملكية في المغرب"، **وجهة نظر**. العدد 23 (خريف 2004).

حمزاوي، زين العابدين. "الأحزاب السياسية وأزمة الانتقال الديمقراطي في المغرب". **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العدد 16 (خريف 2007).

رشيق، عبد الرحمن. **الحركات الاحتجاجية بالمغرب: من التمرد إلى التظاهر**. ترجمة الحسين سحبان. الرباط: بدائل المغرب، 2014.

العلام، عبد الرحيم. "صلاحيات الملك في الدستور المغربي: دراسة نقدية". **المجلة العربية للعلوم السياسية**، العدد 41-42 (2014).

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **برنامج قياس الرأي العام العربي: المؤشر العربي 2016**. الدوحة: 2016.

واتربوري، جون. **أمير المؤمنين: الملكية والنخبة السياسية المغربية**. ترجمة عبد الغني أبو العزم وعبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق. ط 2. الرباط: مؤسسة الغني للنشر، 2004.

### الأجنبية

Baudouin, Dupret et al. (dir.). *Le Maroc au présent: d'une époque à l'autre, une société en mutation*. Casablanca: Centre Jacques Berque- Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud pour les Études Islamiques et les Sciences Humaines, 2015.

Bennani-Chraïbi, Mounia & Iman Farag. *Jeunesse des sociétés arabes: par-delà les promesses et les menaces*. Le Caire: CEDEJ, 2007.

Bono, Irene. "Une lecture d'économie politique de la 'participation des jeunes' au Maroc à l'heure du Printemps Arabe." *Revue Internationale de Politique Comparée*. vol. 20. no. 4 (2013).

Bourdieu, Pierre. "Le langage autorisé: Note sur les conditions sociales de l'efficacité du discours rituel." *Actes de la recherche en sciences sociales*. vol. 1. no. 5-6 (1975).

_____. *La jeunesse n'est qu'un mot: en Questions de sociologie*. Tunis: Repris Cèrès, 1993.

Claudin, Attias-Donfut. "La notion de génération: Usages sociaux et concept sociologique." *L'Homme et la société: Le temps et la mémoire aujourd'hui*. vol. 90. no. 4 (1988).

Crete, Jean & Pierre Favre. *Générations et politiques*. Paris: Economica/ Les Presse de l' université Laval, 1989.

Le Saout, Didier & Marguerite Rollinde. *Émeutes et mouvements sociaux au Maghreb: Perspective comparée*. Paris: Karthala Editions, 1999.

Mannheim, Karl. *Ideology and Utopia: An Introduction to the Sociology of Knowledge*. London: Routledge & Kegan Paul, 1954.

_____. *Essays on the Sociology of Knowledge*. New York: Routledge, 1972.

Marx, Karl. *Le 18 Brumaire de Louis Napoléon Bonaparte*. Paris: Éditions sociales, 1969.

Morin, Edgar. "Pour une sociologie de la crise." *Communications*. vol. 12. no. 1 (1968).

Neveu, Erik. *Sociologie des mouvements sociaux*. 3rd ed. Paris: La Découverte, 2002.

Peschanski, Denis, Michael Pollak & Henry Rossou. *Histoire politique et science sociale*. Paris: editions Complexe, 1991.

Riera, José González. "Des années de plomb au 20 février." *Confluences Méditerranée*. vol. 3. no. 78 (2011).

Royaume du maroc, Haut Commissariat au Plan. *Les jeunes en chiffres*. Rabat: Août 2012.

Sirinelli, Jean-François. "Génération et histoire politique." *Vingtième Siècle: Revue d'histoire*. no. 22 (Avril-Juin 1989).

Spitzer, Alan. "The Historical Problem of Generations." *The American Historical Review*. vol. 78. no. 5 (1973).

Srhir, Adil Moustaoui. "Le Mouvement 20 février au Maroc entre l'autolégitimation et la délégitimation de l'État: Une analyse critique du discours." *Pragmalingüística*. no. 22 (2014).

_____. "New linguistic Practices of the February 20 Movement in Morocco: Toward a New Model of Language Policy." *Nordic Journal of African Studies*. vol. 25. no. 1 (2016).

Desrues, Thierry. "Le Mouvement du 20 février et le régime marocain: contestation, révision constitutionnelle et élections." *L'Année du Maghreb*. no. 8 (2012).

Devriese, Marc. "Approche sociologique de la génération." *Vingtième Siècle: Revue d'histoire*. no. 22 (Avril-Juin 1989).

Ferrié, Jean-Noël. "Dispositifs autoritaires et changements politiques: Les cas de l'Égypte et du Maro." *Revue internationale de politique comparée*. vol. 19. no. 4 (2012).

Foucault, Michel. *L'ordre du discours*. Paris: Gallimard, 1971.

_____. *Il faut défendre la société: Cours au collège de France* (1975-1976). Édition numérique réalisée en août 2012.

García, Bernabé López. *Le Maroc et le printemps arabe dans un monde en plein changement*. PapersIEMed 11. Série en partenariat avec Euro Mesco. Barcelona: Institut Européen de la Méditerranée, 2012.

Habermas, Jürgen. *L'espace public: Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise*. Marc Buhot de Launay (trans.). Paris: Payot, 1978.

Hida, Bouchra Sidi. "Mobilisations collectives à l'épreuve des changements au Maroc." *Revue Tiers Monde*. no. 5 (2011).

Khadija, Mohsen-Finan. "Changement de cap et transition politique au Maroc et en Tunisie." *Pouvoirs*. vol. 2. no. 145 (2013).

Kühn, Thomas. *La Structure des révolutions scientifiques*. Paris: Flammarion, 2008.

Lavabre, Marie-Claire. "Génération et mémoire." Intervention au Congrès de l'Association Française de Science politique. 22-24 Octobre 1981. Paris, France.

أشرف عثمان محمد الحسن | Ashraf Osman Mohammed Elhassan*

# الحقل الشبابي في السودان وإعادة تشكيل المجال العام: بحث في ديناميات الفعل الجمعي ورهانات الحضور العمومي

# Youth in Sudan and the Reformation of the Public Sphere: A Study of the Dynamics of Social Action and the Potentialities for Public Involvement

تحاول الدراسة تتبع الرهانات التي يطرحها الفعل الشبابي غير الاحتجاجي، من جهة أن الإمساك بتلك الرهانات ربما يتيح فرصًا أفضل لدراسة الحقل الشبابي في السودان وتحليل توتراته الداخلية، بما يمهد للاقتراب من السؤال عمّا إذا كنا إزاء تغيرات في آليات اشتغال الحقل، وإن كان هذا التغير يَعِدُ بإعادة بناء المجال العام. وتطبق الدراسة على بعض المبادرات المدنية في السودان، وتركز الفرضية على أن السلطة بإضعافها/ تأميمها المجتمع المدني، بمعناه المؤسساتي، وبتقليصها الدولة إلى مستوى أجهزة القمع فيها، كانت توفر الشرط الملائم لدفع كتلة شبابية كبيرة صوب البحث عن أشكال أخرى تصلح أداة للفعل الجمعي المستقل، بدأ من خلالها الشباب في اجترام شكل جديد للمقاومة، لا من خلال حملات نضالية مسيسة، بل عبر تجذير حضورهم ضمن المجال العام.

**كلمات مفتاحية:** السودان، الشباب، شارع الحوادث، الحركات الاجتماعية، المجال العام.

This study attempts to understand the impact of non-protest youth action, specifically by focusing on the some civic initiatives. The author is convinced that the motives of the Sudanese youth behind this initiative would allow an analysis of their internal tensions, allowing researchers to ask whether or not we are facing a shift in how action is taken in the youth field, and whether such a change will alter the public sphere. The hypothesis which this study seeks to test is whether the Sudanese state's moves to appropriate civil society in the country, and to reduce the state apparatus to its bare bones oppressive machinery has driven a critical mass of Sudanese youth to create their own space and their own mechanisms from which collective action can be taken in future.

**Keywords:** Sudan, Youth, Social movements, The public sphere.

* أستاذ العلوم السياسية، كلية العلاقات الدولية والدراسات الدبلوماسية، الجامعة الوطنية، الخرطوم.

* Professor of Political Science, Faculty of International Relations and Diplomatic Studies, National University, Khartoum.

لا شيء أكثر حرية ولا أكثر إكراهًا في الآن ذاته من فعل اللاعب الجيد؛ فهو يوجد طبيعيًّا في المكان الذي ستسقط فيه الكرة. بيير بورديو

توجد حالات حيث يقوم الوالدان بترك أطفالهما والاختفاء؛ لأنهما ببساطة لا يملكان المال. كانت تلك هي اللحظة التي أدركنا فيها أن الأطفال لا يحتاجون إلى ترفيه وتسلية، وإنما يحتاجون إلى أدوية. مجاهد محمد الحاج، من مؤسسي "شارع الحوادث"

## في سؤال الافتتاح

في صبيحة 16 أيار/ مايو عام 2015، تقدمت سيدة سودانية، بائعة الشاي "أم قسمة"، وهي النازحة من جنوب كردفان، لتقص الشريط إيذانًا بافتتاح غرفة للعناية المكثفة في أحد مستشفيات الأطفال العمومية في أم درمان. غرفة العناية المكثفة تلك كانت مشروعًا لمجموعة شبابية ظلت تنشط منذ عام 2012 في مساعدة الأطفال، ممن لم يعد ذووهم قادرين على تحمّل تكلفة العلاج، في سياق بدأت الدولة فيه تغسل يديها من تقديم تلك الخدمات مجانيًا، وبات ممكنًا خلاله معاينة الخصخصة وهي تلتهم تدريجيًّا قطاعًا صحيًّا كان مملوكًا للعامة.

تضم تلك المبادرة التي فازت بجائزة أبطال حقوق الإنسان المقدمة من الاتحاد الأوروبي عام 2016، أكثر من ألفي متطوع ينشطون في الخرطوم بمدنها الثلاث وثماني عشرة مدينة أخرى[1]. لم تكن تلك هي المبادرة الوحيدة التي أنتجها الحقل الشبابي في السودان خلال الأعوام الأخيرة، فقد سبقتها انتشارًا مبادرة "نفير"، التي كانت قد نشطت في مساعدة المتأثرين بالسيول والأمطار أثناء خريف عام 2013، قبل أن تتم تصفيتها وتُنزع قدرتها التوليدية من قبل السلطة التي عدّتها توظيفًا لقضايا إنسانية من أجل السياسة. كما واكبتها مبادرات أخرى كـ "صدقات" و"عديل المدارس"، و"تعليم بلا حدود"، و"وصول"، و"مجددون"، و"صرير الصي"، وغيرها. ظلت إحدى السمات الملازمة لذاك الفعل الشبابي هي عدم انخراطه مباشرة في المجال السياسي، فقد ظل المنخرطون في تلك المبادرات ينأون بحراكهم الذي جرى تعميده إنسانيًّا عن تجاذب سياسي أضحى مزمنًا، ويشددون على استقلالية حراكهم وحماية مكتسباته من التوظيف السياسي من هذا الفريق أو ذاك.

على الرغم من ذلك الخطاب العلني للشباب الذي يفسره بعض المحللين أنه نتاج لشرط سياسي ظلت فيه السلطة تشتبه مسبقًا في أي حضور ضمن المجال العام، وتنظر إليه ككرة ثلج يجب الحرص على منع تدحرجها، فإن الورقة لا يمكنها إلا أن تموضع تلك التغيرات الحادثة في الحقل الشبابي داخل دائرة السياسة، بما هو، أي الفعل الجمعي للشباب منازعة للسلطة في مصادرها التقليدية لشرعنة نفسها. صحيح أنه ليس ضد السلطة، حتى الآن على الأقل، ولكنه خارج شبكاتها، وهو لفت للانتباه إلى مظالم اجتماعية أو اختلالات في البنى الحكومية. وبما أنه - وهو الأهم والأكثر جذرية - فعل يعد بالقطع مع قواعد اللعبة الاجتماعية والسياسية وأسسها، فاختيار بائعة شاي لافتتاح غرفة العناية المكثفة في تأويل الورقة فعل ثوري ترجم تحديًا، وربما تمردًا، على النظام بمعناه الأعم، ليس السياسي فقط، بل الثقافي والقيمي. وهو فعل يخلخل "الأجهزة الأيديولوجية للدولة"، أو هو بعبارة أخرى ثورة ضد النسق وتحطيم تلك التراتبية التي ظل "السياسي" خلالها يعيد إنتاج ذاتـه. صحيح أن تلك المجموعات تتحرك راهنًا ضمن وعي سياسي غامض؛ لأنها، باستعارة بيير بورديو، لم تجد خطابها بعد، لكنها ربما تعيد تعريف السياسة، على نحو ما يقترح أكاديمي سوداني (عطا البطحاني)[2]، بسبب ذلك الغموض وحالة الـ "لا انخراط" المباشر تلك بالذات.

إذا كان مسار تلك المجموعات متنوعًا تختلف هواجسه وقضاياه من تجربة إلى أخرى، فإن ثمة قاسمًا مشتركًا ترجو الورقة أن يكون اشتغالها بمبادرة "شارع الحوادث" كافيًا لإبرازه. كما تأمل أن يوفر الإمساك بذلك الرهان المشترك مدخلًا لدراسة الحقل الشبابي في السودان، والقيام بتحليل دينامياته وتوتراته، بما يمهد للاقتراب من سؤال إن كنا إزاء تغيرات في آليات اشتغال الحقل، وتفهم، بالمعنى الفيبري للكلمة، إن كان ذاك التغيير بفرض حصوله يعيد بناء الفضاء العمومي، ذاك الذي يرسم حدود التقاطع بين المجتمع والدولة بالكيفية التي تكبح سحق الثانية للأول، وفي الوقت ذاته يعيد ترميم ما بقي من الثانية. لسنا إذًا بصدد قراءة شاملة في حصيلة ذلك الفعل ونتائجه، فغاية ما تأمل الورقة إنجازه هو الإمساك بخيوط مفتاحية للتفكير في الموضوع.

1 تنشط المبادرة، إضافة إلى الخرطوم العاصمة، في مدن: عطبرة، وبورتسودان، وسنار، والقضارف، والمناقل، وكسلا، وشندي، والدامر، والنيل الأزرق، الأبيض، وكوستي، والحاج عبد الله، ومدني، والحصاحيصا، ودنقلا، والفاشر، وبربر.

2 يرى عطا البطحاني أن المجال يبدو مفتوحًا للشباب لإعادة تعريف السياسة "تعريفًا مفتوحًا على المستقبل وليس منكفئًا على الماضي... يفكك أزمة الحاضر المستعصي على التغيير ويفك شفرته. وهو تعريف يحفز على الفعل الخلاق، وهو ما سيكون بالنتيجة نافيًا ومصادمًا للمفهوم السائد حاليًا للسياسة، وهو مفهوم حوّل العلاقة التعاقدية بين الحاكم والمحكوم إلى علاقة رعوية بدلًا من علاقة مواطنية، بحيث أصبحت السياسة ساحة لاقتناص الغنائم والكسب الريعي دون محاسبة"، انظر: عطا البطحاني، "إعادة تعريف السياسة: ما بين جمعية اللواء الأبيض ومجموعة شباب شارع الحوادث"، موقع حريات سودان، 2015/7/29، شوهد في 2018/3/18، في: http://www.hurriyatsudan.com/?p=184904؛ وانظر أيضًا: خالد التجاني النور، "مبادرات شبابية تعيد تعريف السياسة"، موقع النيلين، 2015/5/26، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/UP1MJ3

يركز افتراض الورقة الذي تسعى لمناقشة حدود صحته على أن السلطة بإضعافها المجتمع المدني بمعناه المؤسساتي أو تأميمه، وبتقليصها الدولة إلى مستوى أجهزة القمع فيها، كانت توفر الشرط الملائم لدفع كتلة شبابية كبيرة صوب البحث عن أشكال أخرى تصلح أداة للفعل المستقل. غياب المجتمع المدني المأسس سيفسح المجال أمام أشكال جديدة من الحراك المجتمعي. وسيتكفل إحباط ناتج من انتقال سوداني مجهض - مع القمع الذي تعرضت له انتفاضة الشباب في أيلول/ سبتمبر 2013[3] - وربيع عربي استحال حروبًا هوبزية، بدفعه بعيدًا عن السياسي بمعناه المباشر. شهد ما بعد أيلول/ سبتمبر 2013، في افتراض الورقة، تحولًا في الحقل الشبابي نزع معه الحراك الشبابي عن ذاته نهجه الاحتجاجي، وتسارع تحوّل الشباب عن حركات اجتماعية جسدتها "قرفنا" كشكل للحركة الاحتجاجية بمعناها القصووي إلى "لا حركات اجتماعية"، بدأ الشباب خلالها اجتراح شكل جديد للمقاومة، لا من خلال حملات نضالية وإنما من خلال تجذير حضورهم ضمن المجال العام.

## مدخل نظري

حظيت الحركات الشبابية باعتناء كبير في الدرس السوسيولوجي منذ انتفاضة الطلاب في أيار/ مايو 1968، تضاعف ضمن السوسيولوجيا السياسية، لتكف منذ ذلك الحين موضوعة الشباب عن كونها موضوعة ثانوية يمكن لها الانـدراج ضمن مبحث سوسيولوجي أعم. وعلى المستوى العربي، تكاثف الاشتغال بدراسات الحقل الشبابي منذ عام 2011، حيث تعرض الحقل للدراسة من طرف عدد من الباحثين. هذه الموجة من النشاط البحثي التي تعثر على مبرراتها في تموضع الحركات الشبابية في موقع القلب من التحولات الحادثة في المنطقة، منذ ذلك التاريخ، اقتصرت في غالب تجلياتها على تحليل أشكال الفعل السياسي بمعناه المباشر. إذا كانت الورقة تشاطر تلك الكتابات اقتناعها بالأهمية الفائقة لدراسة تلك الحركات، فإنها ترى أن التركيز التحليلي شبه الحصري على حركات منازعة السلطة ليس من شأنه أن يمنحنا القدرة دائمًا على فهم الرهانات وتتبع الديناميات المتضمنة في الشباب كحقل. التركيز على الحركات ذات النضالات التنازعية دفع صوب إهمال منتج آخر من منتجات الحقل الشبابي المتحول بوتائر سريعة، وهي الرهانات التي طرحتها - ولا تزال تطرحها - حملات تبدو غير مسيسة.

السؤال الذي تواجهه الورقة الآن هو سؤال فهم تلك الحملات، أي تعيينها ضمن سجل بحثي ملائم. هل كانت الأطر التحليلية التي يزودنا بها مصطلح "الحركات الاجتماعية" قادرة على تتبع الديناميات، والإمساك بالرهانات الكامنة وراء الظهور العمومي غير التنازعي للشباب؟ أم سنكون في حاجة إلى مسارات نظرية بديلة لفهم الحراك غير النضالي؟ تقود محاولة تفحص نظرية "الحركة الاجتماعية" إلى النظر بإمعان صوب أعمال آلان تورين، مصدر انتشار مصطلح "حركات اجتماعية جديدة". بالنسبة إلى تورين وآخرين، فإن الحركات الاجتماعية هي فئة خاصة جدًّا ضمن مجموعة واسعة من أعمال المطالبة، هذه الحركات تتحدد بإرادة الحصول على حقوق تكون في حالة الحركات الاجتماعية الجديدة، مع تنوعها الشديد، حقوقًا ثقافية[4]. الحركة الاجتماعية في تحديد تورين، وانسجامًا مع خطوط التفكير التي دشنها في نهاية الستينيات، هي فعل جماعي تنازعي تتميز الجديدة منها بفعلها الجمعي خارج الفضاء الاقتصادي. الحركات الجديدة لم تعد تناضل من أجل استرجاع الهيكل المادي للإنتاج، بل تناضل من أجل إعادة امتلاك الفضاء والروابط ضمن الوجود اليومي الفردي[5]. ما يبقى ثابتًا أن "الحركة الاجتماعية كائنًا ما كان شكلها وقوتها تتحدد على أنها فاعلة نزاع، تعمل مع فاعلين آخرين منظمين بهدف الاستخدام الاجتماعي للموارد الثقافية والمادية التي يوليها كلا الفريقين المتنازعين أهمية مركزية"[6].

البعد التنازعي/ المطلبي بوصفه محددًا فارقًا للحركة الاجتماعية يمكن ملاحظته لدى تشارلز تلي، عندما يقرر أن "هذا المركب السياسي جمع بين ثلاثة عناصر، حملات من المطالب الجماعية على السلطات المستهدفة وعدد من تحركات رفع المطالب... تمثيل عام لصفات الجدارة والوحدة والزخم العددي والالتزام فيما يتعلق بالقضية، وإنني لأدعو ذلك المركب الخاص تاريخيًّا حركة اجتماعية"[7]. أنتوني غدنز من ناحيته، كان قد ركز على الخطاب المستهدف للتغيير كسمة لازمة للحركة الاجتماعية التي تنشأ "بغرض تحقيق التغيير حول قضية عامة مثل التوسع في الحقوق المدنية لإحدى شرائح السكان. وقد تبرز هذه الحركات والحركات المضادة في عدة مجالات من بينها الحركات الدينية وإباحة الإجهاض وإعلان الإضراب العام وغيرها"[8].

---

3 بحسب توثيق هيومن رايتس ووتش، فإن أعمال القتل والاعتقالات التي ارتكبت أثناء احتجاجات الفترة من 24 إلى 29 أيلول/ سبتمبر، شهدت مقتل 170 شخصًا رميًا بالرصاص كان أغلبهم من الشباب. كما اعتُقل أكثر من 800 ناشط، انظر: هيومن رايتس ووتش، **وقفنا.. وفتحوا علينا النار: أعمال القتل والاعتقالات التي ارتكبتها قوات الأمن السودانية أثناء احتجاجات أيلول/ سبتمبر**، 2014/4/21، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/wCNTP5

4 آلان تورين، **براديغما جديدة لفهم عالم اليوم**، ترجمة جورج سليمان (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011)، ص 257.

5 دديه لصاوت وحميدة حمومي، "نظرية الحركات الاجتماعية: هياكل وأفعال وتنظيمات: تحليل الاحتجاج الاستشرافي"، **إنسانيات**، العدد 8 (1999)، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/UxaHni

6 تورين، ص 258.

7 تشارلز تلي، **الحركات الاجتماعية 1768-2004**، ترجمة ربيع وهبة، المشروع القومي للترجمة (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص 44.

8 أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص 487.

الحركة الاجتماعية وفقًا لتلك المقدمات هي فعل يقدم عليه فاعل جمعي ضد السلطة أو ضد فاعل آخر، ويدور حول قضية ما محددة. قد يأخذ نموذجًا ناعمًا أو عنيفًا، وفي الحالتين فإن ما يميزها كفعل اعتراضي هو كسرها الروتين اليومي في الحياة العامة، إن بالتظاهر أو العصيان أو الاعتصام[9]. وهو ما يؤكده آصف بيات، إذ رأى أن "الحركات الاجتماعية تهتم على نحو رئيس بـ 'سياسة الاعتراض'، وبالممارسات السياسية النضالية المستمرة التي يقوم فيها الفاعلون الجمعيون بممارسة ضغط على السلطات لتحقيق مطالبهم"[10].

إن ما يجمع حركة أيار/ مايو 1968 في أوروبا مع حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة، وحركة التضامن في بولندا، والحركة المصرية من أجل التغيير "كفاية"، وحركة 6 أبريل في مصر، وحركة 20 فبراير، وحملة الشهادات المعطلين في المغرب، وحركة السكان الأصليين في بوليفيا، وجمعيات دفن الموتى في زيمبابوي، وحركة "قرفنا"، والحركات النوبية المقاومة للسدود، هو الاعتراض على خصم ما. وسواء أكان الاعتراض عنيفًا أم سلميًّا، وسواء تمثل المطلب في الاستيعاب ضمن وظائف القطاع العمومي كما في الحالة المغربية، أو ضمان حقوق جماعة إثنية كما في حالتي بوليفيا والحراك النوبي في السودان، أو تصاعد ليصل إلى إسقاط النظام كما في الحالة المصرية وغيرها، فإن المطالبة، مع الاختلاف في الأشكال النضالية التي اتبعت في ملاحقتها، تبدو هي ذاك المكون الذي لا يمكن ببساطة غض النظر عنه، والذي يحرم غيابه كما لاحظ بعضهم، ربيع وهبة مثلًا، أي فعل جمعي آخر من مسمى حركة اجتماعية[11].

هذا المكون هو ما تفتقده الورقة في الفعل الشبابي غير الاحتجاجي الذي تحاول الاشتغال به. السؤال مع غياب "سياسات الاحتجاج" يتركز حول إمكانية موضعة فعل يتبع منطقًا ومسارًا مختلفين ضمن جغرافيا المصطلح "حركة اجتماعية". تقترح الورقة أنه ما لم تُحدّد الحركة الاجتماعية بمصطلحات بالغة العموم، كأن تحدّد مقاربتها مثلًا على أنها "عمليات اجتماعية تتألف من ميكانيزمات معينة عن طريقها ينخرط الفاعلون في فعل جمعي"[12]، أو بوصفها نسقًا اجتماعيًّا متوترًا نجم عن انحراف في مسار نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي، أفضى إلى فشل في ميكانيزمات التناول المؤسسي للصراعات[13]، فإن المصطلح لن يتسع ليشمل فعلًا كالذي تعالجه الورقة. في حال تبني المصطلح وفقًا لـ "لا تحديده" وسيولته السابقة التي يتحول معها إلى مقولة سحرية مؤهلة لوصف النشاطات الجمعية كافة عبر الإلقاء بها جميعًا ضمن السلة ذاتها، ألا يكفّ عن كونه أداة تحليلية متحولًا إلى قيد مفاهيمي يعترض تشكل الأسئلة البحثية وسيرها؟ ألا يكون من الأنجع نظريًّا الاقتراب من الشباب، في حالة كحالة الورقة، الذين أسّسوا شكلًا آخر من أشكال الفعل الجمعي، والبدء بالبحث عن أطر نظرية أكثر ملاءمة؟

تحاول الورقة معالجة موضوعها انطلاقًا من المنظور الذي يقترحه آصف بيات في مؤلفه **الحياة سياسة**، حيث يعرض إطارًا مفاهيميًّا بديلًا لتعقل الفعل الجمعي، يمكنه مع بعض الحذر الإبستمولوجي أن يوفر مداخل واسعة لملامسة التغيرات الحادثة على مستوى الحقل الشبابي في السودان. يرتكز الإطار الذي يقترحه بيات على مفهوم "اللاحركات الاجتماعية" الذي يشير عمومًا إلى "الأفعال الجمعية لفاعلين غير جمعيين، فهم يجسدون ممارسات مشتركة لأعداد كبيرة من الناس العاديين الذين تؤدي أنشطتهم المتشابهة والمتفرقة في الآن نفسه إلى إحداث تغير اجتماعي كبير حتى وإن لم تكن هذه الممارسات موجهة بأيديولوجيا أو بقيادات معترف بها"[14]، ضمن ما يطلق عليه بيات "سياسة الشارع"، فإن الزحف الهادئ الذي يصف عملية التقدم، أو الزحف البطيء المثابر لـ "اللاحركات الاجتماعية" نحو الحيز العام، يصبح هو الشكل الرئيس لـ "الاعتراض المتكيف".

ما يجري التشديد عليه ضمن هذا الاقتراب أن عملية الزحف الهادئ ليست سياسة لتجسيد المطالب الجمعية بمعنى سياسة احتجاجية. إنها على العكس من ذلك خليط من الفعل المباشر ذي الطابع الفردي والجماعي المتحرك ضمن شرط سوسيوسياسي مرتبط مفصليًّا بتسلطية الدولة وانغلاق المجال السياسي. التعبير الأساسي للزاحفين ليس سياسة الاعتراض بل "سياسة الحضور"، فـ "اللاحركات" تحدث تغييرًا عبر حضورها في المجال العام، ويمكنها من دون الحاجة إلى تنظيم له قواعده البنائية، ومن دون الحاجة إلى قيادة وأيديولوجيات أن تبتدع

9 فارس اشتي، "الجذور التاريخية للحركات الاحتجاجية في البلدان العربية"، في: **الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي**، عمرو الشوبكي (محرر)، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014)، ص 169.

10 آصف بيات، **الحياة سياسة: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط**، ترجمة أحمد زايد، المشروع القومي للترجمة (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2014)، ص 202.

11 ربيع وهبة، "الحركات الاجتماعية: تجارب ورؤى"، في: **الحركات الاحتجاجية**، ص 57.

12 سيد فارس، "الحركات الاجتماعية وممارسة التأطير: مقاربة أنثروبولوجية"، **عالم الفكر**، العدد 170 (تشرين الأول/ أكتوبر – كانون الأول/ ديسمبر 2016)، ص 159.

13 محسن بوعزيزي، "فضاء الحركات الاجتماعية في المجتمعات العربية: الحالة التونسية مثالًا"، **إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع**، العدد 1 (شتاء 2008)، ص 159؛ أحد الأسباب التي تفاقم خشية الورقة من استخدام مصطلح حركات اجتماعية هو ذاك الذي يتولى صياغته ربيع وهبة، حينما أشار إلى أن مصطلح "حركات اجتماعية" قد اكتسب "نغمات جذابة مصاحبة، ومن ثمّ نجد المشاركين والمراقبين والمحللين حين يستحسنون حدثًا من أحداث العمل الجماعي الشعبي، فإنهم كثيرًا ما يطلقون عليه حركة اجتماعية سواء توافرت فيها المقومات الكاملة للحركة الاجتماعية أو لم تتوافر ما يعنينا أكثر هو ضرورة التمهل في إطلاق المسميات حتى تكتمل العناصر المستوفاة لما يمكن تسميته "الحركة الاجتماعية"، وإلا سنفرغ المصطلح من محتواه"، انظر: وهبة، "الحركات الاجتماعية"، ص 56-57.

14 بيات، ص 44.

معايير اجتماعية وشفرات ثقافية جديدة. إن "فن الحضور هو اللحظة الأساسية في حياة اللاحركات أي في الحياة بوصفها سياسة"[15]، يمكنها، أي اللاحركات، أن تنتج مستقبلًا سياساتها النضالية المستمرة كما يمكنها التحول إلى حركات تنازعية، غير أن تأثيرها التحولي لن ينتظر تلك اللحظات، فهي تنتج تأثيرها من خلال حضورها ذاته. نضالاتها المتكيفة ليست نضالات دفاعية ولكنها، كما ينبه بيات، نوع من الزحف التراكمي الذي يحاول عبره الفاعلون باستمرار توسعة الحيز الذي يشغلونه، عن طريق كسب مواقع جديدة للتحرك فيها[16].

في القراءة التحليلية التي تتجه الورقة إلى إنجازها يبدو الفعل الشبابي في لحظته الراهنة وفي تعبيراته غير التنازعية متوافقًا مع ما سمّاه بيات "الاعتراض المتكيف"، أو ما أطلق عليه جيمس سكوت "المقاومة اليومية"[17]، تلك التي لا يتعايش من خلالها المسيطر عليهم مع تجاوزات المسيطرين فقط، بل ينتزعون الحق في الوجود والبقاء ضمن المجال العام. سيكون السؤال الذي على الورقة مواجهته لاحقًا هو محاولة تفحص الرهانات الكامنة وراء تحول الشباب إلى هذا الشكل من الاعتراض/ المقاومة، ومبررات تحولهم إلى خطاب يعلن العثور على نقطة ارتكازه بعيدًا عن السياسي.

## في حكاية شارع الحوادث

بدأت الحكاية في فصلها التأسيسي عام 2012 باجتماع ناشطين منضوين تحت مبادرتين مستقلتين، تعمل إحداهما في أوساط الأطفال المصابين بالسرطان، في حين نشطت الأخرى مع أطفال الفشل الكلوي. وبينما انحصرت تدخلات المجموعات السابقة في الترفيه عن الأطفال المرضى، فإن التدخلات اللاحقة ستتخذ أبعادًا أكثر جذرية وستمتد لتغطي كل فئات الأطفال.

تجاوز عدد مؤسسي شارع الحوادث عند تأسيسها عدد أصابع اليد الواحدة بقليل، لكن عدد ناشطيها وناشطاتها قفز في نهاية عام 2013 ليتجاوز المئات. اللحظة المفصلية في تطور المجموعة، اللاحركة في منظور الورقة، كانت هي إنشاء صفحة باسمها على "فيسبوك". وبحسب أحمد إدريس الصيني أحد مؤسسي المجموعة، فإن "البداية الفعلية للمبادرة كانت إنشاء تلك الصفحة في 28 آب/ أغسطس 2012"، والتي يعدّها "أولاد الشارع" تاريخ ميلاد مبادرتهم[18]. في عام 2012 ظلت المبادرة تنشط في حدود مستشفى واحد فقط هو مستشفى "جعفر بن عوف" للأطفال. ومع التفاعل المدهش الذي أنتجته الصفحة لم ينتهِ عام 2013 إلا والمجموعة قد نشطت في ثلاثة مستشفيات في الخرطوم، ذلك قبل أن تتأسس إحدى عشرة مبادرة مماثلة في مدن مختلفة.

> تمثّل هذه السمة قاسمًا مشتركًا للفعل الشبابي في السودان على اختلاف تجلياته؛ إذ انطلقت كلها من الفضاءات الافتراضية التي تعمل كنوع من المتخيلات الاجتماعية، التي تُمكّن أشخاصًا لم يلتقوا مسبقًا من أن ينخرطوا في مناقشة الشأن العمومي، وأن يكونوا قادرين على التوصل إلى تصورات مشتركة

تمثّل هذه السمة قاسمًا مشتركًا للفعل الشبابي في السودان على اختلاف تجلياته؛ إذ انطلقت كلها من الفضاءات الافتراضية[19] التي تعمل كنوع من المتخيلات الاجتماعية، التي تُمكّن أشخاصًا لم يلتقوا مسبقًا من أن ينخرطوا في مناقشة الشأن العمومي، وأن يكونوا قادرين على التوصل إلى تصورات مشتركة. إنه نوع من إنشاء مجال عام افتراضي يمكن الجميع، من الوجهة النظرية، من مناقشة ما يمكن فعله في المجال العام الواقعي[20].

في عام 2013 بلغت حصيلة التدخلات 5181 حالة مرضية، وبلغ حجم التبرعات التي حصلت عليها المجموعة وأعادت إنفاقها أكثر

15 المرجع نفسه، ص 67.

16 المرجع نفسه، ص 122.

17 تحاول الورقة توظيف فكرة "المقاومة اليومية" التي طورها جيمس سكوت في مؤلفه **المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم** الصادر في ترجمته العربية عام 1995، وهي تتموضع ضمن ما كان سكوت قد أطلق عليه "السياسة التحتية" للجماعات الخاضعة، موضحًا أن المصطلح يغطي "تنويعة عريضة من أشكال المقاومة تحتية السمات، التي لا تجرؤ على الإعلان بوضوح عن ماهيتها". ضمن أطروحته يميز سكوت بين مستويين من خطاب الخاضعين، كما أولئك المهيمنين، هما الخطاب العلني وهو خطاب الخضوع الملقى في حضور المهيمن، والخطاب المستتر الذي يدور خارج إطار خشبة المسرح، أي فيما وراء الرقابة المباشرة التي يمارسها أصحاب السلطة، انظر: جيمس سكوت، **المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم**، ترجمة إبراهيم العريس ومخايل خوري (بيروت: دار الساقي، 1995)، ص 17، 36.

18 لمشاهدة مقابلة مع أحمد إدريس، انظر: "حوار حول مبادرة شارع الحوادث"، برنامج "شراع الأمل"، قناة **الشروق**، 2014/3/14، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/rtpAUW

19 Gada Kadoda & Sondra Hale, "Contemporary Youth Movements and the Role of Social Media in Sudan," *Canadian Journal of African Studies*, vol. 49 (August 2015), accessed on 18/3/2018, at: https://goo.gl/jVRi6Z

20 حول مفهوم المجال العام راجع: تشارلز تايلر، **المتخيلات الاجتماعية الحديثة**، ترجمة الحارث النبهان (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 103–110.

من 709000 جنيه سـوداني. تطورت في العام ذاته آليات عمل المجموعة التي ستظل تحكم اشتغالها اللاحق، إذ ستعمد إلى تأسيس لجنتها التسييرية ومكاتبها الثلاثة، المالية والإعلام والمناوبات؛ مركزةً على الوجود الدائم لمتطوعيها في الشارع؛ بحيث ينقسم المتطوعون إلى ثلاث مناوبات يومية، يبدأ عمل الأولى في العاشرة صباحًا ويستمر حتى الخامسة مساء، تليها مناوبة تستمر حتى العاشرة مساء، ثم المناوبة الأخيرة التي تستمر حتى صباح اليوم التالي.

يبدأ التدخل في حالة ما بتلقّي اتصال من أحد الأطباء بأفراد المجموعة المناوبين قبالة المستشفى بشأن الحالات التي لا يستطيع الوالدان فيها توفير تكلفة العلاج، ليتكفل متطوعو "الشارع" بمراجعة الصيدلية أو مختبر الفحوصات أو مركز التصوير بالأشعة بحسب ما يحدده الطبيب. بعد تحديد قيمة الوصفة الدوائية أو الإجراءات المخبرية، يتم الإعلان عن الحالة وقيمة التبرع المطلوب على صفحة "الشارع" في "فيسبوك". بعد تلقي التبرع سواء بحضور المتبرع شخصيًّا - وهو ما يفضله الشباب على أساس أنه سيمنح المسألة استمرارية - مبتعدًا عن كونها انفعالًا لحظيًّا بحالة محددة[21]، أو بتحويل تبرعه عبر الهاتف. وفي الحالات العاجلة يلجأ الشباب إلى صيدليات أو مختبرات تتعامل معهم على أساس السداد الآجل. في الأخير يتم الإعلان عبر الصفحة عن النجاح في التعامل مع الحالة، ويتم في نهاية اليوم نشر تقرير يوضح وضع الحالات اليومية وإذا ما تمت تغطية الحاجة أو لم يتمّ ذلك بعد.

سيكون التدخل الأول خارج إطار التعامل مع حالات مباشرة - ما يطلق عليه الشباب الاحتياج اليومي - هو توفير شباب الشارع جهاز تنفس صناعي للأطفال، لم يكن متوافرًا في مستشفى جعفر بن عوف الذي يُعدّ مستشفى الأطفال العمومي الرئيس في الخرطوم. يروي أحد مؤسسي المبادرة قصة تحولهم إلى تدخلات تتجاوز اليومي والمباشر: "أحد الآباء عندما قرر الأطباء احتياج طفله إلى جهاز تنفس صناعي قرر إعادة طفله إلى البيت ليموت هناك؛ لأنه لم يكن ببساطة قادرًا على توفير مبلغ 3500 جنيه سوداني، وهي القيمة التي يفترض سدادها في أحد مستشفيات القطاع الخاص عن اليوم الواحد. فعدم وجود الجهاز كان السبب وراء موت من ثلاثة إلى أربعة أطفال شهريًّا في المستشفى، وتلك الحادثة كانت بداية التفكير في وجود احتياجات أكبر من الأدوية والفحوصات، وكان أن نجحنا في توفير جهاز واحد بقيمة 85000 لمستشفى تحتاج إلى ثمانية أجهزة"[22].

في عام 2013 سعى "شباب الشارع" لتوفير عربة إسعاف لمواجهة عجز كثير من أسر الأطفال عن سداد تكلفة الإسعاف. ثمة منحى جديد تود الورقة الإشارة إليه، فمشروع الإسعاف كان التجربة الأولى لمشاريع مشتركة بين المجموعات الفاعلة في الحقل الشبابي؛ إذ جاء المشروع نتيجة تعاون "شارع الحوادث" مع مجموعة شبابية أخرى هي مجموعة "صدقات"، على أساس أن تتكفل الأخيرة بأجور الكادر العامل على الإسعاف.

بعد تلك المرحلة صوّب "الشارع" نظره تجاه مشروعات أكبر وأكثر تكلفة. بدأ التفكير في مشروع "غرفة العناية المكثفة" في مستشفى محمد الأمين حامد للأطفال في أم درمان، أو ما أطلق عليه الشباب "حلم مشروع"، والذي اكتمل في أيار/ مايو 2015، موفرًا سبعة أسِرّة في غرفة للعناية الفائقة، بتكلفة تجاوزت الـ 2000000 جنيه سوداني. أتت 76 في المئة من التبرعات لمصلحة المشروع من أفراد داخل السودان، في حين أتت 16 في المئة من مؤسسات سودانية، وتكفّل السودانيون في الخارج بـالـ 8 في المئة المتبقية من التكلفة الكلية للمشروع. ثمة ملمح واحد ظل ثابتًا خلال تطور المجموعة وتوسع تدخلاتها، وهو حرصها على إدارة نشاطها من "الشارع"، حيث سيظل مقرّها الرئيس في الخرطوم هو "بنابر"؛ مقاعد منخفضة لا ترتفع كثيرًا عن الأرض، سيدة الشاي "أم قسمة" التي تولّت في أيار/ مايو 2015 قص الشريط إيذانًا بافتتاح غرفة العناية المكثفة.

نحن هنا إزاء أحد تجليات ما كان آصف بيات قد وصفه بـ "الزحف الهادئ"، ذاك المرتبط بفعل جمعي متسلسل المراحل متمثلًا في صور من التدخلات المفتوحة والعابرة، من دون وجود تنظيم بنائي أو قيادة واضحة. إن أفعال الفاعلين، إذا شئنا التفكير تبعًا لمنطق بورديو، تبدو "مسكونة بنوع من الغاية الموضوعية من دون أن تكون نتاج مشروع أو تصميم"[23]. الخبرات التي يحصل عليها "الزاحفون" هي التي تصوغ وتعيد صياغة - كما توسع باستمرار - حيز الممكن والمحتمل.

الفروق بين ديناميات الحركات الاجتماعية والسيرورات التي تعمل وفقًا لمنطقها اللاحركات الشبابية في السودان، يمكن العثور عليها أيضًا في نمط العلاقة الذي يحكم "الشوارع المختلفة". فعلى الرغم من أنها تبدو متشظية وأنّ كلًّا منها يسلك مسلكًا منفردًا، فإنها جميعًا تبدو متشابهة. ليس ثمة أطر لتقييد الشوارع كبنية جمعية، وبحسب مؤسسي الشارع فـ "كل شارع حوادث له خصوصيته؛ لأن

21 "المبادرات الطوعية وأدوارها في المجتمع"، برنامج "حتى تكتمل الصورة"، قناة **S24**، 2015/5/25، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/Rzbpdd

22 "حوار حول مبادرة شارع الحوادث".

23 ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، **معجم بورديو**، ترجمة الزهرة إبراهيم (دمشق: النايا للدراسات والنشر، 2013)، ص 54-55.

كل منطقة لها ثقافتها وسياقاتها الخاصة، إذا جرى تحويل حالة من أحد الشوارع الولائية إلى الخرطوم عندها فقط يمكن للشارع في الخرطوم أن يتدخل"[24].

> الفروق بين ديناميات الحركات الاجتماعية والسيرورات التي تعمل وفقًا لمنطقها اللاحركات الشبابية في السودان، يمكن العثور عليها أيضًا في نمط العلاقة الذي يحكم "الشوارع المختلفة". فعلى الرغم من أنها تبدو متشظية وأنّ كلًا منها يسلك مسلكًا منفردًا، فإنها جميعًا تبدو متشابهة

راهنًا، عام 2017، تستقبل "شوارع الحوادث" نحو 1000 وصفة دوائية يوميًّا، ولديها 2000 متطوع وما يتجاوز مئة ألف متابع على صفحاتها على "فيسبوك". لقد مضت "الشوارع" أبعد بكثير مما توقعته مجموعة المؤسسين، لكنهم لا يزالون مستمرين في فرض نضالاتهم اللامؤسسية بصحبة شعارهم الذي أضحى شهيرًا: "أينما وجد طفل محتاج يجب أن نوجد"[25]، انطلاقًا من زوايا في الشارع، بمعناه الفيزيقي، قبالة كل مستشفى ينشطون فيه. فهم في الأخير ليسوا مؤسسة، و"ليسوا منظمة مجتمع مدني وليس لديهم حساب مصرفي، وليس لديهم اعتراف قانوني وليست لديهم رئاسة"[26]. يمضون لاستكشاف فضاءات جديدة يؤكدون من خلالها حقهم في الحضور، وحقهم في أن يكونوا مرئيين ومسموعي الصوت.

## في ما وراء الحكاية

أسهمت جملة عوامل في إحداث التحولات التي يختبرها الحقل الشبابي، وهي التحولات التي أنتجت بدورها مجموعة من الافتراضات الطامحة إلى إدراك المبادئ الكامنة المولدة للممارسة الجمعية للشباب في صيغها الراهنة. يقترح الافتراض الأول بدء التحليل انطلاقًا من الزيادة الحادثة على مستوى الوزن الديموغرافي للشباب[27]، بحيث كان تعداد عام 2008 قد قدر نسبة السكان بين 5 و24 عامًا بـ 47.38 في المئة، ونسبة من هم دون الـ 15 عامًا بـ 42.61 في المئة من جملة السكان، وهي الزيادة التي تزامنت مع تحسن نسبي في مستويات التعليم. ففي الوقت الذي كانت فيه النسبة العامة هي 51 في المئة، فإن 61 في المئة في الفئة العمرية 5-24 عامًا قادرون على القراءة والكتابة[28].

الفرضية السابقة باستغراقها في الديموغرافيا، ونسجها خيوط تماهٍ بين الشباب معطى بيولوجيًا والشباب معطى اجتماعيًا، لن تكون قادرة، في نظر الورقة، على تفسير فعلهم الجمعي وتحولاته؛ لأنها ببساطة غير قادرة على الإمساك بالمتغيرات التي حولتهم من فئة عمرية إلى فئة اجتماعية، وهي اللحظة التي يتحولون معها إلى كائنات قادرة على اكتساب وعي ذاتي وعلى إظهار هذا الوعي، فهي لحظة إدراك ذواتهم المبعثرة كـ "ذات فاعلة موحدة أو على الأقل النضال كي تكون كذلك، كي تعرف نفسها ويعرفها الآخرون بهذه الصفة"[29].

الفرق بين المستويين كان قد دفع بيير بورديو إلى عدّ "الشباب مجرد كلمة"، وهو ما يعني أن الفئات العمرية هي نتاج يتطور ويتخذ أشكالًا مرتبطة بالسياقات الاجتماعية المتحولة، تتحدد وفق "الرساميل" التي يحوزها مالكوها. وبحسب هذا المنظور، لا وجود لـ "الشباب" بصيغة التجريد، ما دامت هذه الوضعية نتاجًا متغيرًا تسهم في تكوينه أنواع رأس المال والرهانات التي تحكم نظم اشتغاله. إن التراكم/ التناقص الذي تعرفه تلك الرساميل باختلافها وتعددها هو الذي من شأنه رسم معالم الشباب وتحديده بوصفه مفهومًا جمعيًّا[30]. هكذا فإن ما لن تكون تلك الفرضية قادرة على تزويدنا به هو إرهاصات تلك اللحظة ومحصلاتها.

يلجأ اقتراب ثانٍ، يلتقي عنده محللو الظاهرة وفاعلوها على حد سواء، في تفسيره الفعل الجمعي للشباب إلى التركيز على استمرارية الفعل، معيدًا غرس فعل كالذي تقوم به "شارع الحوادث" ضمن تاريخ التعاضد التقليدي. وفقًا لوجهة النظر هذه فإن الظاهرة ظلت

24 "حوار حول مبادرة شارع الحوادث".

25 ثمة شعارات أخرى لشارع الحوادث صيغ معظمها باللهجة الدارجة، تحوّل أحدها إلى أغنية الشارع، وتقول كلماتها الدارجة: "أرجوك لو سمحت. محل ما تمشي حتة وتلاقي احتياج أقيف وادي حتة"، والذي يمكن إعادة كتابته ليكون: "أينما توجهت وصادفت احتياجًا توقف لتعطي".

26 ناصف بشير، "شباب (شارع الحوادث) يبهرون أمريكا بما أنجزوه فتكتب صحيفة الكريستيان ساينس مونتور قصة رائعة عنهم"، الراكوبة، 2015/5/6، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/YE7hcv

27 أمجد فريد (ناشط مدني وأحد قيادات مبادرة "نفير")، مقابلة شخصية، الخرطوم، 3 أيار/ مايو 2016.

28 الجهاز المركزي للإحصاء، **السودان في أرقام 2008-2012**، سلسلة السودان في أرقام، العدد 13 (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، ديسمبر2013)، ص 7-8.

29 تورين، ص 170.

30 فوزي بوخريص، "سوسيولوجيا العمل الجمعوي بالمغرب: ملاحظات أولية"، **الاتحاد الاشتراكي**، 2013/6/1، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/aDLs3H

موجودة في المجتمع وثقافته[31]، وهي في تمظهرها الراهن امتداد إرث قديم عند المجتمعات السودانية في عون المحتاجين، عبرت عنه بابتداعها مفاهيم "أبو مرؤة"، "الفزع"، "النفير"، "عشا البايتات"، "الأجاويد"[32]. يمكن إذًا مع هذا الاقتراح لفهم الفعل الشبابي التعامل معه كتقليد مترسخ في الثقافة وبنياتها، طالما أن المجتمع انتظم تاريخيًّا في أشكال جماعية وابتدع صيغًا من التضامن الاجتماعي.

الفعل الجمعي للأطر الشبابية، بقطع النظر عن الأشكال القديمة التي يتخذها، هو في قراءة الورقة فعل حديث، بمعنى أنه ليس امتدادًا طبيعيًّا لأشكال تضامن وتعاون تقليدية. وافتراض الاستمرارية يغفل، في نظر الورقة، معطى حاسمًا، هو لاعمومية نظام التضامن المشتغل في تلك الأشكال التاريخية. كما أن الاختلاف الذي تحجبه فرضية التواصلية هو بين نسقين متمايزين: أحدهما تقليدي تقوم فيه العلاقات على رابطة الدم والقرابة أو وحدة الانتماء إلى المجال، وتتوارى فيه ذاتية الفرد وراء سلطة الـ "نحن". وآخر حديث تقوم فيه العلاقات على التعاقد بين ذوات مستقلة[33]. ثمة مركب جديد هنا حتى وإن جاء معبأً في زجاجات قديمة، فالأشكال القديمة يعاد تشغيلها وفقًا لديناميات مختلفة؛ بحيث تستجيب لرهانات جديدة. لقد حوّل الشباب المعاني المتصلة بـ "النفير" التقليدي وأعادوا تعريفها بحيث أضحت ممارسة يومية للمقاومة. أما إلحاح الفاعلين على تجذر فعلهم في تاريخ الجماعة فلا يعدو أن يكون إحدى مفردات خطابهم العلني.

تغير بعض التعليقات زاوية النظر والتحليل، مقترحةً أن الفعل الشبابي يتغذى بما يفترض أنه حالة من الإحباط الجمعي انتابت الشباب من أداء الأحزاب السياسية، كتوطئة لاستيعاب الفعل مثل ردة فعل لفعل/ لا فعل الأحزاب السياسية غير القادرة على استيعاب متطلبات الأجيال الصاعدة، وتفسيره في سياقاته الحضرية، تحديدًا، كونه استعادة هؤلاء صوتهم الضائع الذي سبق للأحزاب مصادرته[34]. يختصر "شباب شارع الحوادث" ضمن هذا التفسير صورة كلية لشباب يائس من السياسي، وأزمة المشروع الذي تقوده السلطة، وأزمة البديل الذي تعجز الأحزاب المعارضة عن توفيره. وتلاحظ صحافية وناشطة سودانية، وهي واحدة من ضمن عدد ممن عبّروا عن توجهات مماثلة، أن "كل الشباب المنتمين إلى الأحزاب... بدؤوا يكفرون بمسألة الحزب أو فكرته، وبدؤوا ينشطون خارج الأطر الحزبية، حتى شباب مبادرة 'شارع الحوادث' أو 'نفير' قد يكون ضمن قياداتهم من لديهم خلفياتهم الحزبية، لكن ليس لديهم أي التزام تجاهها"[35].

> يمكن التعمق في فهم التحولات الجارية، على صعيد الفعل الجمعي للشباب، عبر مسار تحليلي يأخذ ضمن اعتباراته ما يمكن وصفه بـ "التضخم المؤهلاتي" لدى الشباب وحالة اللاتناسب بين تطلعات حفزتها مؤهلاتهم من جهة، والفرص المتاحة أمامهم لإنجاز تلك التطلعات من جهة أخرى

المقدمة المركزية ضمن الاقتراب السابق أن فواتًا تاريخيًّا قد أصاب الأحزاب، تتأسس عليها نتيجة نأي الشباب عن الشرط الحزبي المأزوم، وتدشينهم فعلًا واعدًا بالالتحام مع الجمهور. وتقر الورقة بامتلاك خط النظر السابق بعض الصحة الظاهرية، وأن قدرته التفسيرية كان من الممكن أن تكون فعالة لو كنا بصدد تفسير الحركات الاحتجاجية للشباب - حركة "قرفنا" مثلًا - التي تبدو استجابة مباشرة لسياق تبدو فيه أزمة أحزاب المعارضة وعثراتها رديفًا لأزمة حزب السلطة[36]، لكنه يفقد كثيرًا من تلك الفاعلية عند استخدامه، بصيغته تلك المركزة على أزمة المعارضة والمهملة لتسلطية الدولة، في محاولة فهم الانزياح عن "السياسي" وليس الحزبي، ومواجهة السؤال: لماذا انتهت مجموعات غير نضالية كـ "شارع الحوادث" وليس حركات سياسية بديلة بالصيرورة بنية حاضنة للفعل الشبابي؟

يمكن التعمق في فهم التحولات الجارية، على صعيد الفعل الجمعي للشباب، عبر مسار تحليلي يأخذ ضمن اعتباراته ما يمكن وصفه

31 لمشاهدة مقابلة مع طارق الأمين مؤسس مبادرة عديل المدارس، انظر "المبادرات الطوعية".

32 حول أشكال التضامن التقليدية في السودان، انظر: عبد الرحيم بلال، "العمل الطوعي في السودان"، مركز المتطوعين الشباب: مركز جسر للتطوع الشبابي، 2014/5/28، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/kHPEce

33 كانت ميشيل كاسريل قد اعتبرت في اشتغالها بالسياق المغربي أنه "لا يمكن مقارنة الفعل الجمعي كما يمارس اليوم بالممارسات الجماعية التقليدية [...] فإذا كانت الممارسات الجماعية تتأسس على واجب أو إلزام التعاون بين أعضاء نفس الجماعة أو القبيلة الهادف إلى الحفاظ على المجموعة أو القبيلة، فعلى العكس الفعل الجمعي التزام شخصي تطوعي وحر"، انظر: بوخريص.

34 الشفيع خضر (ناشط سياسي وقيادي سابق في الحزب الشيوعي السوداني)، مقابلة شخصية، الخرطوم، 16 أيار/ مايو 2017.

35 شمائل النور، "مداخلة ضمن المبادرات الشبابية وإعادة تعريف السياسة في السودان"، مجلة **الحداثة السودانية**، العدد 4 (كانون الأول/ ديسمبر 2016)، ص 66.

36 حول الحركة انظر: ريم عباس، "حركة قرفنا تكمل الخمسة أعوام"، ترجمة عمرو عباس، حريات، 2014/11/9، شوهد في 2018/3/18، في: https://bit.ly/2qSjtWP

بـ "التضخم المؤهلاتي" لدى الشباب وحالة اللاتناسب بين تطلعات حفزتها مؤهلاتهم من جهة، والفرص المتاحة أمامهم لإنجاز تلك التطلعات من جهة أخرى. بالتوازي مع تزايد أعداد حائزي الشهادات الجامعية، كانت القيمة الفعلية لتلك الشهادات تتناقص؛ إذ تخبرنا إحصاءات عام 2011 قبل انفصال جنوب السودان، أن نسبة البطالة في الفئة العمرية 25-29 عامًا بلغت 37.7 في المئة[37]. وهي النسبة التي تصبح زيادتها أمرًا متوقعًا مع انفصال جنوب السودان في تموز/ يوليو 2011، وخسارة السودان 75 في المئة من إنتاجه النفطي، و55 في المئة من عائداته المالية، ونحو ثلثي عائدات النقد الأجنبي[38]. حتى مع عائدات النفط العالية التي تميز بها الاقتصاد قبل الانفصال، كان قد انتُهج مسار غير مستدام للتنمية، في ظل اقتصاد موجه نحو الاستهلاك والواردات بدلًا من الإنتاج والصادرات، وكانت النتيجة تأكّل جزء كبير من ثروة البلاد، من دون التمكن من تحويل احتياطيات النفط إلى استثمارات عامة في رأس المال البشري والاجتماعي والبنية التحتية[39].

إذا كان الحقل هو "سوق لرساميل نوعية"[40]، فسنكون مع انخفاض قيمة الشهادات إزاء تدهور حاد في رأس المال الثقافي[41] الذي يحوزه الشباب، ويفترض أن يؤمّن الاعتراف لهم داخل الفضاء الاجتماعي. إن اضمحلال رأس المال المفضي إلى تغيير أنساق المواقع الاجتماعية سيطلق سلسلة تغيرات كفّ معها "الحقل" و"الهابيتوس"، المتواشج مفاهيميًّا وإمبيريقيًّا مع الحقل[42]، عن كونهما متناغمين. باستصحاب فكرة أن الاستعدادات لا تتغير بالوتائر نفسها التي يتغير بها الحقل، وأن لديها نوعًا من الاستقلال الذاتي بالنسبة إلى التحديدات الفورية (ما يصفه بورديو بالتخلفية أو انزياح الاستعدادات بالنسبة إلى الأوضـاع التي تصادفها). ووفقًا لميل الحقل والهابيتوس كبنية مولدة للممارسة إلى التناغم، يمكن استنتاج أن الفعل الشبابي هو نتاج تغييرات على مستوى نظام الاستعدادات، تستجيب بشكل غير متزامن لتحولات في البنيات الموضوعية التي تؤطر وجودهم، وهو ما يمكن أن يشرح لماذا بدأ الفعل الجمعي للشباب في التحول متأخرًا عن محدثاته في عملية ليست محض تكيف سلبي، وإنما إعادة خلق مبدعة[43].

ضمن الهابيتوس المعاد تكوينه بحيث يوائم البنيات الموضوعية المتحولة[44]، ستحصل إعادة تكييف مختلف للعمل التطوعي ليتحول معها إلى "رأسمال اجتماعي"[45] بديل، تؤهل حيازته لنيل القبول داخل الحقل. شارع الحوادث، ضمن هذه القراءة، هو المكان الذي يمنح الشباب الفرصة لكي يصنعوا لأنفسهم هوية. الفرد هنا يكف عن كونه فردًا متحولًا إلى جزء من مجموع فاعلين موحدين بروابط دائمة ونافعة. وهو الانتماء الذي كان من الممكن أن توفره نقابة العمل لو أنهم حصلوا على عمل، ولو أن بعضهم ممّن حصل على وظيفة لم يجد نقابات مكونة على نحو قسري ومصادر قرارها تمامًا لمصلحة السلطة.

## الشباب وإعادة امتلاك المجال العام

إذا كانت أغلب التحليلات المشتغلة بالحركات الاجتماعية تهمل الفضاءات الفيزيقية للفعل الاحتجاجي، على أساس أن تلك الفضاءات، شوارع، ميادين، ساحات، محيط ضمني لا يطرح إشكالات تفسيرية، فإن تجاوز جغرافيا الفعل لن يكون مبررًا في سياق "لا حركات اجتماعية"، تتميز باستخدام نشط للمكان العام، بحيث يكف عن كونه فضاء تتشكل فيه صور التضامن متحولًا إلى فضاءات تحتشد بالمعاني الرمزية[46]. الحالة التي تشتغل بشأنها الورقة اختارت لنفسها مسمى "شباب شارع الحوادث" واختصارًا "شارع الحوادث". المسمّى في تأويل الورقة يؤشر منذ البداية تجاه إنشاء علاقة بين مكوناته ويطرح ارتباطًا بين الشارع، كمجال عام، والشباب.

37 Republic of the Sudan, Ministry of Human Resources and Labour, *Methodology of Labour Force Survey and Main Results*, UNDP Sudan, p. 19, accessed on 18/3/2018, at: https://goo.gl/1C59si

38 منظمة العمل الدولية، **خارطة الطريق: نحو سياسة وطنية للتشغيل في السودان** (كانون الثاني/ يناير 2014)، ص 11، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/ThB3g0

39 المرجع نفسه، ص 11.

40 كارل ماتون، **مفهوم الهابيتوس عند بيير بورديو**، ترجمة طارق عثمان، سلسلة أوراق نماء 97 (الرياض: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016)، ص 148.

41 هو مجموعة المعارف والقدرات والمهارات النظرية والعملية في إطار ثقافة معينة، ويتألف من الشهادات الدراسية والألقاب الثقافية، والتي تخول لمالكها مراكز ووضعيات تتحدّد بحجمها ونوعها.

42 الهابيتوس والحقل بنيتان متعالقتان، أي إن كلًّا منهما يبين الآخر، ويساهم في صياغة الآخر، والأكثر أهمية أنهما يتطوران طوال الوقت، ومن ثم فالعلاقة بينهما جارية ودينامية، ليست ساكنة وإنما قيد التطور دومًا؛ لأنهما وإن كانا يمثلان المنطق الاجتماعي نفسه فهما ليسا متطابقين تمامًا، لأن لكل منهما منطقه الداخلي الخاص وتاريخه الخاص، راجع: ماتون، ص 39-40.

43 المرجع نفسه، ص 50.

44 يستعمل بورديو مثال دون كيشوت ليعبر عن تلك الفجوة بين الاستعدادات والأوضاع، وأن ما سبب الارتباك الشهير لشخصية سرفانتس المنطلقة في بحثها عن عالم بائد، كان أن ممارساته لا تتناغم مع تحولات البنى الموضوعية التي تسير اشتغال محيطها الاجتماعي، راجع: شوفالييه وشوفيري، ص 88.

45 يمثل مجموع اللقاءات والتفاعلات والعلاقات والمعارف والصداقات التي تمنح حائزها قدرًا معينًا من المكانة الاجتماعية، وسلطة الفعل وردة الفعل الملائم، بفضل كم هذه العلاقات والروابط وكيفيتها أو نوعيتها، أو بعبارة أخرى مجموع الموارد الفعلية أو الكامنة التي ترتبط بحيازة شبكة دائمة ومستمرة من العلاقات شبه المؤسساتية من التعارف والاعترافات المتبادلة.

46 بيات، ص 42.

شارع الحوادث، بمعناه الفيزيقي، الواقع في قلب الخرطوم والممتد نحو كيلومتر واحد، يكثّف، في نظر الورقة، الضمور الذي لحق المجال العام؛ فهو الشارع الواقع بين مستشفى عمومي بات عرضة للتخلي عنه من قبل دولة مسنودة برؤية نيولبرالية ومظاهر دينية، ومجموعة من المشافي الخاصة في الجانب الآخر للشارع تعلن لوحاتها المضيئة سيطرة رمزية على معظم المجال واستعدادًا للسطو على ما تبقى.

إذا كان الشارع "خشبة مسرح يظهر ويستعرض عليها الفاعلون الاجتماعيون أنفسهم وقدراتهم ويؤدون عليها ومن خلالها أدوارهم حسب مواقعهم الاجتماعية"[47]، فإن الفعل التطوعي المنظور إليه في قراءة الورقة كفعل مقاومة يومية عبر حضوره الدائم في الشارع العمومي وتقديمه فرجة علنية مباشرة تتوسع معها دائرة المقاومة اليومية خارج الدوائر المباشرة، هو محاولة افتكاك للمجال العام الخاضع للسلطة من جهة، والمهدد بالابتلاع من القطاع الخاص من جهة أخرى. عبر وجودهم المستمر في الشارع وابتداعهم استعمالًا جديدًا للشارع انطلاقًا من زواياه، ورفضهم العمل من داخل مكاتب مغلقة تتوقف معها الفرجة العلنية وعبر فعالية فوق موضعية هي نتاج فعلهم المشترك؛ فإن الشباب يؤكدون أن الشارع لم يعد حكرًا على السلطة أو القطاع غير العمومي، معيدين بذلك بعث فضاء عام ما فوق موضعي[48].

ضمن سياسة الشارع الهادفة إلى إعادة امتلاك مجال عام تشاركي وغير تراتبي، يمكن الورقة أن تفهم رمزية قيام أم قسمة بافتتاح غرفة العناية المكثفة، وهي الرمزية التي ستستعاد في شارع الحوادث عطبرة، عندما أوكلوا إلى صلاح عبده توفيق العامل في مخازن السكة الحديد افتتاح غرفة للأطفال حديثي الولادة[49]. فاختيار أم قسمة، وهي بائعة الشاي العاملة في الشارع، يكشف عن مستويات متعددة من التوجهات يعيد "الشباب" هندسة المجال العام وفقًا لها، كما تكشف أنهم لا يقدمون أنفسهم فقط بوصفهم فاعلين في المجال العام، بل يقدمون خالتهم أم قسمة وعمهم صلاح عبده وما يرمزان إليه.

تتجاوز المسألة ما مضى إليه خطاب الشباب العلني في تبرير اختيار أم قسمة، بوصفه نوعًا من الوفاء لشخص كان بجانبهم منذ التأسيس، أو بوصفها جزءًا من المجموعة على النحو الذي اقترحه أحد متطوعي شارع الحوادث: "اختيار أم قسمة لقص الشريط ليس وليد الصدفة، بل تم اختيارها منذ كان مشروع الغرفة حلمًا يراود الشباب، حيث قرروا في أول اجتماع للمشروع تم في بنابرها أنه إذا اكتمل المشروع فإن أم قسمة هي من ستقص الشريط، وكان عبارة عن وعد وفينا به عند اكتمال المشروع"[50].

> الفعل التطوعي المنظور إليه في قراءة الورقة كفعل مقاومة يومية عبر حضوره الدائم في الشارع العمومي وتقديمه فرجة علنية مباشرة تتوسع معها دائرة المقاومة اليومية خارج الدوائر المباشرة، هو محاولة افتكاك للمجال العام الخاضع للسلطة من جهة، والمهدد بالابتلاع من القطاع الخاص من جهة أخرى

يمكّن الجدل الذي ثار بعد افتتاح الغرفة من توضيح أن فعل الشباب واختياراتهم لا يمكن إلا أن تكون مقروءة في ضوء ما أوضحته الورقة. تشير الورقة هنا إلى الجدل الذي افتتحه الهندي عز الدين أحد رؤساء تحرير الصحف اليومية، عندما شن في عموده اليومي في الجريدة هجومًا تركز على واقعة الافتتاح بالذات، معنونًا عموده الأول بـ "عندما تصبح ست [سيدة] الشاي وزيرة صحة فقط لأغراض هذا الاحتفال". بالنسبة إلى رئيس التحرير ذاك، فإن الواقعة "تهدد بنسف أي فكرة لمشروع تراتبية محترمة في السودان... إن الأمة التي تضع ست شاي مكان وزير الصحة لا يمكنها أن تتقدم شبرًا إلى الأمام"[51]. في مقالة أخرى يقرر أن نقده الواقعة يأتي في سياق حملة ضد "بعثرة الأمة السودانية"؛ أملًا في "دولة محترمة تراعي التراتبية في كل شيء لا تجاوز فيها للمقامات والمسؤوليات والاختصاص"[52].

تشاطر الورقة ما ذهب إليه عطا البطحاني، عندما لاحظ أن المنطق المستخدم يستدعي إلى الذاكرة الهجوم الذي شنته جريدة **الحضارة**

47 نوري دريس، "استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية"، رسالة ماجستير، جامعة محمد منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 56؛ حول العلاقة بين الفعل الجمعي واستعمالات المجال العام، انظر أيضًا: سارة معمري، "المجال العام المفتوح ووظيفته في عملية المظاهرة"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015.

48 يدعو تشارلز تايلر الفضاء العام الذي ينشأ نتيجة اجتماع الناس في موضع ما باسم "الفضاء العام الموضعي"، لكن المجال العام يتجاوز هذه الفضاءات الموضعية ويعلو فوقها، فهو يربط معًا جملة من هذه الفضاءات ضمن فضاء واحد كبير لا يقوم على اجتماع الناس مكانيًا، راجع: تايلر، ص 106.

49 الزين عثمان، "هنا العيون معلقة بأقدام العم صلاح"، اليوم التالي، 2016/9/5، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/WGqFtX

50 خضر مسعود، "حكاية "رَوِيَّة دَرْبُون"، اليوم التالي، 2015/5/19، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/tKUVsy

51 الهندي عز الدين، "عندما تصبح (ست الشاي) وزيرة صحة فقط لأغراض هذا الاحتفال!!"، المجهر السياسي، 2015/5/19، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/86PWLP

52 الهندي عز الدين، "العبثيون المتحدون: مسلسلات الاحتماء بـ 'ستات الشاي'!!"، المجهر السياسي، 2015/5/21، شوهد في 2018/3/18، في: https://goo.gl/dmU72H

على جمعية اللواء الأبيض ورئيسها علي عبد اللطيف في 1924[53]، عندما خاطبت الجمعية: "على الجمعية أن تدرك أن الأمة تشعر بالإساءة البالغة عندما ينبري أقل الرجال شأنًا وأوضعهم مكانة بالتظاهر بأنهم يعبرون عن فكر الأمة"، قبل أن تمضي الجريدة إلى حد الدعوة إلى "اجتثاث المشاكسين من أولاد الشوارع"[54]. لا يمكن الورقة إلا التوقف عند تماثل الخطاب، وهو التماثل الذي يصل إلى حدود تطابق المنطق الذي يقرر أن الذات المتكلمة إنما تنطق باسم الأمة. ما يقلق "كلاب الحراسة الجدد"، باستعارة تعبير بورديو في سياق نقده تلاعب التلفزيون[55]، هو ذاته ما أقلق من كان المتلاعبون القدامى - جريدة **الحضارة** - قد نصبوهم سادة الأمة، مع إدراك الورقة الاختلافات البنيوية بين حركة علي عبد اللطيف ورفاقه وشباب شارع الحوادث، في الحالتين تظل الصحف كأدوات للضبط والتحكم حاملةً قدرًا كبيرًا من العنف الرمزي، مبعثه الخشية من بعث مجال عام غير خاضع للهيراركية المتوارثة يمكّن من تأسيس وعي مشترك بمواطنة نشطة. للموقفين أسباب نزول واحدة هي في الحالة المعاصرة اللاتطابق الذي يجترحه الشباب بين بنيات الحقل الشبابي والبنيات الموضوعية للهيمنة على المجال العام، عبر سحب اعترافهم بالمبادئ التي باسمها تجري السيطرة عليهم. الفعل كما اختيار أم قسمة وصلاح عبده يشيران إلى بدايات التحرر من الـ "نظام" كتمثلات سوسيوثقافية، تلك التمثلات التي ظلت تحكم الممارسة السياسية لدى السودانيين طوال عمر دولتهم ما بعد الكولونيالية.

## ملاحظات ختامية

ضمن أي مسارات ستمضي تلك البدايات؟ هذا ما يصعب التنبؤ به من دون مجازفات كبيرة. قد تنجح السلطة في دمج فعل الشباب ضمن منطق القوة الخاص بها، كما حدث في حالة صدقات مثلًا[56]، وقد يتمكن الشباب المسلحون بـ "فن الحضور" من تفادي ذلك وتوسعة نطاق ممكنات فعلهم. ما يبدو واضحًا أنهم، حتى الآن، تمكنوا من تقديم طريقة جديدة لصنع سياسة من دون سياسيين، يخرج بها (أي بالسياسة) من الزمن الممتد إلى الفعل اليومي، وينتقل فيها المعنى من عوالم مفارقة ليقطن الأشياء ويسكن الكلمات، ويجري معها الانتقال من المحكيات العامة إلى قضايا محددة ترتبط بالشارع وهواجسه وقضاياه. لقد قاموا بوضع حجر الأساس في مسرح جديد للسياسة يُبنى على أنقاض المسرح الرسمي المتصدع، يمكن أن يُكتفى فيه مستقبلًا بأداء عروض مستوحاة من الخطاب العلني، وقد يتمكن خطابهم المستتر في لحظة ما من القفز إلى الخشبة والإعلان عن نفسه في وضوح.

ربما لا تكون الورقة قادرة في اشتغالها الراهن على الحكم في مستقبل تدفقات الفعل الشبابي، لكنها مطمئنة إلى أنه إذا كانت ثمة فترة زمنية يتكثف فيها البحث عن المختلف خارج المؤتلف، فإن ما نعايشه هو محاولة القادمين الجدد للدفع بـ "السياسي"، بمعناه الذي اختبره سودان ما بعد 1956 نحو مثواه الأخير، وإلى أن الشباب سيستمرون في الأثناء - على قول شعري لمحمود درويش - في فعل ما يفعل السجناء، وما يفعل العاطلون عن العمل، وسيستمرون في تربية الأمل؛ فهم في الأخير ينشطون ضمن "حالة حصار".

## المراجع

### العربية

بورديو، بيير. **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. ترجمة درويش الحلوجي. دمشق: دار كنعان، 2004.

بوعزيزي، محسن. "فضاء الحركات الاجتماعية في المجتمعات العربية: الحالة التونسية مثالًا". **إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع**. العدد 1 (شتاء 2008).

بيات، آصف. **الحياة سياسة: كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط**. ترجمة أحمد زايد. المشروع القومي للترجمة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2014.

تايلر، تشارلز. **المتخيلات الاجتماعية الحديثة**. ترجمة الحارث النبهان. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

تلي، تشارلز. **الحركات الاجتماعية 1768-2004**. ترجمة ربيع وهبة. المشروع القومي للترجمة. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

تورين، آلان. **براديغما جديدة لفهم عالم اليوم**. ترجمة جورج سليمان. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2011.

---

53 البطحاني.

54 تيم نبلوك، **صراع السلطة والثروة في السودان**، ترجمة الفاتح التجاني ومحمد علي جادين، ط 3 (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007)، ص 172.

55 بيير بورديو، **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**، ترجمة درويش الحلوجي (دمشق: دار كنعان، 2004).

56 يعبر أحد مسؤولي الصدقات التي تحولت إلى مؤسسة: "نحن مسجلون في العمل الطوعي، التسجيل يعني تحولي إلى مؤسسة، لكي أتحول إلى مؤسسة يجب أن أتسق مع النظم العامة وأن أعمل من خلال إطار قانوني ينظم العمل، ولكي نندرج ضمن اللوائح والنظم التي تقرها وزارة الشؤون الاجتماعية، وهي قوانين دولة يجب اتباعها، احترام صدقات للقوانين واللوائح هو ما فرض تسجيل صدقات"، انظر: "المبادرات الطوعية".

الجهاز المركزي للإحصاء. **السودان في أرقام 2008-2012.** سلسلة السودان في أرقـام. العدد 13. الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، 2013.

**الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي.** تحرير عمرو الشوبكي. ط 2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014.

دريس، نوري. "استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية". رسالة ماجستير. جامعة محمد منتوري. قسنطينة الجزائر، 2007.

رئاسة مجلس الوزراء. الجهاز المركزي للإحصاء. **السودان في أرقام 2008–2012.** في: https://goo.gl/2uswJC

سكوت، جيمس. **المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم.** ترجمة إبراهيم العريس ومخايل خوري. بيروت: دار الساقي، 1995.

شوفالييه، ستيفان وكريستيان شوفيري. **معجم بورديو.** ترجمة الزهرة إبراهيم. دمشق: النايا للدراسات والنشر، 2013.

غدنز، أنتوني. **علم الاجتماع.** ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.

فـارس، سيد. "الحركات الاجتماعية وممارسة التأطير: مقاربة أنثروبولوجية". **عالم الفكر.** العدد 170 (تشرين الأول/ أكتوبر – كانون الأول/ ديسمبر 2016).

لصاوت، دديه وحميدة حمومي. "نظرية الحركات الاجتماعية: هياكل وأفعال وتنظيمات: تحليل الاحتجاج الاستشرافي". **إنسانيات.** العدد 8 (1999). في: https://goo.gl/UxaHni

ماتون، كارل. **مفهوم الهابيتوس عند بيير بورديو.** ترجمة طارق عثمان. سلسلة أوراق نماء 97. الرياض: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016.

معمري، سارة. "المجال العام المفتوح ووظيفته في عملية المظاهرة". رسالة ماجستير. جامعة الجزائر 2. الجزائر، 2015.

منظمة العمل الدولية. **خارطة الطريق: نحو سياسة وطنية للتشغيل في السودان.** كانون الثاني/ يناير 2014. في: https://goo.gl/jBtuNT

نبلوك، تيم. **صراع السلطة والثروة في السودان.** ترجمة الفاتح التجاني ومحمد علي جادين. ط 3. الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007.

النور، شمائل. "مداخلة ضمن المبادرات الشبابية وإعادة تعريف السياسة في السودان". مجلة **الحداثة السودانية.** العدد 4 (كانون الأول/ ديسمبر 2016).

هيومن رايتس ووتش. **وقفنا.. وفتحوا علينا النار: أعمال القتل والاعتقالات التي ارتكبتها قوات الأمن السودانية أثناء احتجاجات أيلول/ سبتمبر.** نيسان/ أبريل 2014. في: https://goo.gl/wCNTP5

## الأجنبية

Kadoda, Gada & Sondra Hale. "Contemporary Youth Movements and the Role of Social Media in Sudan." *Canadian Journal of African Studies*. vol. 49 (Aug. 2015).

Republic of the Sudan. Ministry of Human Resources and Labour. *Methodology of Labour Force Survey and Main Results*. at: https://goo.gl/1C59si

عبد الرحمن عيسى | Abdirahman Issa*

# الانتقال الديمقراطي في الصومال وتأثير الشباب فيه

# Democratic Transition in Somalia: Somali Youth as Influencers

تهدف الدراسة إلى فهم أعمق وقراءة مستفيضة لدور الجيل الشاب في إسقاط النظام العسكري في الصومال، وفي الوقت نفسه، تفحص إمكانيات هذا الجيل في إحداث الانتقال الديمقراطي المنشود. وقد لجأت الدراسة إلى الاستعراض التاريخي لتطورات الأوضاع في الصومال منذ سقوط النظام العسكري عام 1991، وصولاً إلى فوز محمد عبد الله فرماجو بانتخابات الرئاسة عام 2017. وقد رأت الدراسة، من خلال التجربة الصومالية، أن الجيل الشاب يقوم بدور فاعل في صياغة الانتقال الديمقراطي، وذلك بالمشاركة في اتخاذ القرارات السياسية في مختلف الهيئات والتنظيمات التي ينضوي فيها، بالضرورة أو الاختيار، ويتمتع بحيوية ومرونة في بلورة الآراء والأفكار لوضع الحلول للقضايا والمشكلات التي يعيشها.

**كلمات مفتاحية:** الصومال، أرض الصومال، الانتقال الديمقراطي، فرماجو.

This study seeks to find a deeper and more complete understanding of how Somali youth played a role in bringing down Somalia's junta led by Mohammed Said Barre in 1991. Equally, the author seeks to understand the prospects for that same generation in bringing about a desired democratic transition to their country. In making these arguments, the author relies on a largely qualitative methodology to unravel the development of events in Somalia. The study argues that Somali youth have a vital role to play in formulating a democratic transition in their country. The author further concludes that democracy represents remains one of the main hopes and aspirations for Somali youth, in their bid to overcome the traditional power structures, which have previously hindered their progress.

**Keywords:** Somalia, Somaliland, Democratic Transition, Farmajo.

* كاتب وباحث ودبلوماسي صومالي.

* Somali Researcher and Diplomat.

## مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم فهم أعمق وقراءة مستفيضة لدور النخب الشابة في إسقاط النظام العسكري في الصومال، كما تدرس إمكانيات هذه النخب في إحداث الانتقال الديمقراطي المنشود وترسيخ النظام الديمقراطي. وتستخدم المنهج الوصفي لتحليل الأحداث وتفكيك ملابساتها وتقريبها للقارئ لفهم طبيعة الانتقال السياسي، ممزوجًا بالمنهج التاريخي الذي يسرد تسلسل الأحداث، إلى جانب مقاربة المرحلة الراهنة، واستطلاع آفاق المستقبل. وسيتم هذا من خلال طرح الأسئلة التالية: ما الأسباب الجذرية لسقوط الحكومة المركزية في عام 1991؟ وهل يُعزى سقوط النظام إلى عامل جيلي؟ وما مدى فاعلية المكون النخبوي الجيلي اجتماعيًا وسياسيًا؟ وكيف تحوَّل جيل الشباب إلى أداة للتخريب؟ وما دور التدخل الخارجي؟

## أولًا: سقوط النظام العسكري وسنوات الحرب الأهلية

استولى العسكر على مقاليد الحكم في الصومال عام 1969، مطيحين النظام المدني الفتيّ. وبذريعة محاربة الفساد والظلم الاجتماعي، جرى تعليق العمل بالدستور، وبذلك انتهت الجمهورية الأولى التي أُسِّست بفضل نضال الشباب الصوماليين غداة الاستقلال في عام 1960. وتعهد العسكر بتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحسين مستوى معيشة الفرد، إلا أن هذه الوعود قد تبخرت؛ فقد ساء مستوى المعيشة عما كان عليه قبل الانقلاب، وتعاظَم اعتماد الدولة على المعونات الخارجية، وتدهورت حالة الحريات العامة والكرامة الإنسانية تدهورًا فاضحًا، حتى ثارت فئات الشعب ضد هذا النظام الذي واجههم بالقمع والتخويف والتشريد على عادة الأنظمة الشمولية الاستبدادية. وفي النهاية سقط النظام العسكري تحت وطأة ضربات الجبهات المتمردة[1].

سقط النظام في 21 كانون الثاني/ يناير 1991، ودخلت جبهة المؤتمر الصومالي الموحد العاصمة. وسرعان ما تم تنصيب علي مهدي محمد رئيسًا مؤقتًا للبلاد، وذلك في مؤتمر جيبوتي الأول، عقب سقوط النظام مباشرة. إلا أن ذلك لم يرُق للقائد العسكري للجبهة، الجنرال محمد فارح عيديد الذي رفض رئاسة مهدي للبلاد، معتبرًا نفسه الأحق بالرئاسة، وهذا ما أدى إلى اندلاع معارك طاحنة في العاصمة بين أصدقاء الأمس، على أساس عشيرة كل من الرجلين، حتى وصل عدد الميليشيات إلى أكثر من تسع ميليشيات، كانت منضوية جميعها تحت لواء معسكرَي عيديد ومهدي اللذين كانا يمثلان أكبر عشيرتين من عشائر "الهوية" التي أصبحت العشيرة المسلحة الوحيدة في العاصمة.

في خضم هذه الأجواء العاصفة، أعلنت "صومالي لاند" انفصالها عن بقية البلاد في 18 أيار/ مايو 1991، متذرعة بأنها استعادت استقلالها، وفضَّت شراكتها مع جمهورية الصومال من جانب واحد. وقالت إنها تنأى بنفسها عن الصراع المحتدم في مقديشو، تاركة الحريق الذي كان يشتعل من دون أن تتدخل، معتبرة نفسها جمهورية مستقلة بذاتها، وإن لم يعترف بها أحد حتى اليوم. ولم تتوقف الفوضى في العاصمة، حتى عقد مؤتمر عرتا الذي وضع حدًا للفوضى، وأرسى دعائم الدولة الصومالية من جديد. ولم تشارك "صومالي لاند" في هذا المؤتمر[2].

ويمكن عزو سقوط النظام العسكري في الصومال إلى أسباب داخلية وخارجية؛ أبرزها: احتكار السلطة وغياب الديمقراطية، والفشل في التنمية المستدامة وإنهاء الفقر أو الحد منه، وانتهاج سياسة خارجية متهورة، وهذا ما عجَّل بانهيار النظام العسكري في الصومال، وحلّ الجيش الصومالي الذي وُصِف حينها بأنه جيش محمد سياد بري. وقد أسهم ذلك في شل قدرة الدولة على الحماية والبقاء. وبحلّ الجيش، فقد الصومال أحد أعمدة الثبات الأساسية للدولة حتى يومنا هذا، ولم يخرج من دوامة العنف والفقر والجهل؛ فقد انخرطت الفصائل المسلحة التي أسقطت النظام العسكري في تصفية حسابات في ما بينها، وسلكت سلوك النظام، أو أسوأ منه، في سباق من أجل السلطة والنفوذ، منصرفة عن أي إمكانية للتوافق على بناء دولة ديمقراطية حرة، تستجيب لما ثارت من أجله الجماهير الصومالية، وهو رفع الظلم والتهميش.

جاء سقوط النظام العسكري بأيدي مجموعة من الجبهات العشائرية المتحالفة، ومثّل الشباب وقود هذه الجبهات التي قوَّضت مؤسسة الجيش الصومالي. وكان الجيش قد تضعضعت قواه إثر هزيمته في عام 1977 على أيدي الإثيوبيين الذين وجدوا دعمًا من الكتلتين الشرقية والغربية حينئذ، فأدى هذا الضعف في نهاية المطاف إلى وصول الجبهات العشائرية إلى السلطة في عام 1991. وأفضت حالة الفوضى إلى انهيار مؤسسات الدولة نهائيًا؛ فالقوى العشائرية كانت، بعكس الجيوش النظامية، غير منضبطة، وهذا ما أدى إلى تفشّي حالة من الرعب والخوف في البلاد، وفي العاصمة على وجه

1 عبد القادر جولني، "تطورات الأزمة السياسية في الصومال"، في: مجموعة مؤلفين، **التقرير الاستراتيجي الأفريقي الأول 2013-2014** (الخرطوم: مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 2014)، ص 65.

2 سمية عبد القادر، "إشكالية بناء جيش وطني موحَّد في مجتمع منقسم مناطقيًا"، مجلة **عمران**، العدد 20 (2017)، ص 5.

التحديد؛ حيث تواصلت عمليات السلب والنهب والقتل، في ظل عجز قادة الميليشيات عن وقف هذه الأعمال؛ فحالة اللانظامية جعلت التراتب العسكري سائلًا بلا وضوح لخطوط المسؤولية، فلا يُعرَف من هو القائد، وإن عُرِف فلا تُتَّبَع أوامره وسلطته. وتضخمت الأطماع العشائرية عند الوصول إلى السلطة، وسعى الجميع إلى تحصيل أكبر نصيب فيها، زاعمين أنهم كانوا الأكثر استبسالًا في إسقاط النظام السابق.

وأدى إنكار بعض الفصائل وجود البعض الآخر ونفوذه إلى حالة التناحر، وتكررت الاشتباكات المسلحة بين الميليشيات من أبناء العمومة، وبينها وبين غيرها من العشائر الأخرى. وكان الأمر أشبه بمعركة صفرية، نما معها شعور الشعب الصومالي والمجتمع الدولي بأن النخب عاجزة عن تهدئة الأوضاع، ومهدت الطريق لتدخُّل قوات خارجية لها أجنداتها، فزادت الأمور تعقيدًا.

وبعكس الدول الأخرى التي تفادت الانهيار الكامل، ونجحت في استمرار النظام، وإن لم تنجح في خلق ديمقراطية وتداول سلمي للسلطة، مثل إثيوبيا وكينيا والسودان، لم يستطع الصومال الحفاظ على هيكل الدولة، ودخل في نفق مظلم من الحرب الأهلية واللجوء والتشرد والإرهاب والقرصنة، بين عامَي 1991 و2000. خلال هذه الفترة، أضحى اسم الصومال مرادفًا لفشل الدولة على ألسنة الخبراء والمحللين، وباتوا يحذرون الدول الأخرى من "نموذج الصومالة".

تزامن انهيار النظام العسكري في الصومال مع انهيار النظام الإثيوبي، إلا أن الفرق بين الحالتين تمثَّل بتداعي مؤسسات الدولة في الصومال الذي عانى أزمة هوية[3] بين الانتماءات العربية والأفريقية والإسلامية، وذلك بعكس إثيوبيا التي أنقذت نفسها من وحل الفوضى بفضل هويتها الواضحة، وبما حازته من دعم دولي لم يسمح لدولة في مكانتها بالانهيار. ولم يسمح المجتمع الدولي كذلك بتفكك كينيا في عام 2007 عقب النزاع على نتائج الانتخابات، فتدخّل تدخلًا إيجابيًا لحل هذه الأزمة الخطيرة. أما في الصومال، فقد زاد التدخل الذي قادته الولايات المتحدة الأميركية الأمور تعقيدًا[4].

## ثانيًا: الملامح الفكرية لمراحل الانتقال السياسي

بعد سقوط النظام العسكري واندلاع الحرب الأهلية العشائرية، برز إلى السطح اتجاهان متصارعان: هما اتجاه الحركات الإسلامية، والاتجاه المدني. وكانت الغلبة للاتجاه الإسلامي في أغلب الأوقات، لكونه الأكثر تأهيلًا وموارد وقدرةً على استقطاب الجماهير، كما أنه كان الأقرب إلى الشارع، بحكم هيمنته على المؤسسات الاجتماعية بعد سقوط النظام العسكري، وهيمنة الفئات الشبابية على قياداته الميدانية. وسنستعرض في الجزء القادم هذين الاتجاهين.

### 1. الاتجاه الإسلامي

#### أ. تجربة المحاكم الإسلامية

ظهرت المحاكم الإسلامية لملء الفراغ، وتعويضًا عن غياب النظام والقانون بعد أن تهاوت عرى الدولة، وبعد أن ضاق الأهالي ذرعًا بالفوضى وانعدام الأمن. وقد ضمت المحاكم عناصر متنوعة من علماء وفقهاء، ووجهاء عشائر، إضافة إلى رجال أعمال بارزين في العاصمة، أنِفوا الخضوع لنفوذ قادة الميليشيات وأمراء الحرب الذين كانوا يفرضون إتاوات على السكان.

لم تتبلور المحاكم الإسلامية في هيئتها الأخيرة إلا بعد إنشاء اتحاد المحاكم الإسلامية الذي سبقته بضع محاولات، قاد أُولاها الشيخ الصومالي الأزهري، محمد معلم حسن، وذلك عقب انهيار النظام العسكري مباشرة عام 1991. وتم إنشاء محكمة شرعية سُمّيت محكمة هرسيد، أي الرائدة، بحي ورطيغلي، جنوب مقديشو، بالتعاون مع الوجهاء وشيوخ العشائر. لكن عيديد قضى عليها؛ إذ عدّها خطوة لإضعاف نفوذه، وكان وقتها هو المسيطر على جنوب العاصمة. شن عيديد هجومًا بالصواريخ على مقر المحكمة بلا تمييز بين الحشود المجتمعة؛ فقُتل عدد منهم، وتفرق الباقون، وهكذا أُجهضت أول محاولة لإنشاء محكمة إسلامية في مهدها[5].

واستمرت المحاولات؛ فبعد عام من القضاء على محكمة هرسيد، أُسّست محكمة حمانديد في عام 1992، في حي المدينة، وهو أكبر أحياء مقديشو. ولم تعمر هي الأخرى أكثر من بضعة أشهر. لكن أول محكمة ناجحة ظهرت مع بداية عام 1994؛ إذ أُسّست محكمة شرعية على أساس عشائري في الشطر الشمالي من العاصمة، وعُيّن الشيخ علي محمود، الشهير بعلي طيري، رئيسًا للمحكمة،

3 عبد الرحمن عيسى، "الصومال: جدلية الهوية بين الانتماء العربي والإفريقي"، **تقارير**، مركز الجزيرة للدراسات، 8 آذار/ مارس 2016، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/n429wa

4 لو أردنا أمثلة إضافية، فمثال السودان واضح؛ إذ كاد أن ينزلق في الفوضى العارمة مرتين: الأولى حين فشل غزو المرتزقة في عام 1976؛ إذ كانت الخلافات والشكوك بين الفرقاء السياسيين شديدة الوطأة، لكن الغزو باء بالفشل بسبب يقظة السودانيين ووعيهم. وكانت المرة الأخرى حينما اندحرت قوات خليل إبراهيم على مشارف أم درمان في عام 2008، وكان جل قواته من ولاية واحدة، وربما قبيلة واحدة من قبائل السودان الحدودية، ولو أنها تمكنت من الوصول إلى السلطة لكان ذلك كفيلًا بانهيار السودان. انظر: معتصم الأمين، "من أسباب انهيار الدولة في الصومال (1)"، سودارس، نقلًا عن صحيفة **الرأي العام**، 2010/7/30، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/yKM6sz

5 عمر إيمان أبو بكر، **تجربة المحاكم الإسلامية في الصومال** (القاهرة: دار الفكر العربي، 2008)، ص 60.

واستطاع بسط نفوذها على أجزاء واسعة من شمال العاصمة، مستعينًا بالميليشيات التي كوَّنَتها. وقد نفّذت أحكامًا مختلفة على عدد كبير من السكان، حتى عام 1997، حينما خاض الزعيم القوي آنذاك، علي مهدي محمد، صراعًا ضدها، وتمكّن من القضاء عليها، وتفكيك أجهزتها القضائية والتنفيذية بدعم من الحكومة الإثيوبية[6].

خلال عقد واحد، كانت تجربة المحاكم الإسلامية في العاصمة مقديشو تحظى بثقة شعبية؛ لقيامها بالفصل في المنازعات، وفرض الأمن. وظلت هذه المحاكم جهدًا أهليًا انفراديًا، موزعًا عشائريًا، لا تُظلّه مظلة جامعة، إلى أن ظهرت حكومة عبد الله يوسف أحمد عام 2004، وهي التي استقرت في مدينة بيدوا بعد رفض زعماء الحرب النافذين قيامها في مقديشو، وقد اعتبر الإسلاميون أيضًا هذه الحكومة خطرًا على نفوذهم، وناصبوها العداء. في الوقت ذاته، بدأ أمراء الحرب الهجوم على قادة المحاكم الإسلامية، وأسسوا تحالفًا أطلقوا عليه تحالف إعادة السلم ومحاربة الإرهاب، واختطفوا بعض الإسلاميين، وسلموهم للولايات المتحدة على أنهم إرهابيون. ومن هنا بدأ الصدام المسلح بين أمراء الحرب المسيطرين على العاصمة وقادة المحاكم الإسلامية[7].

لكن هذه المواجهة أسفرت عن هزيمة أمراء الحرب بعدما فقدوا ثقة الشعب من جرّاء ممارساتهم. وفاجأت هذه النتيجة قادة المحاكم أنفسهم قبل المجتمع الدولي. وقد نجحت المحاكم الإسلامية في السيطرة على العاصمة، وتم تشكيل اتحاد للمحاكم الإسلامية، بوصفه كيانًا موازيًا للدولة، قُيِّض له أن يبسط سيطرته الكاملة على وسط البلاد وجنوبها في فترة وجيزة، بينما بقيت مدينة بيدوا مقرًا للحكومة الانتقالية الاتحادية. وحاولت قوات اتحاد المحاكم الإسلامية، بسوء حساباتها لموازين القوى، طمس حكومة عبد الله يوسف أحمد الذي أبدى استعداده الكامل للتفاوض مع اتحاد المحاكم الإسلامية واقتسام السلطة معه، وبالفعل جرت مفاوضات بين الجانبين في الخرطوم برعاية جامعة الدول العربية، وكادت أن تصل إلى تفاهمات لولا أن فصيل حركة الشباب المجاهدين المنضوي تحت اتحاد المحاكم الإسلامية أفشل الاتفاق، واندلعت الاشتباكات بين الجانبين على نحو سمح بتدخّل القوات الإثيوبية لصالح الحكومة الانتقالية الفدرالية، والقضاء على كيان اتحاد المحاكم الإسلامية[8].

### ب. اتجاه الحركات الإسلامية

حكم ضيق الأفق المشهد الحركي؛ فالتيار السلفي الذي مثلته جماعة الاتحاد الإسلامي سابقًا دخل معركة غير محسوبة العواقب مع الشعب الصومالي باسم الجهاد، حينما تمكنت الجماعة من بسط سيطرتها في عام 1992 على مدينة بوصاصو الواقعة في منطقة شمال شرق الصومال المعروفة بـ"بونتلاند" حاليًا، وبذلك فقدت ثقة الناس. وصادف ذلك إطلاق سراح العقيد عبد الله يوسف أحمد من معتقلات إثيوبيا بعد سقوط نظام منغستو، ليصبح حاكمًا لولاية "بونتلاند" ورئيسًا للجمهورية. وحين أراد العقيد عبد الله يوسف أحمد تشكيل إدارة محلية من الأهالي في مدينة غاروي وعقد اجتماعات مع الأهالي، انتبه الاتحاد الإسلامي لتحركات العقيد مع الأعيان، فطوّقوا الاجتماع، وقبضوا على المؤتمِرين. لكن بعض الجنود ثاروا ضد الاتحاد الإسلامي من منطلق عصبية قبلية، وانتفضت العشائر من مدينة جالكعيو، مسقط رأس عبد الله يوسف أحمد، فاضطر الاتحاد الإسلامي إلى إطلاق سراح الوجهاء والأعيان. وشن العقيد عبد الله يوسف أحمد هجومًا على قوات الاتحاد الإسلامي، ونجح في طردهم من مدينة بوصاصو، بعد معارك عنيفة. وهكذا فشلت تجربة أخرى من تجارب الإسلاميين في الحكم[9].

وقفت التنظيمات التي تحمل فكر جماعة الإخوان المسلمين، وتزعُم تمثيلها الإسلام الوسطي المعتدل، في مواجهة مع التيار السلفي الذي تصفه بالتشدد والحرفية. وكانت هذه التنظيمات سريعة التمايز، سهلة الالتقاء إذا دعت الحاجة، ولا توجد فواصل منهجية بين الطرفين سوى ما رسخه شيوخ الحركة من مسارات في التحرك والولاءات والقواعد المالية والاتصالات الخارجية[10].

وداخل التيار السلفي في الصومال، تنضوي أطياف عدة؛ منها جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، وهي تنظيم كبير لكنه هش، يوحّده الانتماء السلفي والإيمان بضرورة العمل الجماعي المنظم بقيادة رموز دعوية ذات تأثير كبير في الساحة الصومالية؛ ومنها السلفية اللاتنظيمية التي يجمعها رفض العمل الجماعي في إطار تنظيمي؛ وكذلك التيار المسلح الذي يُنعَت باسم "السلفية الجهادية" غالبًا - ومنه حركة الشباب المجاهدين - وحين يتخلى عن العنف، سيمثل مخزونًا طبيعيًا لجماعة الاعتصام[11].

## 2. الاتجاه المدني

تقدمت النخب الشابة بمبادرات غايتها إنهاء الانقسام العشائري والأيديولوجي، والحد من العنف وانتشار التسلح في أوساط الشباب،

6 المرجع نفسه، ص 79.

7 المرجع نفسه، ص 119.

8 المرجع نفسه، ص 54.

9 المرجع نفسه، ص 72.

10 محمد عمر أحمد، "الإسلاميون في الصومال: سباق على المراكز"، الجزيرة نت، 2012/12/18، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/RwTyeq

11 المرجع نفسه.

وإنشاء المؤسسات التعليمية التي حققت الكثير من الإنجازات في تثقيف الشباب وتعليمهم الأكاديمي والمهني[12]. ومع أنه لا توجد تيارات مدنية منظمة في الصومال، فقد ظلت السلطة فيه سجالًا بين التيارين المدني والإسلامي. وذلك مرجعه إلى عاملين: ثقافة العشيرة السائدة في السياسة الصومالية؛ وتأثير المجتمع الدولي المتوجس من نوايا "الإسلاميين".

> تقدمت النخب الشابة بمبادرات غايتها إنهاء الانقسام العشائري والأيديولوجي، والحد من العنف وانتشار التسلح في أوساط الشباب، وإنشاء المؤسسات التعليمية التي حققت الكثير من الإنجازات في تثقيف الشباب وتعليمهم الأكاديمي والمهني

وبعكس التيار المدني، فإن التيار الإسلامي قوة فاعلة على أرض الواقع في جميع أنحاء البلاد، وتحظى بمقدرات كبيرة جعلتها تسيطر على قطاعات التجارة والتعليم والاتصالات وغيرها، وإن عابته قلة التجربة السياسية وغياب الرؤية الواضحة لرسم الإستراتيجيات للمستقبل. وهناك محاولات حثيثة لتشكيل أحزاب سياسية مرجعيتها الدستور والقوانين الناظمة للعبة السياسية، من دون تبنّي العلمانية التي تعني الفصل التام بين الدين والدولة؛ فالتيار المدني يحاول جاهدًا تثبيت نفسه على الأرض وسحب البساط من الإسلاميين.

## ثالثًا: مسار الانتقال الديمقراطي

يمكن تتبع المسار الانتقالي منذ بداية القرن الحالي؛ ففي مؤتمر عرتا بجيبوتي عام 2000 الذي شهد اقتراعًا على رئاسة البلاد، فاز عبد القاسم صلاد حسن، المدعوم من الإسلاميين، على خصمه، عبد الله أحمد عدو، ممثل التيار المدني. كان فوز صلاد مدويًا على نحو أثبت قوة الإسلاميين في الساحة الصومالية. وفي مؤتمر إلدوريت - إمباغاثي بكينيا، عام 2004، فاز التيار المدني بقيادة عبد الله يوسف أحمد برئاسة البلاد، وخسر صلاد. وفي دورة عام 2008، عاد الإسلاميون إلى الحكم بفوز شريف شيخ أحمد بالرئاسة، كما حافظوا على السلطة في دورة عام 2012 أيضًا برئاسة حسن شيخ محمود الذي نفى انتماءه إلى جماعة الإصلاح، فرع الإخوان المسلمين في الصومال، وإن كان المراقبون يرونه قريبًا من فرع الدم الجديد الذي انشق عن جماعة الإصلاح. وأخيرًا، فاز محمد عبد الله فرماجو، في الدورة الانتخابية لعام 2017.

بعد التصديق على الدستور المؤقت للبلاد في آب/ أغسطس 2012 من طرف الجمعية التأسيسية للدستور المكوّنة من 825 شخصًا يمثلون كل شرائح المجتمع، وانتخاب حسن شيخ محمود رئيسًا دستوريًا في 10 أيلول/ سبتمبر 2012 بوصفه أول رئيس يُنتخب في أرض الوطن منذ انتخابات عام 1967، تحفز الجميع لتأمين مراكز ومواقع في خريطة السلطة في الصومال. وشهدت الساحة الصومالية حراكًا في كل الصُعد؛ استغلالًا لأجواء الحرية وارتفاع الأمل في عودة الصومال إلى جادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي، مستفيدًا من زخم الربيع العربي الذي أيقظ الشعوب، وشجعها على تشكيل مؤسسات مجتمع مدني، وإنشاء أحزاب سياسية كانت غالبيتها ذات خلفيات دينية.

## رابعًا: مؤتمرات المصالحة الصومالية

منذ إطاحة النظام العسكري بقيادة محمد سياد بري في عام 1991 حتى عام 2008، عُقد نحو 20 مؤتمر مصالحة خارج الصومال، إلى جانب عشرات المؤتمرات التي عُقدت في الداخل بين العشائر الصومالية، ولم ينجح معظم هذه المؤتمرات في إيقاف شلال الدم وإنهاء الصراعات القبلية على السلطة والثروة، ولم تصمد نتائجها طويلًا. ومن أبرز هذه المؤتمرات: مؤتمر جيبوتي الأول عام 1991؛ ومؤتمر أديس أبابا عام 1993؛ ومؤتمر نيروبي عام 1996؛ ومؤتمر سودري عام 1997؛ ومؤتمر القاهرة عام 1997؛ ومؤتمر عرتا عام 2000؛ ومؤتمر إلدوريت بين عامَي 2002 و2004؛ ومؤتمر جيبوتي الثاني عام 2008[13].

وكان أنجح هذه المؤتمرات ثلاثة؛ هي: مؤتمر عرتا بجيبوتي الذي يعد اللبنة الأساسية لإعادة الدولة الصومالية إلى مسارها الصحيح، ومؤتمر إلدوريت بكينيا الذي اعتمد النظام اللامركزي (الفدرالية) أساسًا للحكم، ومؤتمر جيبوتي عام 2008 الذي نجح في التوفيق بين نظامَي الحكومة الوطنية الانتقالية والحكومة الاتحادية الانتقالية.

يُعد أساس الانتقال الديمقراطي مؤتمر عرتا بجيبوتي عام 2000 الذي أعلن ميلاد الجمهورية الثالثة، على أنقاض الجمهورية الثانية في عام 1991، إثر اندلاع الحرب الأهلية الطاحنة. وفي عرتا، انتُخب صلاد على رأس الحكومة الوطنية الانتقالية، إلا أن هذه الحكومة قد مُنيت بالفشل؛ لانتهاجها المركزية في نظام الحكم، وعدم ملاءمة ذلك لواقع التمزق

12 من رواد هؤلاء النخب شاب اسمه محمد علي أحمد، عُرِف باسم "المن"، رفع شعار "ارم السلاح وارفع القلم"، ودعا إلى التعليم قبل أن يغتاله مشبوهون، اتهموه بنشر ثقافة منافية للدين والقيم المجتمعية. وبعد هذه الحادثة خلت الساحة للإسلاميين.

13 "المصالحة الوطنية الصومالية: قراءة في المنطلقات والأسس وتحليل النتائج"، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2016، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/95tiHe

السياسي والاجتماعي في البلاد، بعد عقد من التناحر العشائري، إضافة إلى توجس المجتمع الدولي من انتماء الرئيس نفسه إلى جماعة الإصلاح.

وبعد فشل هذه الحكومة، اجتمع الصوماليون في إلدوريت بكينيا. واستمر هذا المؤتمر عامين تقريبًا، حتى تمخض عن توافقات حول تبنّي فكرة اللامركزية في الحكم. وبالفعل، انتُخب عبد الله يوسف أحمد رئيسًا للبلاد، ليشكل الحكومة الاتحادية الانتقالية. وسجلت هذه الحكومة نجاحات محدودة وإخفاقات كثيرة، حتى إن الرئيس عبد الله يوسف أحمد أُجبر على الاستقالة قبل نهاية ولايته بنحو عام.

بعدها، اجتمع الصوماليون مرة أخرى في جيبوتي، وانتُخب شريف شيخ أحمد رئيسًا للبلاد. وقد نجح نسبيًا في قيادة البلاد، بإنهاء المرحلة الانتقالية، وكتابة دستور مؤقت، وانتخاب رئيس الجمهورية في داخل الوطن، هو الرئيس حسن شيخ محمود الذي تولى زمام القيادة، وشكّل الولايات الاتحادية (الفدرالية)، كما طوّر نظام الانتخاب إلى نظام شبه مباشر، بعد تشكيل الغرفة الثانية للبرلمان الاتحادي. وقام، كذلك، بتقليص دور شيوخ العشائر. وقد يسّرت هذه التغييرات المتسارعة انتخاب الرئيس محمد عبد الله فرماجو الذي حظي بتأييد عارم من فئات الشباب؛ أملًا في تحقيق الأمن والاستقرار والازدهار الاقتصادي[14].

## خامسًا: التحديات في طريق الانتقال السياسي

تواجه الديمقراطية الوليدة في الصومال تحديات سياسية وأمنية واقتصادية وثقافية واجتماعية، تعترض طريقها لخلق مجتمع مدني يحترم الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات. وتزداد التحديات تعقيدًا بفعل العولمة، والتدخلات الأجنبية بفعل المصالح المتباينة للدول، وتعقُّد الصراعات الدولية، وانتشار الإرهاب والجرائم المنظمة والهجرة غير الشرعية. وسنركز في هذا الجزء على أسلوب المحاصصة في توزيع المناصب السياسية، وعلى جيل الشباب وتحديات الديمقراطية.

### 1. المحاصصة عقبة على طريق الانتقال الديمقراطي

بدأ تطبيق مبدأ المحاصصة العشائرية في الصومال رسميًا في مؤتمر المصالحة الصومالية بعرتا عام 2000، وهو الذي أسس لاستعادة الصومال مؤسساته الدستورية لتمثيله في المحافل الدولية والإقليمية بعد غياب عن الساحات الدولية لعقد من الزمان من جرّاء الحرب الأهلية ومآسي اللجوء والمجاعة والإرهاب. والواقع أن مبدأ المحاصصة كان من أهم أسباب تخلّف الصومال عن ركب التقدم والحضارة والنهوض الذي لحق به جيران الصومال في منطقة القرن الأفريقي، فضلًا عن العالم المتحضر في الفترة الأخيرة؛ ولا سيما قاعدة 4.5 المعمول بها في اقتسام المناصب السياسية، وهي التي تخالف أبسط مبادئ حقوق الإنسان والعدالة، بتكريسها اختيار الشخص غير المناسب[15].

كانت العقبة الكبرى التي واجهت الوفود في مؤتمر عرتا في جيبوتي هي الاتفاق على كيفية تأسيس برلمان وطني، وآلية اختيار أعضاء البرلمان، وإيجاد معيار لهذا. وثار الجدل: هل يؤسَّس برلمان على معيار مناطقي وفق تقسيمات المحافظات الـ 18 ونواحيها المعروفة؟ أم يُختار على أساس عشائري؟ وبعد جدل طويل كاد أن يُفشِل المؤتمر، تم التوصل إلى تسوية تمنح 4 كتل عشائرية كبيرة؛ هي: الدر، والدارود، والهوية، والدغل والمرفلي، حصصًا متساوية من مقاعد البرلمان، بمقدار 61 مقعدًا لكل منها، بينما تحصل الكتلة الخامسة - وهي تجمع الأقليات غير المنتمية إلى أي من الكتل الأربع المهيمنة - على نصف حصة، بمقدار 31 مقعدًا. وبهذا يصبح مجموع المقاعد البرلمانية 275 مقعدًا.

هدف مهندسو هذه القاعدة إلى أن ينحصر تطبيقها في اختيار البرلمان، وعلى نحو مؤقت، إلى حين اكتمال بناء مؤسسات الدولة واستعادة الأمن، وبما يمكّن من إجراء إحصاء سكاني شامل، وتشكيل الأحزاب السياسية، وإنشاء الدوائر الانتخابية، ومن ثم تنظيم الانتخابات. لكن تطبيق هذه القاعدة استمر أكثر من 15 عامًا، وتوسع تطبيقها على نحو جنوني لتشمل جميع المناصب السياسية، بل حتى اختيار الفنيين على حساب الكفاءة ومبدأ تساوي المواطنين وتكافئهم في الحقوق والواجبات. وفي وقت لاحق، تعهدت القيادات الصومالية بإلغاء قاعدة المحاصصة العشائرية، وإعداد خريطة طريق للفترة 2016-2020، لتكون بداية لتصحيح المسار السياسي، والتحرر من قيود هذه المحاصصة التي جمّدت فرص جيل كامل في المشاركة في صنع حاضره ومستقبله.

### 2. الجيل الشاب وتحديات الديمقراطية

ظل الشباب رقمًا صعبًا في السياسة الصومالية منذ ما قبل الاستقلال؛ حينما أسس 13 شابًا صوماليًا، كلهم دون سن 30 عامًا، من مختلف

14 عبد الرحمن عيسى، "قراءة في المشهد السياسي والانتخابي في الصومال: تطلعات وتوقعات"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، شوهد في 2018/5/24، في: http://bit.do/egNDy

15 عبد الرحمن عيسى، "أزمة السياسة في الصومال (9)"، شبكة الشاهد، 2015/10/24، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/oKJJQn

مناطق الصومال، رابطة الشباب الصومالي في 15 أيار/ مايو 1943، بهدف مناهضة الاحتلال، والنضال من أجل الحرية والاستقلال. وبالفعل، تكللت جهودهم بالنجاح، ونال الصومال استقلاله في عام 1960. ولا غرابة في أن يقود جيل شاب جديد عملية التحول الديمقراطي في البلاد، بعد أن قاد مسيرتها نحو الحرية في زمن الاستقلال وإقامة الوحدة بين الجزء الشمالي الغربي الذي خضع للاحتلال البريطاني وبقية الأجزاء التي خضعت للاحتلال الإيطالي. وقد هيمن حزب رابطة الشباب الصومالي على الحكومات التي شُكّلت بعد الاستقلال، إلى أن حدث الانقلاب وقُضِي على التجربة الديمقراطية الحديثة[16].

وباعتبار أن المجتمع الصومالي مجتمع فتِيّ جدًا؛ إذ يمثّل الشباب دون سن 35 عامًا نحو 75 في المئة من السكان بحسب أحدث تقدير سكاني في البلاد[17]، بينما تبلغ نسبتا البطالة والفقر 75 في المئة و80 في المئة من السكان على التوالي[18]، نستطيع أن نقول بثقة إن مشكلات المجتمع هي المشكلات التي تواجه الشباب، ومن أبرزها: العثرات الاجتماعية، والصراع النفسي، وضعف التحصيل العلمي والثقافي، وتعسر الزواج والإنفاق على الأسرة، والإدمان، والقلق والاكتئاب، والعنف، والبطالة. ويجب الاهتمام بتنمية ملكة القيادة لدى الشباب وإعدادهم من حيث تعلّم إدارة الذات، وإدارة الوقت، وإتقان فن الريادة والإقناع، إضافة إلى توسيع قاعدتهم المعرفية حول بناء العلاقات، والتصرف في المواقف المختلفة، والمشاركة في التخطيط والمتابعة والتقييم[19].

إن الرؤية المستقبلية للديمقراطية في البلاد عمومًا، ولدور الشباب في صياغة الانتقال الديمقراطي خصوصًا تتوقف على محورين؛ هما: مستقبل الشباب في المجتمع، ومستقبل المجتمع على أيدي الشباب. وعندما يتطابق هذان المحوران ويتجهان في الاتجاه نفسه، تتضح الرؤية المستقبلية للشباب بصفته فاعلًا أساسيًا للتنمية والديمقراطية، وليس مفعولًا به، كما تتضح الرؤية المستقبلية للشباب بصفته مفعولًا لأجله من مختلف قطاعات المجتمع وفعالياته، مثلما تتضح جهود المجتمع التي ينبغي بذلها، والخطط الوطنية التي يتحتم وضعها من أجل أن يشكّل الشباب مستقبل المجتمع وحدوده الحضارية ومقاماته الثقافية، على نحو يعكس تضافر جهود الشباب وحيويتهم، واستعداد المجتمع لتمكين الشباب لتحقيق هذه المطالب، والإجراءات والخطوات اللازمة لتلبية هذه المطالب؛ إذ إن العلاقة بين الشباب والمجتمع هي تفاعلية تبادلية، تحركها المبادرة من أحد الطرفين تجاه الآخر، وتنبعث من إيمان كل منهما بأنه يؤدي استحقاقًا للآخر، وفقًا لقاعدة نيل الحقوق مقابل أداء الواجبات[20].

## سادسًا: دور الشباب في فوز الرئيس فرماجو

دخل الصومال مرحلة جديدة من الانتقال الديمقراطي في الثامن من شباط/ فبراير 2017 بانتخاب محمد عبد الله محمد فرماجو رئيسًا جديدًا لجمهورية الصومال الفدرالية، بعد حملة انتخابية حامية الوطيس، ربما لم يشهد الصومال لها مثيلًا في تاريخه السياسي.

فور إعلان فوز فرماجو، وإقرار الرئيس المنتهية ولايته، حسن شيخ محمود، بهذا، انطلقت مسيرات شعبية عفوية واسعة، واحتفالات عمّت معظم مدن الصومال، كما انتشرت خارجها. وقد ابتهج المواطنون بهذا النصر على نحو موحّد، أحيا مشاعر الوحدة والروح الوطنية في قلوب الناس. وبدت هذه المسيرات والاحتفالات الصاخبة التي استُقبل بها الرئيس فرماجو رسالة موجهة إلى الخارج وإلى الداخل، مفادها أن من سيأتي بعد فرماجو عليه أن يدرك قبل كل شيء أن رهاناته على الدعم الخارجي لن توصله إلى "الفيلا صوماليا" بقدر ما يوصله الرصيد الشعبي الذي أصبح الورقة الرابحة من الآن فصاعدًا. وعلى عكس ما روّج له البعض من تحذيرات من إغراق العاصمة بأنهار من الدماء، وتحويلها إلى حلبة صراع، وإرجاعها إلى المربع رقم واحد إذا لم يفز مرشح من بعض العشائر التي تنتمي إلى محيط العاصمة، فقد كذّبت الاحتفالات التي سادت العاصمة، ابتهاجًا بفوز فرماجو الذي لا ينتمي إلى العشائر المحيطة بالعاصمة، هذه التخرصات، لتؤكد أن الواقع هو العكس. وبات واضحًا للعيان أن العاصمة كانت متعطشة للتغيير من جديد، وللتحرر من الفاسدين والمخربين أكثر من أي وقت مضى، وأما العُقَد القبلية فستبقى جمرة تحرق أصحابها من الداخل[21].

ولم يكن فوز فرماجو بالرئاسة متوقعًا للمتابعين والمحللين للشأن السياسي الصومالي؛ فاستطلاعات الرأي كانت تضعه في المرتبة الرابعة، ولكنه استفاد من جملة التناقضات الفكرية والعشائرية في المشهد

16 "تاريخ رابطة الشباب الصومالي"، (باللغة الصومالية)، موقع هوبيو، 2015/5/15، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/8LDW2S

17 Pilirani Semu-Banda, "Youth in Somalia Plan for a Better Future," UNFPA Somalia, 14/3/2015, accessed on 24/5/2018, at: https://goo.gl/fM1gss

18 "الأوضاع الاقتصادية بالصومال بعد سنوات من غياب الدولة"، الجزيرة نت، 2016/7/30، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/hvR5sJ

19 عزيزة علي، "محاضرة تقرأ أبرز التحديات التي تواجه الشباب العربي في منتدى الروّاد الكبار"، جريدة **الغد**، 2011/2/10، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/eSVVGc

20 عبد الله تركماني، "أبرز التحديات التي تواجه التحول الديمقراطي في العالم العربي"، الحوار المتمدن، 2012/4/7، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/vKuAn6

21 عبد الحكيم ديرية، "دلالات فوز فرماجو الكاسح"، تكايا، 2017/2/12، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/gSFETw

السياسي الصومالي، واستثمر عاملَين؛ هما: اصطفاف الشباب والنساء حوله وقيادتهم لحملته[22]؛ وأن المرشحين الثلاثة البارزين رأوا في فرماجو بديلهم المناسب في حال لم ينجحوا هم بأنفسهم. وأوعزوا بذلك إلى مناصريهم، وهو ما حسم الفوز لصالحه في نهاية المطاف.

ويرتبط التفاف الأجيال الجديدة حول فرماجو بدخول نسبة كبيرة من الجيل الجديد والشباب المثقف الواعي إلى البرلمان[23]، وهم من سئموا الأحوال السياسية الراكدة، والأوضاع المزرية في البلاد، فبحثوا عن واجهة للتغيير، وقرروا توجيه البوصلة نحوها. وارتبط بذلك حصول فرماجو على ثقة بسطاء الناس وفقرائهم، خصوصًا شريحة الشباب، بعد أن قدّم لنفسه من خلال تجربته القصيرة جدًا والناجحة في رئاسة الحكومة في عام 2010. والحال متعلق بنشوء وعي متعاظم بمخاطر السياسة العشائرية، وميل نحو تبنّي مبادئ وطنية جامعة. وقد امتاز فرماجو بأنه لم يكن مرشح عشيرة أو ولاية بعينها، أو مدفوعًا من جهات أجنبية. ولا ننسى أن هذه الانتخابات كانت بمنزلة استفتاء على رفض الإملاءات الإقليمية والتدخلات الأجنبية السافرة التي كانت السمة البارزة في الفترات السابقة. ولم يكن مستغربًا فشل سلاح الإغراء المالي وشراء الأصوات والذمم في هذه الانتخابات؛ فلم يكن المال هو العامل الحاسم لترجيح كفة مرشح على آخر أو ضمان صوت النائب البرلماني الصومالي، وبدا هذا واضحًا؛ إذ إن حسن شيخ محمود وعمر شارماركي دفعا أموالًا طائلة، مثل حملة الرئيس فرماجو، ولكن عنصر المال وحده لم يكن كافيًا[24].

ويشي تأمّل الدور الشبابي في هذه المرحلة باستفادة الشباب من وسائل التواصل الاجتماعي، فضلًا عن وسائل الإعلام المتنوعة، المسموعة والمقروءة والمكتوبة، في الترويج لمرشحهم. لقد كانت حملاتهم منظمة ومنسقة للتأثير في شيوخ العشائر ورؤساء الولايات الاتحادية، وحتى ممثلي المجتمع الدولي، بإقناعهم بضرورة انتخاب مرشحهم، واستطاعوا تصويره بوصفه المنقذ والمخلّص من كل أزمات الصومال. وامتازت حملة فرماجو التي قادها الشباب بالتنظيم المحكم، والاستعداد المبكر، والاستفادة من أخطاء الحملة الانتخابية الفاشلة في دورة عام 2012 التي لم يحصد فيها سوى 14 صوتًا. وكان الأثر واضحًا في إطلاقهم حملة لجمع التبرعات بعنوان "حملة ساهم من أجل الوطن"؛ فقد تجاوب معها كثيرون من مختلف فئات الشعب، وخصوصًا المغتربين الذين أسهموا بمبالغ مالية كبيرة، وانطلقت الحملة أولًا في دول المهجر حيث يعيش ربع سكان الصومال.

## خاتمة

بعد هذا الاستعراض يبقى السؤال: هل سيستمر الشباب في المحافظة على المكتسبات التي حققوها بعد الانتخابات؟ من المأمول أن يسعى الشباب إلى ترسيخ مواقعهم، وأن يحاولوا كسب مزيد من النجاحات في ميدان المشاركة السياسية والانتقال الديمقراطي. وما يعزز هذا هو امتلاكهم الحيوية، والمعرفة اللازمة لمواكبة تطورات عصر العولمة ومتطلبات الحياة الحديثة، وإن كانت تنقصهم الخبرات اللازمة في مجال الانتقال الديمقراطي وخوض غمار السياسة.

وحفاظًا على زخم التحول السياسي الذي قاده الشباب، فلا بد من مواصلة الانتقال الديمقراطي إلى جانب القوى الديمقراطية الحية في البلاد، ومناقشة القضايا الجوهرية التي تؤسس لبناء دولة مدنية وديمقراطية، تحترم الكرامة الإنسانية وأسس العدالة الاجتماعية، والمساواة والإنصاف؛ دولة يحظى الشباب فيها بالمستقبل الذي يليق بهم، والمساهمة في استكمال مراجعة الدستور المؤقت ليواكب التغيير نحو الديمقراطية، والحفاظ على المكتسبات التي تحققت عبر الحراك الاجتماعي الشبابي، ودينامية المجتمع المدني الديمقراطي.

وبحكم موقعهم الديموغرافي المهم، سيظل الشباب العمود الفقري لكل حراك يشهده المجتمع الصومالي، ومن ثم يؤمل في دورهم في استكمال الانتقال الديمقراطي، ودمجهم في مختلف الهيئات والتنظيمات التي ينتسبون إليها بالضرورة أو ينضمون إليها بالاختيار. وهذا ما سيتيح لهم التمتع بحريتهم في بلورة الآراء والأفكار لوضع الحلول لمختلف القضايا والمشكلات التي يعيشونها.

تستطيع فئة الشباب الصومالي أن تقدّم نموذجًا عربيًا، بعد سنوات من الانقسام والعنف، يبيّن كيف يمكن لهذه الفئة أن تحقق طموحاتها وتطلعاتها إلى الحرية والعيش الكريم. وهذا الأمر بعيد عن التذرع بالخصوصية لرفض الأطر الديمقراطية بحجة عدم تناسب الظروف وتعارُض القيم والتراث؛ فليس هذا التذرع إلا ضربًا من التهرب من متطلبات الواقع واستحقاقاته. وهو تذرع واهٍ، الغرض منه الاستحواذ غير المشروع على السلطة، وقد كان من نتائجه انتشار الإحباط، واليأس، والفقر، والمديونية، والبطالة، وأزمة هوية وانتماء، ونزعات طائفية وإثنية، وأنظمة وعلاقات عشائرية وقَبَلية، وأزمة في

22 "The Regional Risks to Somalia's Moment of Hope," International Crises Group, 22/2/2017, accessed on 24/5/2018, at: https://goo.gl/0X9Ib1

23 المقصود دخول نسبة مهمة من الشباب في البرلمان بغرفتيه، بلغت نحو 30 في المئة من مقاعد البرلمان، إلى جانب حصة المرأة التي بلغت 25 في المئة من المقاعد، وهي نسبة غير مسبوقة وإن أخفقت النساء في الاستحواذ على كامل حصتهن بالوصول إلى الرقم المستهدف وهو 30 في المئة بحسب اتفاق مجلس التشاور الوطني الذي صاغ النموذج الانتخابي غير المباشر. انظر: Ibid.

24 "هل يكون فوز 'فرماجو' برئاسة الصومال بمثابة أمل جديد لحل أزمات البلاد؟"، التلفزيون العربي، 2017/2/20، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/ifgnK3

علاقة المجتمع بالسلطة، وأزمة داخل المجتمع، محورها غياب مفهوم المواطَنة، وأزمة داخل الحكومات، محورها غياب المشروعية، وأزمة مثقفين وثقافة فاقمت من الأوضاع المعقدة أصلًا.

والأمر مرهون، كذلك، باستقرار العلاقة بين الاتجاهات الأيديولوجية، وفهم أن المشهد السياسي سيقتسمه الجميع، سواء من الاتجاه المدني أو الاتجاه الإسلامي. ومن هنا، فلا بد من ترتيب الأوراق من جديد؛ إذ لا يمكن للشاب الصومالي المثقف الواعي أن يعتمد على تلك الأفكار المرهقة التي تتوشح رداء الدين ولا تؤتي ثمارًا يانعة، بينما أجندتها الحقيقية، مثل أجندات الآخرين، هي الصعود إلى الحكم، ولو على جماجم الشعب. إن التيار الإسلامي في الصومال في مرحلة ما بعد الربيع العربي ينبغي أن يكون أكثر وعيًا بمسائل الهوية والصراع المحتدم حولها، وأهمية الاتكاء على الشرعية الواقعية، بدلًا من إدارة الظهر للغرب والتصادم مع مفهوم الديمقراطية وأسس الدولة الحديثة، وهذا ما يذهب إليه الأستاذ محمد عمر أحمد، الخبير في الجماعات الإسلامية، الذي يقول: "المتوقع من التيار الإسلامي الجديد الاعتماد على أدوات التحليل السياسي، وتحاشي التسرع في الدخول في مواجهة مع الدول الغربية والجوار والمانحين، والابتعاد عن كل ما له صلة بالعنف، مع استخدام لغة تخفف من هواجس الغرب في مسائل الحقوق المدنية والسياسية، والتعددية السياسية، وحقوق المرأة والأقليات"[25].

ومن أجل تحسين فرص نجاح عملية الانتقال الديمقراطي، ينبغي للحكومة، وممثلي المجتمع المدني، والقوى السياسية الفاعلة، والمجتمع الدولي أن يعملوا معًا على تحقيق ثلاث مهمات بسيطة ولكنها مفيدة:

- تسريع وتيرة تسجيل الأحزاب السياسية ووضع القوانين واللوائح الناظمة للحياة السياسية وإصلاحها.
- احترام المواعيد والمهل الدستورية، وتجنب التأجيلات المتكررة للاستحقاق الانتخابي.
- ضمان عدم انزلاق الصومال مرة أخرى إلى جولة جديدة من الصراع العبثي[26].

وختامًا، يبدو الصومال، بعكس معظم الأنظمة العربية، مرشحًا لتحقيق التحول الديمقراطي، وذلك بتسجيله رقمًا قياسيًا في عدد مرات انتقال السلطة سلميًا عبر الانتخابات، وقد تجسد ذلك في اللقطة التاريخية التي جمعت بين ثلاثة رؤساء تعاقبوا على الحكم في البلاد بمنصة واحدة وهم متشابكو الأيدي، وهذا ما لم يحدث في أي بلد عربي آخر حتى الآن، وأعطى للصومالة معنى إيجابيًا لأول مرة؛ حتى إن أحد ناشطي وسائل التواصل الاجتماعي غرّد: "تصوملوا أيها العرب"[27].

## المراجع

### العربية

أبو بكر، عمر إيمان. **تجربة المحاكم الإسلامية في الصومال**. القاهرة: دار الفكر العربي، 2008.

عبد القادر، سمية. "إشكالية بناء جيش وطني موحَّد في مجتمع منقسم مناطقيًا". مجلة **عمران**. العدد 20 (2017).

علمي، أفياري. "المحاصصة السياسية في الصومال: المسار الخطر". **تقارير**. مركز الجزيرة للدراسات. 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 2016. في: https://goo.gl/jxtG5V

عيسى، عبد الرحمن. "الصومال: جدلية الهوية بين الانتماء العربي والأفريقي". **تقارير**. مركز الجزيرة للدراسات. 8 آذار/ مارس 2016. في: https://goo.gl/n429wa

_____. "قراءة في المشهد السياسي والانتخابي في الصومال: تطلعات وتوقعات". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2016. في: https://goo.gl/5sL2er

مجموعة مؤلفين. **التقرير الاستراتيجي الأفريقي الأول 2013-2014**. الخرطوم: مركز البحوث والدراسات الأفريقية، 2014.

"المصالحة الوطنية الصومالية: قراءة في المنطلقات والأسس وتحليل النتائج". مركز مقديشو للبحوث والدراسات. 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2016. في: https://goo.gl/95tiHe

### الأجنبية

"The Regional Risks to Somalia's Moment of Hope." International Crises Group. 22/2/2017, at: https://goo.gl/0X9Ib1

25 عمر أحمد.

26 أفياري علمي، "المحاصصة السياسية في الصومال: المسار الخطر"، **تقارير**، مركز الجزيرة للدراسات، 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/jxtG5V

27 صفي الدين خربوش، "تداول السلطة في الوطن العربي بين التشريعات والتطبيقات"، الجزيرة نت، 2004/10/3، شوهد في 2018/5/24، في: https://goo.gl/QZjFGT

# صدر حديثًا

المؤلف: زولتان باراني

## الجندي والدولة المتغيّرة: بناء جيوش ديمقراطية في أفريقيا وآسيا وأوروبا والأميركتين

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ضمن "سلسلة ترجمان" كتاب "الجندي والدولة المتغيّرة: بناء جيوش ديمقراطية في أفريقيا وآسيا وأوروبا والأميركتين " للكاتب زولتان باراني.

يبحث الكتاب في العلاقات المدنية - العسكرية في دول تشهد تحولات ديمقراطية، وفي طريقة بناء الجيوش داعمة الديمقراطية، منطلقًا من أن المؤسسة العسكرية هي أهم المؤسسات التي تعززها الدول. فمن دون النخب العسكرية التي تدعم الحوكمة الديمقراطية، لا يمكن تأسيس النظام الديمقراطي على أسس صلبة. يؤكد الكتاب أن بناء جيوش ديمقراطية هو المهمة الجوهرية للأنظمة الديمقراطية الجديدة، كما يقدم نظرة فاحصة حول بناء الدول النامية قواها العسكرية، في سياق تحول سياسي جذري يحصل غداة حرب أهلية، وبعد انهيار أنظمة عسكرية وشيوعية، وبعد عهود كولونيالية أو عنصرية، من خلال التدقيق في تجارب 27 دولة في بناء قواها العسكرية وتحولها إلى الديمقراطية.

# دراسات

# Articles

علاء محاجنة | Alaa Mahajna*

# القدس في القانون الإسرائيلي في ضوء إعلان ترامب: انعكاسات المواجهة وخياراتها

# The Status of Jerusalem in Israeli Law and the Trump Announcement:The Repercussions and the Prospects for Confrontation

تتناول هذه الدراسة الأدوات القانونية التي تستغلها إسرائيل للسيطرة على القدس وتغيير طابعها الديموغرافي والمكاني، وذلك عبر قراءة أهم هذه القوانين وتحليلها. تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور، يتناول الأول تفنيد القانون الإسرائيلي بوصفه أحد أدوات السيطرة على المدينة منذ احتلال جانبها الغربي عام 1948. أمّا المحور الثاني فيغطي انعكاسات إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وكيف استغلت إسرائيل الإعلان بتغيير قانون الأساس "القدس عاصمة إسرائيل" لسنة 1980 عن طريق تحصين بنوده ليصبح التنازل عن السيادة الإسرائيلية على أي جزء ضمن حدود المدينة وفق أي اتفاقية مستقبلية في حاجة إلى أغلبية ساحقة. أمّا المحور الثالث فيطرح السؤال عن الخيارات الفلسطينية المتاحة لمواجهة هذه السياسات ومحاولة خلق أفق بديل. فمواجهة مشروع تهويد القدس يقتضي صياغة مشروع مضاد وإستراتيجية واضحة، ذات أبعاد مختلفة على المستويين الرسمي والشعبي.

**كلمات مفتاحية:** القدس، فلسطين، إسرائيل، دونالد ترامب، الاستيطان.

This paper analyses of some of the most salient Israeli laws and legal instruments used to entrench control over Jerusalem and alter the city spatially and demographically. The first of three sections examines the Israeli legal instruments used, since the 1948 occupation of western districts of the city, to control Jerusalem. The second section explores the repercussions of US recognition of Jerusalem as the capital of Israel in 2017. The same section also examines the enshrinement of "Jerusalem, the Capital of Israel" law of 1980, amendments to which require an overwhelming majority of Knesset members. The third and final section explores the avenues potentially available to the Palestinians in confronting Israeli plans for the re-settling of Jerusalem, a task which requires the formulation of a clear, multi-faceted strategy implemented by both grassroots and official Palestinians.

**Keywords:** Jerusalem, Palestine, Isreal, Donald Trump, Suttlement.

* محامٍ وباحث قانوني فلسطيني.

* Palestinian Lawyer and Legal Researcher.

## مقدمة

تستغل إسرائيل، منذ عام 1948، التطورات السياسية لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية الإحلالية في مدينة القدس. وقد حققت مرادها جزئيًا عام 1948 وما تلاه من أحداث النكبة، عندما احتلت غربي القدس، وهجّرت سكانها الفلسطينيين من بيوتهم وأراضيهم، وفرضت بقوة السلاح سيطرتها عليها، وقننت لاحقًا هذه السيطرة بتشريع قوانين عنصرية مثل قانون أملاك الغائبين عام 1950. وعلى غرار غربي القدس، تسعى إسرائيل منذ عام 1967 لتنفيذ النموذج نفسه وتهويد شرقي المدينة، وهو مشروع ما زال قيد التشكل بفعل صمود أهالي القدس.

قامت إسرائيل بضم شرقي القدس وأخضعته لولايتها وسيادتها، مباشرة بعد أن احتلته عام 1967. ولم تكن عملية الضم هذه شكلية أو رمزية، بل كانت توطئة لتنفيذ مشاريع هدفها الأساسي تفريغ المدينة من سكانها الفلسطينيين، وتنفيذ المشاريع الاستيطانية لتغيير الميزان الديموغرافي وتغيير طابعها العربي الفلسطيني، لتكون العاصمة "الموحدة والأبدية" للشعب اليهودي.

وبناء عليه، وبعد أن سيطرت إسرائيل عسكريًا على شرقي القدس، قامت بداية بترسيم حدود جديدة للمدينة؛ وذلك بتوسيع حدودها البلدية لتشمل مناطق شاسعة كانت قد صادرتها من القرى الفلسطينية المجاورة. وقد مكنت هذه التوسعة من إحاطة شرقي المدينة بمستوطنات يهودية جديدة، فصلت القدس عن سائر محيطها الجغرافي من جهة، وربطتها من جهة أخرى بشقها الغربي. كما صادرت ما تبقى من أراضٍ داخل الحدود الجديدة للمدينة، وفرضت تضييقات على إمكانات التوسع والتطور العمراني للأحياء الفلسطينية في المدينة من خلال تعريفها مناطق خضراء أو حدائق عامة لا تصلح للتطوير والبناء. وعلى صعيد السكان، تم إعطاء المقدسيين مكانة "الإقامة الدائمة"، وهي مكانة تعطى في العادة للمهاجرين، وتتميز بأنها هشّة المضمون؛ بحيث تمنح "هذه الإقامة" السلطات الإسرائيلية صلاحيات واسعة منها أنه في إمكانها أن تسحبها ما لم تحقق شروطًا عديدة، وهذه الشروط آخذة في الازدياد بوساطة مشاريع قوانين ما زالت قيد التشريع. وفي عام 2003 أقامت إسرائيل جدار الفصل العنصري حول المدينة الذي استثنى خارجه أكثر من 150 ألف مقدسي؛ تمهيدًا لسلخهم الدائم عن مدينتهم بوساطة مخططات أيضًا ما زالت قيد البحث والتشكل.

في هذا الإطار، يأتي قرار البيت الأبيض الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل بمنزلة إقرار بالممارسات الإسرائيلية في المدينة منذ عام 1948 وحتى هذا اليوم، بل شرعنتها. ويعكس التغيير القانوني الذي أقره الكنيست بعيد هذا الاعتراف، والمتمثل بتغيير قانون الأساس: القدس عاصمة إسرائيل، والذي تم تشريعه عام 1980 عن طريق تحصين بنوده بحيث يصبح التنازل عن السيادة الإسرائيلية في أي جزء في حدود المدينة الموحدة في أي اتفاقية مستقبلية في حاجة إلى أغلبية ساحقة (مستحيلة التحقق) - تمامًا جوهر هذا الاعتراف وتبعاته السياسية والميدانية على الأرض.

من هنا، تسعى هذه الدراسة لتناول الأدوات "القانونية" التي تستغلها إسرائيل للسيطرة على القدس ولتغيير طابعها الديموغرافي والجغرافي - المكاني. وذلك من خلال قراءةٍ وتحليل لأهم هذه الأدوات والقوانين، لا سيما بعد قرار ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، الذي يعتبر بمنزلة إقرار بالواقع الذي فرضته إسرائيل على الأرض. ما يميز السياسات الاستعمارية الإسرائيلية تجاه المدينة منذ عام 1948 أن إسرائيل تستغل التطورات السياسية لخلق وقائع على الأرض تخدم مخططاتها الاستعمارية الإحلالية في المدينة، ومن ثم تشرعنها بأدوات قانونية وتكرِّس بوساطتها هذا الواقع.

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية: يتناول المحور الأول تفنيد القانون الإسرائيلي، بصفته إحدى أدوات السيطرة على المدينة، بعد فرض الأمر الواقع منذ احتلال الشق الغربي للمدينة عام 1948. ويغطي المحور الثاني الانعكاسات السياسية لإعلان ترامب، واستغلال إسرائيل هذا الإعلان. أمّا المحور الثالث، فيطرح سؤال الخيارات الفلسطينية المتاحة لمواجهة هذه السياسات، ومن ضمنها إعلان ترامب، ومحاولة خلق أفق بديل للعمل.

## أولًا: القانون الإسرائيلي آليةً للسيطرة

تمثل عملية الاستيلاء على الأرض وإفراغ الحيز من سكانه الأصليين محورًا أساسيًا، يقوم عليه المشروع الاستعماري الاستيطاني الإسرائيلي في فلسطين عمومًا، وفي القدس على وجه الخصوص. وقد استخدمت الحركة الصهيونية وإسرائيل فيما بعد وسائل مختلفة لتحقيق هذه الغاية، ونجحت في ذلك بقدر لا يستهان به. وفي هذا السياق، يمكن اعتبار المنظومة القانونية من أهم الوسائل التي اعتمدتها إسرائيل لإضفاء الشرعية على الواقع الذي فرضته بالقوة وتكريسه لخدمة أهدافها هذه. فالأداة القانونية عززتها بنية قضائية صهيونية الجوهر، حتى حين تستخدم خطابًا قانونيًا ليبراليًا. وهي في جوهرها موائمة لهذا التوجه، وتشكل منظومة عمل/ شراكات ومصالح مساندة تخدم هذا التوجه اليميني الذي يقوم على هدف أساسي معلن هو تعزيز

الاستيطان والسيطرة على المدينة، وإفراغها من سكانها الأصليين والشرعيين. وسنستعرض هنا تطور هذه البنية، وما لحقها من أطر مساندة لتنفيذ هذا المخطط، ضمن المحور الآتي.

## 1. تغييرات في بنية النظام القضائي

عند الحديث عن بنية النظام القضائي الحالي في إسرائيل، لا يمكن تجاهل التحول الذي حدث في هذا النظام وما زال في أوجه، ويتمثل في سيطرة اليمين الديني على النظام القانوني والقضائي الإسرائيلي، وذلك قبل الدخول في مراجعة القوانين. إذ نشهد هيمنة اليمين الإسرائيلي الجديد على معاقل كانت تُعدّ تاريخيًا معاقل لليسار الصهيوني الليبرالي. فعلى سبيل المثال، تقف اليوم على رأس وزارة القضاء الإسرائيلية الوزيرة إيليت شاكيد، وهي وزيرة تنتمي إلى حزب البيت اليهودي؛ وهو حزب يميني ديني استيطاني يدعو علنًا إلى ضم مناطق "ج" التي تمثّل أكثر من 62 في المئة من أراضي الضفة الغربية إلى إسرائيل مع إبقاء حكم ذاتي محدود (وليس دولة) في باقي المناطق المُعرَّفة وفق اتفاقيات أوسلو مناطق "أ" و"ب". ومن دون ادعاء وجود فروق بين اليمين واليسار الصهيونيين في عملية تعزيز الاستيطان، فإن سنَّ قانون مصادرة الأراضي الخاصة الذي يعرف بـ "قانون التسوية" مؤخرًا، والذي يشرعن سرقة الأراضي الفلسطينية الخاصة (تلك التي نجت من المصادرات الإسرائيلية وفق القوانين الأخرى)، هو نتاج مباشر لسيطرة اليمين الإسرائيلي على الجهاز القانوني في إسرائيل. كما تم تعيين أفيحاي مندلبليت مستشارًا قضائيًا للحكومة، وهو مثل الوزيرة شاكيد ينتمي أيديولوجيًا إلى اليمين الديني الاستيطاني، وقد واجه تعيينه انتقادات حتى داخل المعسكر الصهيوني ذاته. علاوة على ذلك، تم في السنوات الخمس الأخيرة تعيين قضاة مستوطنين في المحكمة العليا، إضافة إلى عشرات القضاة الآخرين الذين تم تعيينهم عن طريق شاكيد في محاكم الصلح والمركزية، خاصة في مدينة القدس. ونخص بالذكر تعيين حايا زندبيرغ قاضية في المحكمة المركزية في القدس بتاريخ 22 شباط/ فبراير 2018، وهي التي شغلت سابقًا منصب رئيسة لجنة "شرعنة البؤر الاستيطانية غير القانونية" لتنظر في التماسات الفلسطينيين المتعلقة بالأراضي في الضفة الغربية؛ وذلك بعد استكمال التعديل الذي بادرت إليه شاكيد، وينص على نقل صلاحية النظر في هذه القضايا من المحكمة العليا إلى المحكمة المركزية في القدس[1]. وفق هذا التعديل الذي تم إقراره في اللجنة الوزارية للتشريع خلال شهر شباط/ فبراير 2018، يتم النظر في التماسات الفلسطينيين المتعلقة بقضايا الأراضي في مناطق الضفة الغربية أمام المحكمة المركزية، عوضًا عن المحكمة العليا. وإن بدا التغيير إجرائيًا متعلقًا بالنظم القضائية الداخلية، فإنه يحمل أبعادًا سياسية أبعد من تلك التي يراد تحقيقها من خلاله. إن أهم هذه الأبعاد هو إخضاع القضايا المتعلقة بالمناطق المحتلة داخل الضفة الغربية للولاية الإسرائيلية المباشرة، من خلال إجبار الفلسطينيين على التقاضي أمام المحاكم المدنية الإسرائيلية، تمامًا كما يحدث داخل حدود الأراضي المحتلة عام 1948. فقد جرت العادة أن تنظر المحكمة العليا الإسرائيلية، بصفتها "محكمة عدل عليا"، في الالتماسات التي يقدمها فلسطينيو الضفة الغربية، وذلك من خلال صلاحيتها العامة التي تخولها النظر في أي قضية تتعلق بالنشاط الحكومي أينما كان ونقضه. فالنظر في مثل هذه القضايا جاء من باب صلاحية المحكمة نقض النشاط الحكومي، والحديث هنا في هذه الحالة عن الجيش - وزارة الدفاع، وليس لوجود صلاحية مباشرة للنظام القضائي الإسرائيلي على الأراضي في الضفة الغربية أو حتى على الفلسطينيين هناك. إن التغيير الذي تسعى له شاكيد، من خلال التعديل، سيعطي المحكمة المركزية في القدس صلاحية مباشرة للنظر في الالتماسات التي يقدمها فلسطينيون، والتي تتعلق بالأراضي في مناطق "ج"، وبهذا يمكن اعتباره إخضاع الضفة الغربية مباشرة للولاية الإسرائيلية بما يحمله من معاني ضم واضحة لهذه المناطق؛ الأمر الذي يتلاءم تمامًا مع برنامج الأحزاب اليمينية الحاكمة. طبعًا، فضلًا عن أن التعديل سيسهل أكثر على المستوطنين تعزيز قبضتهم في الضفة الغربية؛ وذلك عبر تمكينهم من تقديم القضايا أمام المحكمة المركزية، من خلال هيئة قضائية وُضعت بالأساس لتخدم سياسة التهويد وتوسيع الاستيطان. فالحديث، إذًا، ليس عن أجواء هيمنة يمينية دينية فقط، وإنما التوصيف الأفضل لهذا التحول هو تغلغل وانخراط مباشران لليمين الاستيطاني في مراكز اتخاذ قرارات ومراكز قوى لها تأثير مباشر في المشروع الإسرائيلي لتهويد القدس.

## 2. البنية القانونية المعتمدة في سياسات التهجير والتهويد

هذه التغييرات في الجهاز القضائي الإسرائيلي تخدمها منظومة قانونية سابقة، ضمنت وحققت عملية التهجير والتهويد لمدينة القدس منذ احتلالها. ولعل من أبرز الأمثلة على هذه القوانين ذاك المتمثل بقانون

1 للمزيد حول التعيينات الأخيرة والتعديل القانوني الساعي لنقل الصلاحية من المحكمة العليا للمحكمة المركزية، انظر: أنطوان شلحت، **المحكمة الإسرائيلية العليا بوجه جديد- أكثر يمينية ومحافظة!، تقارير خاصة**، مركز مدار، 2018/2/27، شوهد في 2018/5/1، في: https://bit.ly/2HUDKmo

أملاك الغائبين لسنة 1950[2]، الذي يعرّف من هجر أو نزح أو ترك حدود دولة إسرائيل حتى تشرين الثاني/ نوفمبر 1947 بأنه "غائب"؛ وبفعل ذلك تعتبر كل أملاكه (من عقارات، وأراض، وحسابات بنوك، وغيرها) بمنزلة "أملاك غائبين"، تنقل ملكيتها إلى دولة إسرائيل، وتديرها الدولة عن طريق "وصي أملاك الغائبين". يعتبر هذا القانون من الأدوات الأساسية التي مكنت إسرائيل من شرعنة سيطرتها الفعلية على أملاك اللاجئين الفلسطينيين، ومن ضمنها أيضًا أملاك الأوقاف الإسلامية، والتي مكنتها لاحقًا من تحويل الحيازة والملكية على هذه الأملاك لخدمة الوافدين الجدد من اليهود. بفعل هذا القانون، إلى جانب منظومة قوانين أخرى مشابهة، فرضت إسرائيل سيطرة وهوية يهوديتين على الشق الغربي من القدس، ونجحت في تنفيذ عملية تهويد مكتملة المعالم. على غرار ذلك، ومنذ احتلالها شرقي القدس عام 1967، تثابر إسرائيل في محاولتها تهويد القسم الشرقي للمدينة. فكانت أولى خطواتها، بعد إحراز سيطرتها العسكرية على شرقي القدس، إحالة الولاية والسيادة الإسرائيلية عليها عام 1967؛ ما مكّنها من استخدام أدوات قانونية بهدف شرعنة السيطرة الفعلية تمهيدًا لتهويد هذا القسم من المدينة أيضًا في محاولة لتحقيق مشروعها "العاصمة الأبدية والموحدة"[3]. في هذا الإطار أيضًا، جاء بتاريخ 28 حزيران/ يونيو 1967 قرار توسيع حدود شرقي المدينة، بحيث تمت إضافة زهاء 64 كم2 إلى حدودها التاريخية، والتي كانت مساحتها 6.4 كم2 فقط، وهي أولى هذه الخطوات القانونية التي اتخذتها إسرائيل[4]. ولم تأت هذه الخطوة من منطلقات تخطيطية مهنية، وإنما باعتبارها جزءًا من مخطط هدفه إقامة سلسلة من المستوطنات اليهودية، لإحاطة الأحياء والتجمعات الفلسطينية في شرقي القدس فتقطع تواصلها الجغرافي والسياسي مع سائر مناطق الضفة الغربية من جهة، وتخلق تواصلًا ونقاط تماس مع الشق الغربي للمدينة بهدف تحقيق مشروع "القدس الموحدة"، من جهة أخرى. ولم تقف إسرائيل عند ذلك الحد، بل صادرت أكثر من 35 في المئة من الأراضي داخل حدود شرقي القدس مستخدمة قوانين مصادرة عديدة، من أهمها قانون المصادرات لعام 1945؛ وهو من بقايا الانتداب البريطاني، وقد أبقت إسرائيل عليه لاستخدامه، واستعملت الأراضي المصادَرة بموجبه لخدمة مشاريعها الاستيطانية.

## 3. خصخصة الاستيطان داخل الأحياء الفلسطينية في القدس (منظومة الشراكات والمصالح)

ترعى الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مباشرة مشروع الاستيطان في الشق الشرقي للمدينة داخل الحارات والبلدات اليهودية التي أقيمت بعد عام 1967، تخطط وتنفذ إقامة مستوطنات جديدة وتوسّع أخرى قائمة. وظهرت في العقدين الماضيين أطراف أخرى فاعلة غير حكومية لا يقل دورها أهمية عن دور الحكومة ونشاطها في تنفيذ مشاريع الاستيطان في القدس، في تواطؤ واضح ومنسق مع الحكومة، ونخص بالذكر منها:

### أ- الجمعيات اليمينية الاستيطانية

ترعى هذه الجمعيات عملية تعزيز الوجود اليهودي داخل أحياء وبلدات وحارات فلسطينية في شرقي القدس مثل سلوان، والشيخ جراح، وراس العمود، وغيرها. وعلى رأس هذه الجمعيات نخص بالذكر جمعية "إلعاد" وهي الحروف الأولى لـ "إلى مدينة داوود" باللغة العبرية، وجمعية "عطيرت كوهنيم". والحديث هنا عن جمعيات مسجلة إسرائيليًا وفي جوهرها هي خاصة بمعنى إنها غير حكومية ويقف وراءها ممولون يهود أثرياء. تنتمي هذه الجمعيات أيديولوجيًا إلى تيارات صهيونية دينية متطرفة، هدفها المعلن هو تعزيز الوجود اليهودي في شرقي القدس داخل الحارات والأحياء الفلسطينية، لا سيما في منطقة "الحوض المقدس" وفق التسمية الإسرائيلية، وهي المنطقة الواقعة في محيط البلدة القديمة وتضم بلدة سلوان وحي الشيخ جراح وراس العمود وجبل الزيتون، التي لها قدسية خاصة وفق الرواية التوراتية. والمقصود هو تعزيز الوجود اليهودي على حساب الفلسطينيين، بحيث تتم السيطرة على بيوتهم وتوطين يهود متطرفين فيها. وتنفذ هذه الجمعيات مشروعها هذا، من خلال آليات عديدة تتضمن تارة عمليات تزوير بيع عقارات، وتارة أخرى عمليات شراء عقارات ملفقة ومشكوك في مدى صدقيتها، مستغلة الظروف المعيشية والاجتماعية الصعبة للفلسطينيين في ظل الاحتلال تحت وطأة التهديد بالتهجير .

### ب. المكاتب الحكومية والشراكات التي تعقدها مع الجمعيات اليمينية

في السنوات الأخيرة ومع تصاعد قوة اليمين الاستيطاني وهيمنته على الساحة السياسية الإسرائيلية وسيطرته على مراكز القوة واتخاذ القرار، بدأت تنشأ شراكات وعلاقات عمل وطيدة بين المكاتب الحكومية وهذه الجمعيات. وفي السنوات الأخيرة الفائتة، أصبحت هذه

---

2 "قانون أملاك الغائبين لسنة 1950"، الوقائع الإسرائيلية: كتاب القوانين، العدد 37 (د.م: القائم بمطبوعات الحكومة، 1950)، ص 98، شوهد في 2018/5/2، في: https://bit.ly/2J5cC45 (النص العبري)، وفي: https://bit.ly/2xxtmzF (النص الإنكليزي، وقد قام بالترجمة "مركز عدالة: المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل").

3 "قانون أساس: القدس عاصمة إسرائيل (1980)"، الوقائع الإسرائيلية: كتاب القوانين، العدد 980 (د. م: القائم بمطبوعات الحكومة، 1950)، شوهد في 2018/5/2، في: https://bit.ly/2Jo6APB (النص العبري)، وفي: https://bit.ly/2LeMWCV (النص العربي بترجمة وزارة الخارجية الإسرائيلية، وهي ترجمة غير دقيقة للأصل العبري).

4 قانون ترتيبات السلطة والقضاء لسنة 1948، تعديل لسنة 1967، البند 11 (ب) للقانون.

الشراكات علنية، وصلت إلى مستوى تقديم هذه الجمعيات تمويلًا سخيًا ومستمرًا لعمل بعض المكاتب الحكومية، في مقابل إعطائها السيطرة وإدارة بعض المشاريع التي ترغب في تنفيذها داخل الأحياء الفلسطينية. في هذا الصدد وبهدف تعزيز الاستيطان اليهودي داخل الأحياء الفلسطينية، نذكر تعاون هذه الجمعيات مع مكتب "القيم العام" و"حارس أملاك الغائبين" وأيضًا "سلطة الآثار" و"سلطة إدارة الطبيعة والحدائق"؛ وجميعها لها مكانتها ووظائفها الخاصة داخل المدينة. حتى إن بعض هذه الشراكات تم تأكيد "قانونيتها" بقرارات صادرة عن المحكمة الإسرائيلية العليا من خلال التماسات تقدمت بها جمعيات حقوقية إسرائيلية طعنت في قانونيتها. إضافة إلى ذلك، وعلى نحو لا يقل أهمية، تعمل هذه الجمعيات جنبًا إلى جنب مع بلدية القدس (خاصة في ظل إدارة نير بركات وهو رئيس بلدية القدس منذ عام 2008)، وهي تتمتع بنفوذ غير محدود داخل لجان البلدية المختلفة لا سيما لجنة التخطيط والبناء المحلية في القدس، وهي المسؤولة عن التصديق على المشاريع الاستيطانية من جهة، وإصدار أوامر الهدم بحجة البناء غير المرخص ضد البناء الفلسطيني من جهة أخرى. ونقصد بالحديث هنا وجود علاقة تنسيق بين هذه الجمعيات والمكاتب الحكومية والبلدية على أعلى المستويات، وإعطاءها التسهيلات المباشرة وغير المباشرة لتنفيذ مشروعاتها. وقد اشتمل بعض هذه التسهيلات على تنازل سلطة الآثار عن إدارة المعلم الأثري الواقع في البلدة القديمة الذي تطلق عليه إسرائيل اسم "بلدة داوود" لصالح جمعية "إلعاد"، من دون عطاء. وقد قدمت هذه القضية للتداول أمام المحكمة العليا الإسرائيلية؛ لعدم قانونية هذا التنازل. وصدر قرار صدق على هذا التنازل وأقره[5].

## 4. السيطرة على الحيز وتغيير طبيعته وهويته

يمكن تقسيم المشاريع الاستيطانية في شرقي القدس إلى قسمين: يتجلى القسم الأول في المشاريع الاستيطانية التي تنفذ في الحارات والبلدات اليهودية، والتي أقيمت منذ عام 1967، وتم التخطيط لها بهدف إحاطة شرقي المدينة والحد من التوسع نحو الشمال والجنوب لمنع التواصل الجغرافي مع باقي المناطق الفلسطينية شمالي القدس وجنوبها، وهي طبعًا مستوطنات أقيمت على أراضٍ فلسطينية مُصادرة، وعلى أنقاض قرى تم تهجير أهلها وتدميرها؛ نقصد مستوطنات مثل "جفعات زئيف"، و"بسجات زئيف"، و"النبي يعقوب"، و"رمات شلومو" و"هار حوتسبيم" شمالًا، و"غيلو" و"هار حوما"، وغيرها جنوبًا. أما القسم الثاني، فهو المستوطنات داخل أحياء وحارات وبلدات عربية في القدس، بدأت تتوسع على نحو ملحوظ ونشط، منذ تسعينيات القرن العشرين. والحديث هنا عن استيلاء وسيطرة لأفراد وجمعيات يهودية على أراض وعقارات فلسطينية، وتوطين اليهود داخلها بعد تهجير أصحابها منها بفعل قرارات المحاكم الإسرائيلية، مثلما حدث مؤخرًا مع عائلة شماسنة في الشيخ جراح والمئات غيرهم[6]، والتي شرحنا آلية عملها في البند السابق.

يمكن تناول بلدة سلوان مثالًا، بهدف التوضيح؛ فمنذ سنوات، وضعت الجمعيات الاستيطانية اليمينية الفاعلة في القدس وفي مقدمتها "عطيرت كوهنيم" و"إلعاد" اسم سلوان في أعلى سلم أولوياتها، بغية تهويدها لتسهيل صياغة الرواية اليهودية وبنائها لإثبات أحقيتها في القدس. عملت هذه الجمعيات على نحو منظم ومنهجي على السيطرة والاستيلاء على عقارات داخل سلوان، لا سيما في حي وادي حلوة حيث تسيطر جمعية "إلعاد" اليوم على على نحو 50 دونمًا من مجمل مساحة حي وادي حلوة، البالغة نحوَ 200 دونم، أي ما يقارب 25 في المئة من مساحة الحي، وهي تسيطر فعليا على 50 بناءً داخل الحي، يستعمل أغلبها بيوتًا لمستوطنين يبلغ عددهم اليوم نحو 400 مستوطن. وقد استولت الجمعيةُ على كل هذا بطرق عديدة مثل الشراء غير القانوني، وتزوير المستندات، أو عن طريق شراء حصص من حارس أملاك الغائبين، والقيم العام الذي سيطر عليها بفعل قانون أملاك الغائبين[7].

إضافة إلى ذلك، لم تكتف هذه الجمعيات بهذه الطرق، بل قامت "عطيرت كوهنيم" مؤخرًا باتباع وسيلة جديدة متمثلة بالمطالبة بملكيتها على الوقف والأملاك التي كانت وفق الادعاء تعود لليهود قبل عام 1948، مثل "الحي اليمني" الذي سكنه اليهود قبل عام 1948، وهو يقع في بلدة سلوان وفق هذه الرواية[8]. في هذه الأيام يتم تداول قضايا مهمة متعلقة بادعاء جمعية "عطيرت كوهنيم" ملكيتها لحي كامل داخل سلوان، وهو حي بطن الهوى الذي يسكنه أكثر من 700 مقدسي ويمتد على مساحة 5 دونمات تقريبًا. وتزعم الجمعية أن بحوزتها ملكية وقفية على الأرض تعود لعام 1896 أيام الحكم العثماني، حيث تم إنشاؤها في المحكمة الشرعية في القدس.

5 بيان صحفي صادر عن جمعية "عير عميم"، "قرار المحكمة العليا بخصوص التماس 'عير عميم' ضد دولة إسرائيل بخصوص التعاقد بين وزارة وسلطة الآثار وجمعية 'إلعاد'"،(باللغة العبرية)، شوهد في 2012/3/26، في: https://goo.gl/kTUZ6F

6 محمد محسن، "عائلة شماسنة المقدسية في العراء بعد إخلاء منزلها لصالح المستوطنين"، **العربي الجديد**، 2017/9/6، شوهد في 2018/5/1 في: https://goo.gl/ze25Do

7 جمعية "سلام الآن"، سلوان-مستوطنات، في: https://bit.ly/2stH9Ct

8 Peacenow & Ir Amim, *Broken Trust: State Involvement in Private Settlement in Batan al-Hawa, Silwan*, PeaceNow, 5/10/2016, accessed on 1/5/2018, at: https://goo.gl/L7UZCf

وفي عام 2001، وفي محاولتها السيطرة على الأرض، طلبت من المحكمة تعيين ممثلين من "عطيرت كوهنيم" ليكونوا قيمين على هذا الوقف. وقد استجابت المحكمة لهذا الطلب؛ ما مكنهم فعليًا بعد ذلك من مطالبة القيم العام بتحرير الأرض في حي بطن الهوى لإدارة الوقف، على اعتبار أن أراضي الحي هي جزء من الوقفية، وهو ما تم عام 2015. إن قرار المحكمة الصادر عام 2001، وتحرير الأرض بعدها عام 2015 لصالح الوقف الذي أصبح تحت إدارة "عطيرت كوهنيم" المباشرة، مهّدا الطريق أمامها لتقديم العشرات من دعاوى الإخلاء ضد سكان الحي بدعوى أنهم "غزاه للأرض" ولا يملكون حقوق ملكية فيها لأنها تعود لليهود وفق شهادة التحرير التي حصلوا عليها[9]. وفعلًا تم قبول بعض هذه القضايا، وتم إخلاء بعض العائلات من بيوتها، وبدأت الجمعية توطن اليهود داخل العقارات التي تم إخلاؤها بفعل قرارات من المحاكم المختلفة. سيؤدي تنفيذ مشروع إخلاء حي بطن الهوى بالضرورة إلى طردٍ وتهجيرٍ لما يزيد على 700 مقدسي من بيوتهم، وقد تم كل هذا بغطاء قانوني من وزارة القضاء الإسرائيلية ممثلة بالقيم العام للأملاك، وبفعل قرارات المحاكم الإسرائيلية المختلفة التي تتجاهل عن قصد حقيقة هذه الدعاوى وجوهرها وتتعامل معها بطريقة منحازة. وبالتوازي، تعمل الجمعية على المبادرة إلى تقديم مخططات بناء على هذه الأراضي أمام لجنة التخطيط والبناء المحلية في القدس، لتعزيز الوجود اليهودي هناك.

وفي سلوان، هناك أيضًا حي البستان الذي يمتد على مساحة تصل نحو 45 دونمًا، ويسكنه مئات الفلسطينيين. ومنذ عام 2005، يواجه سكان الحي، خاصة أكثر من 88 بيتًا، شبح الهدم؛ وذلك بسبب تصنيف الأرض في حي البستان عن طريق بلدية القدس على أنها أراض مُعدَّة لأن تكون "حديقة وطنية عامة"، وهو الأمر الذي يمنع إعطاء تراخيص بناء لهذه البيوت؛ ما أدى إلى هدمها بالضرورة في نهاية الأمر. وفي عام 2010، أصبح شبح الهدم أكثر تطبيقًا؛ بحيث قامت بلدية القدس عن طريق لجنة التخطيط والبناء المحلية بالتصديق على مخطط رقم 1800 وهو المعروف باسم "بستان/ حديقة الملك"، ومؤخرًا تم التصديق عليه عن طريق وزارة الداخلية، بعد تقديم الاعتراضات عليه ورفضها. ويهدف هذا المخطط على نحو معلن إلى تحويل حي البستان، بعد إخلائه وهدم البيوت الموجودة فيه، حديقة عامة.[10]

إن مشاريع الحفريات الاستيطانية في سلوان لا تقل خطورة عن مشاريع توطين اليهود في الحارات الفلسطينية في البيوت التي تم الاستيلاء عليها. وفق المعلومات المتوافرة اليوم، تدير "إلعاد" أعمال حفريات استيطانية في أربعة مواقع مختلفة داخل سلوان، من ضمنها موقف "جفعاتي" الذي يقع في رأس حي وادي حلوة في أقرب نقطة إلى أسوار البلدة القديمة من الجنوب؛ فقد نفذت هناك سلطة الحفريات بتمويل من "إلعاد" حفريات كانت مقدمة لإقامة مركز كبير مؤلف من سبعة طوابق معدّ ليكون أكبر مركز سياحي في القدس، ويشتمل على متحف للتوراة، وعلى مركز تسوق بمساحة تزيد على 15 ألف متر2، وتم التصديق النهائي على هذا المخطط عام 2016، وأطلق عليه اسم مركز "كيديم"[11].

أما خارج هذه الأحياء، فيحيط بالقدس الشرقية أكثر من 12 مستوطنة يسكنها أكثر من 200 ألف مستوطن، قطعت تواصلها الجغرافي فيما بينها، وفصلتها فعليًا عن الضفة الغربية، وربطتها بالشق الغربي للمدينة من خلال نقاط تماس وبنية تحتية متفرعة تشمل شوارع التفافية وشوارع سريعة وسككًا حديدية. وهي مشاريع آخذة في التوسع يوميًا، كما يظهر من نشر العطاءات والتصديق على مستوطنات جديدة وتوسيع المستوطنات القائمة.

منذ بداية ولاية ترامب، تصاعدت وتيرة الاستيطان في القدس؛ إذ تم التصديق منذ 2017 على بناء 3 آلاف وحدة استيطانية بالقرب من مستوطنة غيلو (جنوب القدس)، وبناء 1600 وحدة استيطانية بالقرب من بيت صفافا، وبناء 176 وحدة استيطانية في جبل المكبر.

وفي مجال التخطيط، قامت إسرائيل بعد عام 1967 بوقف جميع المخططات الهيكلية الخاصة بالأحياء الفلسطينية ولم تقم بتطوير بديل منها، بل على العكس، فقد استعملت التخطيط أداةً طيعة لتحقيق غاياتها الاستيطانية الرامية إلى خنق الأحياء العربية ومنع تطورها؛ فقامت بتصنيف ما لا يقل عن 24 في المئة من أراضي شرقي

9 هذا جزء من عملي، باعتباري محامي الحي، وأعمل على تمثيل العائلات المهجّرة والمهددة بالتهجير في القضايا أمام المحاكم الإسرائيلية.

10 جمعية بتسيلم، **حي البستان – 'حديقة الملك'**، موقع بتسيلم، 2014/9/16، شوهد في 2018/5/1، في: https://goo.gl/aG5nn4

11 ضمن أهداف المشروع المعلنة جاء أن المخطط يسعى لإعادة بناء الحديقة التي كانت موجودة هناك، جزءًا من واجب الشعب اليهودي في الحفاظ على تاريخه في القدس، حيث سيتم بناؤها وفق الرواية التوراتية المتخيلة التي تقول إن في هذا المكان كان "بستان الملك سليمان" وقد اعتاد التجول فيه إبان فترة حكمه أيام المملكة الثانية. إضافة إلى موقف "جفعاتي"، تقوم "إلعاد" بالحفريات في منطقة عين أم الدرج وفي موقع آخر بالقرب من حي البستان. ومن بين مشاريع الحفريات الاستيطانية الأخيرة وذات التأثير البليغ في سكان حي وادي حلوة هو حفر نفق كبير تكون بدايته في أسفل الحي يبدأ من بركة السلوح ويمر صعودًا من تحت البيوت الفلسطينية مرورًا بموقع "حنيون جفعاتي" وصولًا إلى النفق الذي تم حفره من تحت أسوار البلدة القديمة عام 2011، وهو معد ليرتبط بالأنفاق التي تم افتتاحها سابقًا عام 1996، وتمر حول المسجد الأقصى ومن تحته. تم افتتاح مقطع من هذا النفق قبل عدة أشهر في احتفال كبير حضره رئيس بلدية القدس وعدد من الوزراء، وقد أطلق على هذا المشروع اسم "طريق الحج"، وهو يجسد الطريق التي كان يمر بها الحجاج اليهود وفق الرواية التوراتية مرورًا من بركة السيلوح وصولًا إلى الهيكل الثاني. وما يميز هذه الحفريات ضمن هذا المشروع هو أن الحفر يتم تحت البيوت بأمتار قليلة فقط ويتم أفقيًا وصولًا إلى أسوار القدس؛ ما تسبب في تصدعات في العديد من البيوت، على نحو أجبر بعض السكان على مغادرتها والسكن في مكان آخر خوفًا من حدوث انهيارات، إضافة إلى الإزعاج المستمر نتيجة الحفر المتواصل وعدم الراحة الناتج من ذلك.

القدس، أراضي خضراء وحدائق عامة لمنع البناء عليها. علاوة على ذلك، تم تعريف نحو 13 في المئة فقط من مساحة القدس الشرقية مناطق صالحة للبناء والتطوير[12]. البناء في هذه المناطق المحدودة ليس بالأمر السهل مطلقًا، علمًا أن إسرائيل فرضت قيودًا أخرى مستحيلة أغلب الأحيان على إمكانية استصدار تراخيص بناء حتى في هذه الأجزاء؛ ما يعني "عدم قانونية" هذه الأبنية، ومن ثمّ تعريضها لخطر الهدم.

### 5. تغيير الميزان الديموغرافي داخل المدينة

بالتوازي مع السعي للسيطرة على الحيز وتعزيز الاستيطان في شرقي القدس، تعكف إسرائيل على إيجاد حل لمعضلة أخرى حارقة هي الديموغرافيا. فمنذ عام 1967، تتعامل إسرائيل مع الفلسطينيين في شرقي القدس على أنهم معضلة جدية تقف في طريق تحقيق مشروعها في المدينة. وقد انعكست هذه النظرة على تعامل إسرائيل مع سكان البلد الأصليين؛ فأعطتهم مكانة "الإقامة الدائمة" وفق قانون "تنظيم دخول الغرباء" لسنة 1952، وهو الأمر الذي عكس تمامًا حقيقة تعامل إسرائيل مع المقدسيين ونظرتها إليهم. وفي الوقت الذي تضمن هذه المكانة بعض الحقوق المدنية مثل الحق في التنقل والدخول في سوق العمل وبعض الامتيازات الأخرى كالتأمين الصحي والضمان الاجتماعي، فإنها ما زالت منقوصة جدًا عند مقارنتها بالمواطنة التي تمنحها إسرائيل لكل "يهودي"، أو من له صلة باليهودية، وإن لم تربطه بهذه الأرض أي صلة فعلية تذكر من قبل. علاوة على ذلك، فمكانة الإقامة الدائمة هشة تمامًا، ويسهل مصادرتها من المقدسيين بتحقق عدة معايير ينص عليها القانون؛ وهو ما يعني التهجير الفوري من المدينة. ومن أخطر هذه المعايير هو "مركز الحياة" الذي يوجب على المقدسي في أي وقت تراه إسرائيل أن يقوم بإثبات أن مركز حياته هو القدس أو أي مدينة أو بلدة أخرى داخل إسرائيل. باستخدام هذا الشرط، نجحت إسرائيل طبعًا في مصادرة الإقامة من آلاف المقدسيين، لسكنهم في مناطق قريبة في الضفة الغربية أو بسبب وجودهم خارج فلسطين لأغراض مختلفة مثل التعليم والعلاج، وغيرهما، إضافة إلى أن حصول المقدسي على إقامة دائمة أو مواطنة في أي بلد آخر يمثّل ذريعة مباشرة لمصادرة إقامته، علمًا أنه يسمح لليهود بامتلاك جنسيتين أو أكثر من دون أن يؤثر ذلك في مكانتهم. ووفق بعض التقارير قامت إسرائيل بسحب مكانة الإقامة الدائمة لما لا يقل عن 16 ألف مقدسي منذ عام 1967؛ الأمر الذي يعني بالضرورة تهجيرًا مباشرًا لضعف هذا العدد أو أكثر من المدينة[13]. ويقوم الكنيست حاليًا بإيعاز من المحكمة العليا الإسرائيلية بتعديل القانون ليشتمل على صلاحية أخرى جديدة تعطى لوزير الداخلية، وتمكنه من مصادرة الإقامة الدائمة من المقدسيين، إذا قرر وجود "إخلال بالولاء" للدولة ونظامها ومعايير أخرى تعنى بالنشاط السياسي. كما بنت إسرائيل عام 2003 جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس، ووضعته بطريقة استثنت تجمعات وأحياء فلسطينية كاملة يسكنها وفق التقديرات ما يقارب 150 ألف مقدسي، وهي أحياء ضمن حدود القدس التي عرفتها إسرائيل عام 1967، ليتم قطع تواصلهم المباشر مع مدينتهم، وأصبح دخولهم وخروجهم منها عن طريق حواجز عسكرية تُعدّ مشكلة في حد ذاتها. على الرغم من أن إسرائيل أبقت على الإقامة الدائمة لسكان هذه الأحياء ولم تصادرها إلى الآن، وبناء على قراءةٍ ومتابعةٍ لأقوال الحكومة ومخططاتها فإن سحب الإقامات وتهجير سكان هذه الأحياء عن مدينتهم هما مسألة وقت فقط، ولا أستبعد أن تقوم إسرائيل كعادتها باستغلال ظرف سياسي أو أمني لتنفيذ مخططها هذا؛ ما سيؤدي إلى تهجير أكثر من ثلث سكان المدينة الفلسطينيين[14].

## ثانيًا: انعكاسات إعلان ترامب على الواقع في المدينة

إثر إعلان ترامب[15]، سارعت إسرائيل إلى تعديل "قانون أساس: القدس عاصمة إسرائيل" الذي أعلنته عام 1980، والذي حدد أن القدس بقسميها الغربي والشرقي هي العاصمة (الموحدة) لدولة إسرائيل، وذلك كونها مقر السلطات الثلاث: التشريعية (الكنيست)، والتنفيذية (الحكومة)، والمحكمة العليا، إضافة إلى رئيس الدولة.

---

12 تقرير صادر عن جمعية "عير عميم"، "شرقي القدس- معلومات أساسية"، شوهد في شباط/ فبراير 2016 (باللغة العبرية)، في: https://bit.ly/2J23AsH

13 "Between 1967 and 2017, Israel has revoked the residency status of 14,630 East-Jerusalem Palestinians," Hamoked: Center for the defence of the individual, 10/4/2018, accessed on 2/5/2018, at: https://goo.gl/gFa9cq

14 نذكر بهذا الشأن أقوال نتنياهو في أعقاب الهبة الأخيرة بوجود حاجة أمنية إلى سحب الإقامات من سكان هذه التجمعات، وقراءة في المخططات الحكومية الآنية العديدة "للتعامل" مع هذه التجمعات مثل إقامة بلدية منفصلة لهذه الأحياء وجعلها تابعة إداريًا للإدارة المدنية وإخضاعها لمسؤولية الجيش. انظر تقرير: جمعية حقوق المواطن في إسرائيل، **ضمن سلسلة الضغوطات على المقدسيين، تهديد غير قانوني بسحب الإقامة**، 2015/10/26، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/ko3wBD؛ انظر أيضًا: محمد وتد، "دراسة فرض الحكم العسكري على بلدتين في القدس المحتلة"، موقع عرب 48، 2018/1/17، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/pTZdgi

15 لا مجال في هذه الورقة لمعالجة السياق الذي جاء فيه إعلان ترامب والسياسة الأميركية تجاه القدس. للاطلاع على هذا الجانب انظر:

نزار أيوب، "مدينة القدس: بين الاستعمار الإسرائيلي والقبول الأميركي"، **تقييم حالة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017/12/19، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/owc7kf؛ محمد الشرقاوي، "ترامب والقدس: قراءة من الدّاخل"، **تحليل سياسات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018/2/28، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/UvbccR

ويتعارض هذا القانون مع نصوص القانون الدولي، ومع قرارات مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة المختلفة والمتعلقة بمكانة القدس بعد احتلالها وضمها عام 1967. وفي حينه، اعترضت غالبية الدول، ومن ضمنها الولايات المتحدة الأميركية على القانون ولم تعترف بما جاء فيه. في حقيقة الأمر، إن قانون سنة 1980 لم يغير شيئًا من الأمر الواقع الذي فرضته إسرائيل منذ عام 1967، حينما ضمت شرقي القدس على نحو فعلي وقانوني، وجاء تشريعه إعلانًا أرادت إسرائيل من خلاله تكريس ما بدأته عام 1948. وفي تعديل القانون بتاريخ 7 كانون الثاني/ يناير 2018[16]، أي بعد إعلان ترامب بفترة وجيزة، جاء في البند (6) أنه "لا يسمح بالتنازل أو تحويل أي صلاحيات مؤقتة كانت أم دائمة لأي جهة أو سلطة 'أجنبية' وذلك ضمن حدود المدينة المعدلة من عام 1967". وجاء في البند (7) للتعديل أنه لا يمكن تغيير البند (6) المذكور بخصوص التنازل وتحويل الصلاحيات لسلطة "أجنبية" في حدود المدينة إلا بأغلبية 80 عضو كنيست (من أصل 120 عضوًا). وبناء عليه، فقد أصبح التنازل عن أي جزء من القدس ضمن أي اتفاقية مستقبلية مع الفلسطينيين منوطًا بالحصول على أغلبية 80 عضو كنيست؛ وهو أمر شبه مستحيل، لا سيما في ظل الخريطة السياسية الإسرائيلية الحالية وهيمنة اليمين عليها على نحو قاطع منذ أكثر من عقدين[17]. بهذا المعنى يمثّل قرار ترامب تعزيزًا ودعمًا لموقف الأحزاب اليمينية والمتطرفة التي تعترض أساسًا على مبدأ "تقسيم القدس"، وهي تذهب إلى أبعد من ذلك؛ بحيث ترفض إقامة دولة فلسطينية وفق مبدأ حل الدولتين وتدعو علانية إلى ضم مناطق "ج"، التي تمثّل أكثر من 62 في المئة من أراضي الضفة الغربية، إلى السيادة الإسرائيلية. في هذا الصدد، نذكر أن مجلس أعضاء حزب الليكود، وهو الحزب الحاكم في إسرائيل منذ سنوات عديدة برئاسة نتنياهو، أقر قبل أشهر معدودة في مؤتمره الأخير ضم المستوطنات في الضفة الغربية إلى السيادة الإسرائيلية من جانب واحد. وهكذا، وفي ظل أي مفاوضات مستقبلية، وما دام لم يحدث تغيير جذري في تركيبة الحكومة الإسرائيلية، وهو أمر غير مرجح، إذ لم تعد القدس قضية قابلة للتفاوض الأمر الذي يتطابق مع تصريح ترامب لصحيفة **يسرائيل هايوم** اليمينية، أن قضية القدس لم تعد موجودة على طاولة المفاوضات[18]. بطبيعة الحال وإن كان هذا يعكس واقع الحال على الأرض منذ عام 1967، فإن هذا الأمر يعتبر تغييرًا جذريًا عما كان عليه الوضع قبل الإعلان، ومنذ توقيع اتفاقية أوسلو حينما تم تعريف القدس بأنها إحدى قضايا الحل النهائي للاتفاق بين الطرفين. وبخلاف الإعلان الفلسطيني الرسمي أن قرار ترامب "لن يغير شيئًا"[19] كما شدد الرئيس الفلسطيني مرارًا في تعقيبه على إعلان ترامب، فيصعب تخيل وضعية معقولة في ظل التركيبة السياسية للمجتمع الإسرائيلي تمكن من الحصول على أغلبية 80 عضو كنيست للتنازل عن شرقي القدس، هذا إذا نجح الطرفان في التوصل إلى اتفاق. وعلينا ألّا ننسى أيضًا ظهور تداعيات لإعلان ترامب على المستوى الدولي، تتمثل بإمكانية انضمام دول أخرى إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل بفعل الضغوطات الإسرائيلية التي ستمارسها على المجتمع الدولي، وهي أفضل من يستغل التطورات السياسية لتحقيق مصالحها. كما سيكون له تداعيات داخلية على موقف الأحزاب "غير اليمينية" داخل إسرائيل، التي انحرفت أكثر نحو اليمين في السنوات الأخيرة، وهي في تقديري لن تتجرأ على التنازل أو حتى التفكير في ذلك؛ بسبب الإنجاز الذي حققته السياسة الإسرائيلية والمتمثل بإعلان ترامب[20].

وبسبب موقع القدس ورمزيتها لدى الجانب الفلسطيني، التي كانت السبب الأساسي لفشل قمة كامب ديفيد عام 2000 وما تلاها من مفاوضات بين الجانبين، يمكن القول إن القدس ستكون سببًا لإفشال أي محاولة للوصول إلى اتفاق بأي صيغة كانت، وما دام موقف الجانب الفلسطيني هو عدم التنازل عن القدس عاصمةً للدولة الفلسطينية كما ظهر ذلك من الموقف تجاه "صفقة القرن" واقتراح

16 "بند (6) منع نقل الصلاحيات، تاريخ التعديل 2018/01/7: يمنع نقل الصلاحيات المتعلقة بحدود بلدية القدس ومن ضمنها الأراضي التي ضمت لحدود البلدية بتاريخ 1967/06/28 لأي جهة أجنبية، سياسية أو حكومية". "بند (7)، تحصين القانون: لا يمكن تعديل تعليمات البند السادس أعلاه إلا عن طريق قانون أساس بأغلبية 80 عضو كنيست". انظر: "قانون أساس: القدس عاصمة إسرائيل (1980)"، **الوقائع الإسرائيلية: كتاب القوانين**، العدد 980 (د. م: القائم بمطبوعات الحكومة، 1950).

17 نظريًا ووفق خاتمة بند (7) ما زال بوسع الكنيست الإسرائيلي تغيير بند (6) الذي يشترط أغلبية ساحقة (80 عضوًا) للتنازل أو تحويل الصلاحيات داخل حدود القدس وفق تعريفها عام 1967، عن طريق قانون أساس يتم تشريعه بأغلبية أعضاء الكنيست (61 عضوًا). لكن مرة أخرى في ظل الوضع السياسي الراهن داخل إسرائيل وفي ضوء "الإنجاز" الذي تحقق بوساطة الإعلان، والذي حظي طبعًا بقبول إسرائيلي جارف للأحزاب كافة، تبقى هذه الإمكانية نظرية فقط، ويصعب تخيل حدوثها إذا لم يطرأ تغيير جذري على الحلبة السياسية الإسرائيلية. إن المراد قوله في هذا السياق إن إسرائيل امتنعت على مدى سنوات من المفاوضات للتوصل لاتفاق بخصوص القدس في وقت سابق من دون الاعتراف الأميركي وقبل التعديل المذكور، لذلك لا يوجد أي سبب معقول يدعو للتفكير بأنه وبعدما حصلت على مرادها بإعلان ترامب وقامت بتغيير القانون وتحصينه أنها ستتنازل عن ذلك الآن، وتقوم بتغيير القانون ثانية، وهو الأمر الذي لم يحدث سابقًا. كما أنه يجب أن نتذكر أن الخاتمة تمت إضافتها بهدف تجنب المساس بالمبدأ الديمقراطي والمتمثل بعدم تكبيل الهيئات القادمة للكنيست بمثل هذه الأغلبية، خاصة أن التعديل لم يتم التصويت عليه بأغلبية 80 عضو كنيست؛ الأمر الذي كان من الممكن أن يعرضه للبطلان إذا تمت مهاجمته قضائيًا أمام المحكمة العليا.

18 "Trump to Israel Hayom: The Palestinians are not looking to make peace," *Israelhayom*, 11/2/2018, accesed on 2/5/2018, at: https://goo.gl/4tjwdn

19 "عباس: قرار ترمب لا قيمة له"، الجزيرة نت، 2017/12/6، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/Ty4JgG

20 انظر: رائف زريق وآخرون، **تقرير مدار الإستراتيجي 2018** (رام الله: 2018). وانظر على التخصيص الجانب المتعلق بـ "انزياحات حزبية" و"تغيير القيادة لن يغير سياسة الاحتلال"، موقع مدار، 2018/3/28، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/ytzctW

أبو ديس عاصمة بديلة، إلا إذا كان هدفها الوصول إلى اتفاقيات مرحلية "مؤقتة"؛ وهو غير مرجح نظرًا إلى الموقف الفلسطيني الواضح والرافض بهذا الشأن.

> يمثّل قرار ترامب تعزيزًا ودعمًا لموقف الأحزاب اليمينية والمتطرفة التي تعترض أساسًا على مبدأ "تقسيم القدس"، بحيث ترفض إقامة دولة فلسطينية وفق مبدأ حل الدولتين وتدعو علانية إلى ضم مناطق "ج"، التي تمثّل أكثر من 62 في المئة من أراضي الضفة الغربية، إلى السيادة الإسرائيلية

صحيح أن إعلان ترامب يأتي بمنزلة إقرار واعتراف بالواقع الذي خلقته إسرائيل في القدس منذ عام 1967، وحتى قبل ذلك، وفي خضم محاولة لإضفاء الشرعية على هذا الواقع، إلا أنه حتمًا يمثّل تجسيدًا لأحلك ظروف تمر بها المدينة منذ عامي 1948 و1967. ويعود هذا لعدة أسباب:

- خلقت إسرائيل في القدس واقعًا يصعب تفكيكه أو إرجاعه إلى الوراء. وقد تناولناه في القسم الأول من الورقة ويتعلق بالواقع الديموغرافي والمكاني للمدينة، وتغلغل الاستيطان داخلها ضمن مشروع تهويد مبرمج.
- تنفذ إسرائيل مخططها هذا في ظل غياب وجود فلسطيني رسمي داخل القدس؛ ما ينعكس مباشرة على احتمالات مواجهة هذه المخططات، وترك المقدسيين يواجهون مصيرهم تحت وطأة الاحتلال. أضف إلى ذلك غياب إستراتيجية فلسطينية موحدة لمواجهة المخطط الصهيوني لمدينة القدس أو في أي مكان آخر.
- التغييرات السياسية على المستوى الإقليمي - العربي المتعلقة بسعي بعض الدول العربية ولهفتها الشديدة وراء التطبيع والتقرب من إسرائيل، بحجة مواجهة إيران في المنطقة، واصطفافها إلى جانب إسرائيل في المحور المعادي لإيران[21].

إن القضية الفلسطينية، وموضوع القدس كما يظهر من معالم "صفقة القرن" وإعلان ترامب بخصوص القدس، نتيجة مباشرة لهذه التحولات الإقليمية على الصعيد الداخلي. كما أن هناك من يدعي أن إعلان ترامب بخصوص القدس جاء هديةً لنتنياهو لتعزيز شعبيته إسرائيليًا ودعمه، خاصة وهو يواجه قضايا فساد عديدة؛ كونه من يقود السياسة المعادية لإيران، وهو الذي تبنى موقفًا معاديًا ومعارضًا لاتفاق الدول الغربية مع إيران، ويثابر في سعيه لتغييره حتى لو كان الثمن مواجهة إيران عسكريًا.

يقودنا هذا إلى السؤال عن الخيارات الفلسطينية في ظل هذا الوضع ومحاولة الخروج من الأزمة، وهو ما سنعرضه في المحور الآتي.

## ثالثًا: خيارات المواجهة

تستدعي مواجهة المشروع الصهيوني في القدس بناء إستراتيجية عمل تتكون من ثلاثة مستويات أساسية متكاملة: المستوى المحلي (داخل القدس)، والمستوى الوطني - الرسمي، والمستوى الدولي.

تعاني المدينة حصارًا (إحكام سيطرة) إسرائيليًا، يحد من الوجود الفلسطيني داخلها لمن هم ليسوا من سكان المدينة أو "مواطنين" في إسرائيل. يترافق ذلك مع عملية تضييق اقتصادي، بفعل سياسات التمييز وممارسات الاحتلال، إضافة إلى عزل القدس عن محيطها الفلسطيني الطبيعي من خلال إقامة الجدار ونظام التصاريح؛ الأمر الذي له انعكاسات اقتصادية. كما تسعى إسرائيل لحظر العمل السياسي الفلسطيني، من خلال تقليص بل منع الوجود الرسمي الفلسطيني داخل المدينة، بملاحقة الناشطين السياسيين الحزبيين وغير الحزبيين، وإغلاق المؤسسات الفلسطينية مثل غرفة التجارة وبيت الشرق وحظر نشاطها، ومحاولات التضييق المستمرة على المؤسسات الفلسطينية القليلة الفاعلة. ذلك أن دور جمعيات المجتمع المدني داخل القدس يقتصر اليوم على الجمعيات الدولية والجمعيات الحقوقية الإسرائيلية بالأساس[22]. كما أن الأحزاب الفلسطينية داخل الخط الأخضر ليست فاعلة كما هو متوقع منها في المدينة، مع استثناءات مثل نشاط الحركة الإسلامية الشمالية التي ينصبّ تركيزها على المقدسات الإسلامية، وبالأخص المسجد الأقصى؛ ما يحصر بالضرورة الصراع داخل المدينة على المقدسات الدينية وعزلها عن الوقائع السياسية الأخرى. أمّا ما يتعلق بالجانب الفلسطيني، وبالنظر إلى ميزانية القدس من مجمل ميزانية السلطة الوطنية التي لا تتجاوز الـ 0.9 في المئة[23]،

21 انظر: بدر الراشد، "'عداوة إيران' بوابة للتطبيع مع الصهاينة في الخليج"، **العربي الجديد**، 2016/9/23، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/rBJ6Z4

22 انظر: بثينة حمدان، "مؤسسات القدس الفلسطينية: حصار تمويلي وعجز السلطة والمنظمة"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 109 (شتاء 2017)، ص 162-170، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/karryd

23 وزارة المالية والتخطيط، "قانون الموازنة العامة السنة المالية 2017"، شوهد بتاريخ 2018/04/26، في: https://bit.ly/2Hc3XLr

ودعوة العرب والمسلمين لزيارة الأقصى والصلاة فيه ردًا على إعلان ترامب[24]، فيدل على عدم وجود إستراتيجية مواجهة شاملة. وفي المقابل، نرى أن إسرائيل تستثمر بلا توقف، عن طريق الجهات الحكومية وبوساطة الجمعيات اليمينية أيضًا، لتعزيز المشروع الصهيوني وتهويد المدينة، كما أوضحناه سابقًا.

> الأحزاب الفلسطينية داخل الخط الأخضر ليست فاعلة كما هو متوقع منها في المدينة، مع استثناءات مثل نشاط الحركة الإسلامية الشمالية التي ينصبّ تركيزها على المقدسات الإسلامية؛ ما يحصر بالضرورة الصراع داخل المدينة على المقدسات الدينية وعزلها عن الوقائع السياسية الأخرى

وفي محاولة لتجاوز الأزمة وإيجاد بدائل للعمل، فإن المطلوب هو العمل محليًا على مستويات تتكامل:

- على مستوى الأحزاب الفلسطينية على جانبي الخط الأخضر: يجب تفعيل وجودها داخل المدينة لتضطلع بدور في مواجهة الممارسات الإسرائيلية ضمن الحراكات الشعبية التي من الممكن أن تنشأ، سواء في إطار ردة فعل مباشرة على الممارسات الإسرائيلية، أو تحرك ممنهج ومدروس لمواجهة أي تطورات، والدفع في اتجاه صمود المواطنين في المدينة. إذ إن هذا الغياب قد تجلى واضحًا بهبة البوابات الإلكترونية صيف عام 2017. وعلى الأحزاب أن تضطلع بدورها المتعلق بالإعداد الفردي والجمعي والوعي تجاه القضايا السياسية الملحة. فالواقع القائم وغياب العمل السياسي والأحزاب السياسية أنتجا حالة من اليأس العام.
- على مستوى المجتمع المدني: والمقصود هو المؤسسات والجمعيات الفلسطينية، سواء الحقوقية أو الإغاثية التي تتحمل جزءًا من المسؤولية في تعزيز صمود المواطنين؛ وذلك من خلال رفع الوعي تجاه ما يحدث دخل المدينة من انتهاكات تجاه السكان وتغيير الطابع المكاني، والعمل على إيجاد مشاريع اقتصادية من الممكن أن تعزز صمود الفلسطينيين المقيمين في المدينة. والسعي لخلق إطار حقوقي من الممكن أن يعمل على القضايا الأساسية مثل الاستيطان، وسحب الإقامات، وقرارات الهدم والإزالة، ويوفر خبراء قانونيين ومحامين للترافع في وجه هذه القضايا؛ وذلك كون المواطن الفرد يتحمل تكلفة مادية باهظة في مثل هذه القضايا، وأحيانًا يلجأ إلى جهات قد لا تكون العنوان الصحيح في مثل هذه المسائل.
- على الجانب الرسمي/ السياسي: يجب تفعيل الخيارات المتاحة، وعدم حصر النضال الفلسطيني في عملية التسوية. وإذا مورست ضغوطات على القيادة للقبول بصفقة القرن أو أي تسوية أخرى من الممكن أن تكون على حساب الحقوق السياسية والتاريخية للشعب الفلسطيني، فعلى القيادة أن تكون جاهزة لرفض هذه المقترحات وتأكيد التمسك بهذه الحقوق، وعدم الرضوخ للتهديدات مثل قطع الميزانيات والتمويل وغيرها؛ ما يستوجب التحضير لخيارات أخرى باعتماد إستراتيجية صمود لمواجهة التصعيد والنتائج المترتبة على المواقف الرافضة للإملاءات. من هنا، ينبغي للسلطة تفعيل الأدوات التي تملكها على المستوى الدولي، مثل خيار المحكمة الجنائية الدولية بخصوص الاستيطان في القدس وتغيير طابعها الديموغرافي الممنهج. إضافة إلى ذلك، يمكن السعي لإصدار فتوى قانونية عن محكمة العدل الدولية (رأي استشاري) على غرار الرأي الاستشاري بشأن عدم قانونية جدار الفصل العنصري (2003)، بخصوص أسئلة وقضايا يمكن أن يتم استثمارها سياسيًا مثل دور الدول ومسؤولياتها (والأفراد/ الشركات) بخصوص ضلوعها وتورطها في علاقات اقتصادية مع المستوطنات، ودعوة الدول الأعضاء في مجلس الأمن إلى تفعيل قراراته المتعلقة بالقدس؛ مثل القرار رقم (478) لعام 1980، المتعلق بإلغاء التغييرات التي أجرتها إسرائيل بصفتها قوة احتلال والمتعلقة بتغيير المكانة القانونية والطبيعة الديموغرافية للمدينة[25]، وقرارات أخرى دانت مباشرة الاستيطان وآخرها قرار مجلس الأمن رقم (2334) لعام 2017. وهنا من الممكن أن يتكامل الموقف الفلسطيني الرسمي مع الدور العربي والإسلامي في تقديم هذه الملفات إلى الجهات المختصة؛ مثل محكمة العدل الدولية، ومجلس الأمن، وحتى محكمة الجنايات

24 "عباس يدعو العرب والمسلمين والمسيحيين لزيارة القدس"، جريدة **الغد**، 2018/1/17، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/LTmKZ6؛ وقد تكرر ذلك في خطابه في القمة العربية المنعقدة في الرياض تحت شعار "قمة القدس"، انظر: رامي حيدر، "عباس يدعو الزعماء العرب لزيارة القدس ويعتبرها 'ليست تطبيعًا'"، موقع عرب 48، 2018/4/15، شوهد في 2018/5/2، في: https://goo.gl/Pq9opp

25 United Nations, Security Council, *Resolution 478 (1980) of 20 August 1980*, S/RES/478 (1980) 20 August 1980, accessed on 2/5/2018, at: https://goo.gl/dZDf77

الدولية. كما أنه يمكن العمل على المستوى العربي الشعبي في مواجهة التطبيع، وتفعيل خيارات المقاطعة التي اتخذتها الدول العربية بقرارات من جامعة الدول العربية، والانضمام إلى حركة المقاطعة العالمية لإسرائيل.

> على السلطة أن تتبنى خيار حركة المقاطعة الاقتصادية بصفتها إستراتيجية مواجهة مع الاحتلال. وألّا يقتصر هذا القرار على المستويين الفردي والشعبي، وإنما يجب أن تتبناه السلطة بصفته خيارًا إستراتيجيًا وطنيًا على المستوى الرسمي ودعمه عربيًا ودوليًا

- تفعيل خيار المقاومة الشعبية الذي تبنته السلطة، من خلال الرجوع إلى تفعيل أنماط المواجهة الشعبية، مثل مقاومة بناء الجدار وبناء قرى الصمود مثل باب الشمس في "منطقة E1"[26]. وكذلك على السلطة أن تتبنى خيار حركة المقاطعة الاقتصادية بصفتها إستراتيجية مواجهة مع الاحتلال. وألّا يقتصر هذا القرار على المستويين الفردي والشعبي، وإنما يجب أن تتبناه السلطة بصفته خيارًا إستراتيجيًا وطنيًا على المستوى الرسمي ودعمه عربيًا ودوليًا، علاوة على تنفيذ قرارات المجلس المركزي لمنظمة التحرير المتعلقة بالبدء في تحديد العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنية مع إسرائيل التي أكدها المجلس أكثر من مرة.

## خاتمة

حين أعلن ترامب اعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة إليها، حاول الموقف الرسمي الفلسطيني التقليل من تبعات هذا الإعلان وانعكاساته؛ كون ترامب لا يملك أن يقدّم مثل هذا الاعتراف، ومن ثم فإنه لن يغير شيئًا. هذه المواقف لا تخدم بناء إستراتيجية مواجهة حقيقية، فهي استمرار في نهج التهرب والإمعان نفسه أكثر في حالة الخمود وانعدام الأفق والعمل. فالرد على هذا الموقف جاء سريعًا، حين أعلن البيت الأبيض بتاريخ 23 شباط/ فبراير 2018 أن نقل السفارة سيتم بتاريخ 14 أيار/ مايو 2018 تزامنًا مع الذكرى السبعين لإقامة إسرائيل، وهو ما جرى بالفعل حيث افتتحت الولايات المتحدة سفارتها في القدس، في هذا اليوم نفسه، وفي احتفال كبير. وقد استعملت مبنى القنصلية الأميركية الحالي وحولته إلى سفارة إلى حين إقامة مبنى جديد ودائم. إن هذا كله وتكرار الموقف القائل بأن القدس لم تعد مطروحة على طاولة المفاوضات يستوجب أن نضع جانبًا محاولات التهرب من مواجهة ما نحن مقبلون عليه، والتحرك نحو بناء إستراتيجية مواجهة متكاملة. فعلى الرغم من صعوبة الظروف التي تمر بها القضية الفلسطينية عامة وقضية القدس خاصة في ظل تمادي الاستيطان والتهويد داخل المدينة، وتسابق الدول العربية نحو التطبيع مع إسرائيل، فضلًا عن انسداد أفق التسوية بخروج الوسيط الأميركي من المعادلة، ورفض الجانب الإسرائيلي المتمثل بالحكومة اليمينية المتطرفة بقيادة نتنياهو أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين، يظل أفق التحرك الفلسطيني متاحًا في عدة مستويات (محلية، ووطنية، ودولية). لكن هذا التحرك في حاجة إلى إستراتيجية عمل واضحة ومتكاملة. فسلوك السلطة الفلسطينية وقبولها الضغوطات والإملاءات من الأطراف الإقليمية والدولية أو رفضها، وتفعيل خياراتها، هو ما سيحدد مصير هذه القضية وأدوات مواجهتها. كما أن للجانب الشعبي خياراته، بعيدًا عن حسابات السلطة والاستقطاب الحاصل في الساحة الفلسطينية المحلية. فلطالما فاجأ الشعب الفلسطيني قيادته الرسمية والاحتلال باجتراح وسائل وأساليب في المواجهة تمكنه من الصمود واستمرار المواجهة، في ظل محاولات فرض الأمر الواقع، ومعركة البوابات الإلكترونية في صيف عام 2017 خير دليل على ذلك.

## المراجع

### العربية

أيوب، نزار. "مدينة القدس: بين الاستعمار الإسرائيلي والقبول الأميركي". **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2017/12/19). في: https://goo.gl/owc7kf

جمعية بتسيلم. **حي البستان: حديقة الملك**. تقرير صادر في 2014/9/16. في: https://goo.gl/aG5nn4

26 هي منطقة بين مدينة القدس ومستوطنة "معاليه أدوميم" في الضفة الغربية. بهدف قطع التواصل الجغرافي ما بين شمالي الضفة الغربية وجنوبيها وخلق ربط بين المستوطنات القريبة مثل "معاليه أدوميم"، وهي من أكبر المستوطنات في الضفة والقدس، يسكنها حوالى 40 ألف مستوطن، قررت الحكومة الإسرائيلية بناء المستوطنات وعدة مشاريع أخرى في هذه المنطقة، وتبلغ مساحتها نحو 12 كم2، وعند اكتمالها سوف ترتبط بضواحي القدس، ولاحقًا سوف يتم دمجها مع منطقة القدس الكبرى. للتوسع أكثر، انظر: جمعية بتسيلم، **مخطط E1 وإسقاطاته على حقوق الإنسان في الضفة الغربية**، تقرير صادر بتاريخ 2012/12/2 ومعدل في 2013/10/23، شوهد في 2108/5/2، في: https://goo.gl/6Xsaev؛ وانظر أيضًا:
Peace Now, *The E1 Plan – Information and Planning Status*, 21/11/2011, accessed on 2/5/2018, at: https://goo.gl/aByrWb

_____. **مخطط E1 وإسقاطاته على حقوق الإنسان في الضفة الغربية.** تقرير صادر في 2012/12/2، ومعدل في 2013/10/23. في: https://goo.gl/6Xsaev

جمعية حقوق المواطن في إسرائيل. **ضمن سلسلة الضغوطات على المقدسيين، تهديد غير قانوني بسحب الإقامة،** 2015/10/26. في: https://goo.gl/ko3wBD

حمدان، بثينة. "مؤسسات القدس الفلسطينية: حصار تمويلي وعجز السلطة والمنظمة". مجلة **الدراسات الفلسطينية**، العدد 109 (شتاء 2017)، في: https://goo.gl/karryd

الشرقاوي، محمد. "ترمب والقدس: قراءة من الدّاخل". **تحليل سياسات**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2018/2/28). في: https://goo.gl/UvbccR

شلحت، أنطوان. **المحكمة الإسرائيلية العليا بوجه جديد- أكثر يمينية ومحافظة!. تقارير خاصة**. مركز المدار. 2018/2/27. في: https://bit.ly/2HUDKmo

"قانون أملاك الغائبين لسنة 1950". الوقائع الإسرائيلية: كتاب القوانين. العدد 37 (د. م: القائم بمطبوعات الحكومة، 1950)، في: https://bit.ly/2J5cC45 (النص العبري)، وفي: https://bit.ly/2xxtmzF (النص الإنكليزي، وقد قام بالترجمة "مركز عدالة: المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل").

"قانون أساس: القدس عاصمة إسرائيل (1980)". **الوقائع الإسرائيلية: كتاب القوانين**. العدد 980 (د. م: القائم بمطبوعات الحكومة، 1950)، في: https://bit.ly/2Jo6APB (النص العبري)، وفي: https://bit.ly/2LeMWCV (النص العربي بترجمة وزارة الخارجية الإسرائيلية، وهي ترجمة غير دقيقة للأصل العبري).

مـدار. **تقرير مـدار الإستراتيجي 2018** (رام الله: 2018). في: https://goo.gl/ytzctW

## الأجنبية

"Between 1967 and 2017, Israel has revoked the residency status of 14,630 East-Jerusalem Palestinians." Center for the defence of the individual (Hamoked) 10/4/2018. at: https://goo.gl/gFa9cq

PeaceNow. *The E1 Plan – Information and Planning Status* (21/11/2011). at: https://goo.gl/aByrWb

PeaceNow & Ir Amim. *Broken Trust: State Involvement in Private Settlement in Batan al-Hawa, Silwan*. PeaceNow (5/10/2016). at: https://goo.gl/L7UZCf

United Nations, Security Council. *Resolution 478 (1980) of 20 August 1980*. S/RES/478 (1980) 20 August 1980. at: https://goo.gl/dZDf77

أيمن البوغانمي | Ayman Bouganmi*

# الانتقال الديمقراطي التشاركي في تونس: حلول نخبوية في سياق ثوري

# Participatory Democratic Transition in Tunisia: Elitist Answers in a Revolutionary Context

تعالج هذه الدراسة مدى تطابق النموذج التشاركي مع علاقات النخب التونسية خلال فترة الانتقال الديمقراطي بعد الثورة التونسية التي اندلعت سنة 2011. وتهدف إلى بحث المقاربات النظرية وتفسيرها وتحليلها، التي مكّنت السياسيين في تونس إثر الثورة من تخفيف حدة الانقسام، فضلًا عن قراءة تأثير الشبكات الاجتماعية في استقرار الدولة التونسية. كما تسلط الدراسة الضوء على تطور دور الأحزاب التونسية، على الرغم من أن سقوط النظام التونسي السابق كشف عن انقسام مجتمعي عميق سيطر على أغلب النقاشات بعد الثورة، إضافة إلى التعمق في قراءة دور النخب وتأثيرها في الممارسة الديمقراطية التشاركية التي لم تكن ممكنة لولا وعي هذه النخب بحماية مصالحها والقيام بواجباتها. وتخلص الدراسة إلى أنّ عدم الاستقرار السياسي يكشف قصورًا في الديمقراطية التشاركية في تونس، كما أنّ اللجوء إلى التكيف لا يرجع دائمًا بالنفع على البلاد.

**كلمات مفتاحية:** الثورة التونسية، الانتقال الديمقراطي، النموذج التشاركي، النخبة التونسية.

This study addresses the extent to which the "participatory" framework is compatible with the networks of Tunisian elites since the Revolution of 2011. The author seeks to understand, analyze and interpret the theoretical approaches which allowed Tunisian politicians to reduce the level of political divisions within the country. The author further illustrates how Tunisia's formal political parties adapted and developed in the post-revolutionary setting, despite the revolution unraveling the vast extent of a societal rift in Tunisia which has dominated the country's political debates since that time. Finally, the study explores in depth the role and influence of Tunisian political elites as it relates to the praxis of participatory democracy, something which could not have been possible without the consciousness and awareness of these elites and their duty to fulfill their roles.

**Keywords:** Tunisian Revolution, Democratic Transition, Participatory Democracy, Tunisian Elites.

* أستاذ الحضارة واللغة الإنكليزية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القيروان، تونس.

* Professor of Civilization and English, Faculty of Literatures and Human Sciences, University of Kairouan, Tunisia.

## مقدمة

اندلعت الثورة في تونس سنة 2011 وعقبتها موجة ثورية في عديد البلدان العربية، وقد جاءت الثورة بالأمل واليأس في الآن نفسه، كما أنها جلبت معها الحاجة إلى وضع دستور جديد، وأدّت كذلك إلى انهيار الدولة. وما زالت البلاد تقاوم للوفاء بوعود الثورة وسط فقدان المجتمع توازنه، ويضمن الدستور الجديد، قانونيًا، قيمًا مثل الحرية والعدالة والشفافية.

يُجمع الملاحظون الأجانب على أن تكرار انتخابات حرة ونزيهة، كالتي شهدتها البلاد سنتَي 2011 و2014، تُنبئ بظهور مستقبل مشرق للديمقراطية الناشئة في تونس، ولكن الواقع يدلّ على استبدال التفاؤل الثوري[1] بتشاؤم زاحف وعميق، ويسُود في الأوساط الشعبية تشاؤم يعود إلى تأزم الوضع، سبقه أمل في تحسن الأوضاع. فعند تقييم مدى نجاح الثورة ينبغي عدم التقيد بالإنجازات السياسية والدستورية والقانونية، بل يجب التطرق إلى إنجازات الثورة على أرض الواقع، فقليلًا ما يقبل الناس القيم الثورية على أنّها محدودة تاريخيًا، إذ تتقيّد عملية الدمقرطة زمنيًا. وفي واقع الأمر، لا يستطيع الناس تحمّل التطور التاريخي البطيء الذي أوجد معظم الديمقراطيات الحالية.

وبناءً على ما تقدم، تُعتبر الثورات فترات عصيبة لكونها تسعى أساسًا للحصول على مطالب متناقضة. في الجزء الأول من هذه الدراسة، سيقع عرض المشكلة باختصار على التحليل النظري والتدقيق في المنافسة الحيوية بين القوى المتصارعة التي تدّعي الشرعية حول المسار السياسي والدستوري. وتؤدي طبيعة القوى الفاعلة وحرصها على الصفة السلمية قبل الثورة دورًا حاسمًا في تحديد مدى التهديد المسلط على العقد الاجتماعي. وفي الجزء الثاني من الدراسة، سيُسلّط الضوء على بعض الدروس المستخلصة من التجربة التونسية التي تصاعدت المنافسة السياسية فيها، إثر رفع القيود عن المجتمع، ما يكشف عن وجود نزعتين عدائيتين عميقتَي الجذور، ولكن مرونة النخب الأشد تأثيرًا خفّفت من خطورة نتائج الصراعات المحتملة، ويعتبر آرند ليجبهارت التجربة التونسية نموذجًا للتوافق الذي يطرح تحديًا تحليليًا لتقييم مدى تطابق النموذج التشاركي مع علاقات النخب التونسية[2].

1 Anver Versi, "The Sweet Scent of Flowers," *African Business*, no. 372 (February 2011), p. 54.

2 يعرّف التوافق في هذا الكتاب على أساس الاستنتاجات المستخلصة من التجارب الديمقراطية في النمسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا، انظر:
Arend Lijphart, *Democracy in Plural Societies: A Comparative Exploration* (New Haven: Yale University Press, 1977).

## أولًا: ضياع رأس المال الاجتماعي في سياق ثوري: مقاربة نظرية

### 1. جذور الدمقرطة قبل الثورة

عندما تتسبّب الثورة بالانتقال الديمقراطي، يكتسب المجتمع المدني والنخب المُمثّلة له قوة كبيرة للوقوف أمام انحرافات استبدادية ممكنة؛ فبحسب أغلب نظريات الدمقرطة، تؤدي الشبكات الاجتماعية ومستوى كثافتها وطبيعة الهيئات الوسيطة التي تنتجها تلك الشبكات دورًا حاسمًا في تحديد عُسر الانتقال وطبيعة تبعاته[3]، وبعبارة أخرى، فإنّ عوامل النجاح الديمقراطي تسبقها بداية تهاوي الدكتاتورية، وهو عامل يقلّل، إلى حد بعيد، من وزن الثورة بصفتها خطوة نحو الديمقراطية[4]. وبالفعل، فإنّ النظام الحكومي المتقدم جدًا لا يأتي من فراغ؛ فهو في حاجة إلى رأس مال اجتماعي يدعم ممارساته ويحمي قيمه.

يُعرّف رأس المال بأنه وسائل الإنتاج، كما يُعرّف بأنه التوسع الاقتصادي عن طريق تراكم رأس المال. وبناءً على ذلك، تُعتبر فكرة رأس المال الاجتماعي دعامة من دعائم الديمقراطية، وهذا يعني أن الدمقرطة هي عملية تراكمية[5]، وبما أن الدولة والمجتمع انعكاس للحضارة الإنسانية، فإنّهما يسعيان دائمًا لبناء نخب وشبكات ومؤسسات تتفاعل فيما بينها على نحو متزايد التعقيد. وتحتاج الديمقراطية إلى تفاعلات متطورة بين العناصر المذكورة آنفًا بصفتها شكلًا من أشكال الحكم[6]. وتسعى الدكتاتورية لمنع التفاعل الإيجابي بين المجتمع والدولة. ولكن وجود شبكات اجتماعية كثيفة ومؤسسات وسيطة ناشطة يقلّل من حدة عرقلة التواصل ويسهّل إرساء الديمقراطية نسبيًا[7]، وفي غياب الشبكات الاجتماعية والمؤسسات، تسود الاضطرابات وتنتشر حالة عدم الاستقرار بعد سقوط النظام الاستبدادي[8].

3 يعتبر فرانسيس فوكوياما المسألة الثقافية من أعمق مستويات الدمقرطة، انظر:
Francis Fukuyama, "The Primacy of Culture," *Journal of Democracy*, vol. 6, no. 1 (1995), p. 9.

4 للاطلاع على تجربة مقارنة، انظر:
Shiva Falsafi, "Civil Society and Democracy in Japan, Iran, Iraq and Beyond," *Vanderbilt Journal of Transnational Law*, vol. 43, no. 2 (2010), pp. 357-412.

5 للرجوع إلى عمل يُعدّ من أهم الأعمال التي روجت مفهوم رأس المال الاجتماعي، انظر:
James S. Coleman, "Social Capital in the Creation of Human Capital," *American Journal of Sociology*, vol. 94 (1988), pp. 95-120.

6 Friedrich A. Hayek, *Law, Legislation and Liberty*, vol. 3, *The Political Order of a Free People* (Chicago: The University of Chicago Press, 1979), pp. 107-108

7 Omar G. Encarnación, "Beyond Civil Society: Promoting Democracy after September 11," *Orbis*, vol. 47, no. 4 (2003), pp. 705-720.

8 للاطلاع على أهمية المجتمع المدني في الفترات التاريخية العصيبة، انظر:
Larry Diamond, *Developing Democracy: Toward Consolidation* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1999), pp. 233-238.

تؤدي الدكتاتورية دورًا محوريًا في فرض الوئام الاجتماعي، وبذلك تصبح تدريجيًّا شرًّا لا بدّ منه، وقد يحدث فراغ في السلطة حين تسقط الدكتاتورية، وقد يترتب على سقوطها آثار خطيرة جدًا. وفي كثير من الحالات، ترعى الحكومة القوية وتحمي رأس المال الاجتماعي. ومن وجهة نظر توماس هوبز، مؤلف **اللوياثان** (كائن أسطوري)، الذي عايش الحرب الأهلية الإنكليزية التي ترى أن السلطة المطلقة للدولة هي بمنزلة الضمان الحقيقي لمنع انتشار الهمجية[9]، سيؤدي غياب الدكتاتورية، على الأرجح، إلى انقلاب أي علاقة بشرية إلى عنف وقتال[10]. وعلى الرغم من تشاؤم المقاربة، فإنّ حالات الاضطراب تمنحها صدقية كبيرة[11]. وتكتشف المجتمعات أهمية الأمن والاستقرار اللذيْن كانت تنعم بهما في ظل حكم الدكتاتورية. فوفقًا للتأويل الذي يُعلي من شأن الدكتاتورية فإنّ السلطة في المقام الأول، هي بمنزلة درع واقٍ ضد تبديد رأس المال الاجتماعي. فيمكن أن تصل الأخطار إلى الأفراد أو المجموعة، ويعود ذلك أساسًا إلى تكوين الجمعيات والانتماء إليها. وقد يبدو هذا باعثًا على الدهشة؛ بالنظر إلى أنّ المجموعات الإرهابية والعصابات الإجرامية تعدّان مظهرًا من مظاهر الجمعيات التعاونية التي تبدي استعدادًا اجتماعيًا لإظهار إحساسٍ بالانتماء ومقاومة القمع، ولكن الخروج عن القانون والعمل ضدّه هما بمنزلة دافعين نحو الهمجية.

خلال الفترة الانتقالية نحو الديمقراطية، تضعف الدولة ويضعف معها إنفاذ القانون، ما يشجّع على كثير من الانحرافات. وتنتهي الدراسة العلمية لفترات ما بعد الثورة إلى أنّ ضعف الدولة أمر لا مفر منه. وفي الحصيلة، فإنّ مسار الدمقرطة محفوف بكل أشكال الهمجية؛ من العنف الفردي، إلى الجريمة المنظمة، إلى الطموح الجامح والشعبوية السياسية[12]، ويمكن المجتمع أن يُوجِد شبكات معادية للديمقراطية حين يفشل في فرض القانون. ولا تتورّع الشبكات في رفع شعارات ثورية وديمقراطية لتشويه الانتشار السريع للحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية لفائدة شرائح عريضة من السكان، وتقوم الشبكات بذلك لخدمة مصالحها. وتتمثّل المشكلة بأن الثورات تندلع خارج أطر القانون والشرعية، ويعتمد إضفاء الشرعية، بأثر رجعي، على التأييد الجماهيري وهو ما يعني تغييرًا جذريًا ليس في طبيعة الشرعية فقط، بل حتى في توجّهاتها. فتنقلب الشرعية من الاتجاه الأعلى إلى الأسفل ومن الاتجاه الأسفل إلى الأعلى، ويطرح انتشار التسييس الذي يفرضه التغيير تساؤلات جوهرية تتعلق باستقلالية الشعب وطبيعة نشاطاته الجماعية.

تُعتبر مشاركة الشعب في الفعل السياسي خطوة حاسمة في اتجاه الديمقراطية، ولكن الحقيقة التاريخية تدفع نحو التساؤل حول المُسلّمات، فعلى سبيل المثال، يَعتبر مفكرو التيار النخبوي، بإجماع، الديمقراطية نظامًا نخبويًّا[13]، كما يعتبرون أن طبيعة النظام لا تخضع لتسييس الجماهير، بل لسلوكيات النخب[14].

إن القضية الأولى التي تحتاج إلى تقييم، تتمثل بوجود نخب متماسكة ذات أيديولوجيات وسلوكيات ديمقراطية في سياق ثوري. وبحسب منظّري النخبة، فإنّ الشعب دائمًا بمنزلة شتات لا يمكن تجميعه. كما أنهم يعتقدون أن الشعب لا يمكن أن يكون له شعور بالمصلحة العامة؛ ومن ثمّ لا يمكن أن يَحكم[15]، وإنْ سعى الشعب لتولي مسؤولية ممارسة الحكم، فإنه كثيرًا ما لا يعرف حدوده. وإنّ عداء الشعب وانقياده لنخب متنافسة ومختلفة في الآن نفسه يبرزان استعداد المواطنين لإزاحة عبء المسؤوليات المشتركة عن كواهلهم، وذلك على الرغم من تأجج الحماس الثوري في صفوف الشعب.

## 2. تنافس مطلق بعد الثورة

لا يتعارض الصراع السياسي والثوري الشائع مع الحاجة إلى زعامة تقليدية[16]، وهذا يعكس احتدامًا عاديًا في الصراع السياسي لمّا تؤثر السياسة مباشرة في حياة الناس اليومية ومصالحهم. وعلاوة على ذلك، فإنّ الانتشار الواسع للمشاركة في الحياة السياسية يمهّد الطريق لتلاعب النخب الرجعية القديمة أو القوى الصاعدة حديثًا، ويزداد الأمر تعقيدًا حين يقترن الوضع بوسائل الاتصال الحديثة؛ إذ إن الصراع بين القديم والحديث مهم جدًا عندما يتعلق الأمر

9 يعتقد هوبز أن الوزراء يملكون سلطة تعليم الناس وتمكين بقية الناس من معرفة واجبهم نحو السلطة ومعرفة العدل والظلم، وبذلك يَسمون بأرواحهم ويتعايشون في سلام ويقاومون العدو، انظر:
Thomas Hobbes, *Leviathan*, C. B. MacPherson (ed.), (London: Penguin, 1968), p. 291.

10 يعتقد هوبز أن الملك هو مصدر القانون المدني، انظر:
Ibid., chapter 26.

11 Domingo F. Sarmiento, *Facundo, or Civilisation and Barbarism* (London: Penguin, 1998).

12 Paul Taggart, *Populism* (Philadelphia: Open University Press, 2000), pp. 10-22.

13 Norman Barry, *An Introduction to Modern Political Theory* (London: Macmillan, 2000), pp. 284-287.

14 للاطلاع على دور النخبة المحتمل في عملية الدمقرطة، انظر:
Zheng Yongnian, *Will China Become Democratic? Elite, Class and Regime Transition* (Singapore: Eastern Universities Press, 2004), pp. 13, 311.

15 يقول كارل بوبر: إنه على الرغم من ممارسة الناس ضغوطًا على الحكام بالتهديد بعزلهم، فإنهم لا يحكمون بطريقة فعلية، انظر:
Karl Popper, *The Open Society and its Enemies*, vol. 1, *The Spell of Plato* (New York: Harper and Row, 1963), p. 125; Robert Dahl, *Democracy and its Critics* (New Haven: Yale University Press, 1989).

16 Alain Badiou, *The Rebirth of History: Times of Riots and Uprisings* (London: Verso Books, 2012), p. 5.

بغاية دراستنا هذه، وينتج التقسيم الزمني رابطًا قويًا بين أوضاع ما قبل الثورة والأوضاع التي تتشكّل بعدها مباشرة. وبالفعل، فإنّ الدكتاتورية عادة ما تُنصّب قوى سياسية واجتماعية واقتصادية، تسمي نفسها نخبًا. وبفعلها ذلك، تكسب الجماعة تمثيلًا غير متناسب في منح الامتيازات، وهو نتاج مجهود موفق لتثبيت سيطرة قوة واحدة على بقية القوى قانونيًا وسياسيًا[17].

وينتهي التنافس باستسلام أو إقصاء قوى أخرى لها الطموحات نفسها، ويقوم أعضاء النخب الأشد تأثيرًا - عن غير قصد - بتأدية دور النخبة المضادة التي تتبنّى خيارات مختلفة. ففي بعض الأحيان تتعاون النخبة المضادّة مع النخبة الحاكمة؛ لاقتناص الفرصة والابتعاد عن دور النخبة المضادة والالتحاق بصفوف النخبة الحاكمة. وإن الوقوف على الحياد يمكن أن يعود على النخبة المضادة بالنفع مستفيدة من استقرار الأوضاع الذي تضمنه الدكتاتورية، ولكن الرغبة في تغيير ميزان القوى ينتهي بإقصاء النخبة المضادة.

> تواجه النخب الحاكمة القديمة تحديّات قويّة قد تزيحها تحت وقع ضغط الجماهير العنيف، كما أنها تواجه تحديات تطرحها فصائل النخبة المضادة المختلفة التي تتطلع إلى أن تتحوّل إلى نخب جديدة حاكمة

وتتحصل النخبة المضادة على شرعية ثورية إثر سقوط الحكم الاستبدادي، وتتحوّل في نهاية المطاف إلى النخبة الحاكمة الجديدة، ولكن الشرعية الجديدة يمكن أن تتزعزع من طرف الشبكات الفوضوية التي تتقمص دورًا ثوريًا للجماهير، وترفض أي شكل من أشكال النخبوية. وإن إمكان التصدع بين النخبة المضادة القديمة والشبكات المؤقتة الواثقة من نفسها كثيرًا ما يمنح قوى الثورة المضادة زخمًا ويرجّح ميزان القوى لفائدتها، وقد دفع هذا الخطر المحدق لينين إلى تبنّي المقاربة النخبوية في تحديد طبيعة الثورة المنشودة. ففي نظر لينين، لا يمكن اندلاع ثورة عفوية. وحتى إن وقعت، فهي ليست محل ترحيب، ولذلك، تحتاج الثورات إلى قيادة ثورية تُحوّل الطبقات الدنيا إلى مجموعة متماسكة وناجعة، وفي أحسن الأحوال يستطيع العمال نشر وعي عمالي، ولا تتجاوز مطالبهم حد الحقوق الاجتماعية القصيرة المدى. فلا يمكن تحويل الجماهير الخاملة إلى قوة ثورية إلا بجهد ثوار مدرّبين ومحترفين، ولكن وجود قيادة متماسكة يحمل في طياته مخاطر جدية لطمس الديمقراطية. ويعمد القادة الثوريون إلى تبنّي مواقف متشددة من أي مقاومة تحول دون استفرادهم بالسلطة[18] ولذلك تكون الفترات الانتقالية محفوفة بمخاطر طمس معالم الديمقراطية، ويحتاج أيّ مسار متطلع إلى الديمقراطية إلى مقاومة الانحرافات الثورية وارتداد القوى المعادية للثورة. ففي حالة قلة الخبرة في ممارسة الديمقراطية، يحتاج مسار الدمقرطة الدائر في سياق ثوري إلى الوقوف أمام التعصّب القادم من الطموح الرجعي، الذي تمثّله مصالح النظام القديم، أو من رغبة الانتقام التي يؤججها التطرف الثوري.

وتزداد الحالة سوءًا حين يُغذي الخوف المتبادل والاستفراد بالامتيازات مظاهر التعصّب. وبالفعل، فإنّ تبنّي التيار الثوري المتشدّد للعقوبات القاسية، وللتغيير الجذري، وللعزل الشامل لمنع اندماج القوى المعتدلة المحسوبة على النظام المخلوع ونخبه من المشاركة في مسار الدمقرطة[19]، يدفع القوى القديمة إلى الاتحاد مع أشد القوى رجعية في الثورة المضادة والسعي معها لإرجاع الدكتاتورية[20]. ومع أن مطلب إزاحة النخب الحاكمة القديمة لا يمكن إدانته بصراحة، لأنه ينسجم مع روح الثورة، وتُعتبر سياسية الاحتواء ضرورية إلى حد بعيد لحماية استمرار الثورة؛ ذلك أن الانتقام والاستيلاء على السلطة من أهم روافد الثورة المضادة. ويُعتبر الاحتواء من الخطوات الأساسية في السياق الثوري، وهو ضروري أيضًا؛ لأنه يساهم في بناء الخطاب السياسي الانتقالي والسياسات العامة في إطار صراع خفيّ بين الثورة والديمقراطية[21]. ففي كثير من الظروف يُنظر بعين الريبة

17 Samuel Huntington, "Social and Institutional Dynamics of One-Party Systems," in: Samuel P. Huntington & Clement H. Moore (eds.), *Authoritarian Politics and Modern Society* (New York: Basic Books, 1970), pp. 11-12.

18 يرى ماكس فيبر أن السلطة تتمثل بقدرة بعض الناس على فرض إرادتهم على بقية الناس على الرغم من مقاومته، انظر:
Max Weber, "The Sociology of Charismatic Authority," in: Hans Gerth & C. Wright Mills (eds.), *From Max Weber: Essays in Sociology* (New York: Oxford University Press, 1946), pp. 245-252.
إن انخرام موازين القوى يضعف قدرة التحكم ويشجع على تحدي السلطة، وتكون النتيجة انسياق الطرفين إلى استعمال العنف، انظر:
Alex Dennis & Peter J. Martin, "Symbolic Interactionism and the Concept of Power," *British Journal of Sociology*, vol. 56, no. 2 (2005), pp. 191-213.

19 للوقوف على حدود تطهير ألمانيا من النازيين، انظر:
Norbert Frei, *Adenauer's Germany and the Nazi Past: The Politics of Amnesty and Integration*, Joel Golb (trans.), (New York: Columbia University Press, 2002).

20 Laurence Whitehead, *Democratization: Theory and Experience* (New York: Oxford University Press, 2002), pp. 76-83.

21 للاطلاع على تاريخ العدالة الانتقالية، انظر:
Neff J. Kritz (ed.), *Transitional Justice: How Emerging Democracies Reckon with Former Regimes* (Washington, D.C.: Institute of Peace Press, 1995).

إلى الانقسام الثوري وما ينطوي عليه من انهيار مؤسسي، إذ يعتبر الانقسام بداية معقولة للانتقال نحو الديمقراطية، ومن الضروري الإقرار، بطبيعة الحال، بأن الأنظمة الدكتاتورية نادرًا ما تقبل الإصلاح وأن بقاء الدكتاتورية في الحكم يخضع دائمًا لمدى نجاحها في مقاومته. وفي بعض الأحيان تكون الثورة مرحلة ضرورية لانطلاق الدمقرطة.

إن التشكيك في أيّ شكل من أشكال السلطة يؤدي إلى اعتبار الثورة وما تنطوي عليه من عنف وحرب أهلية تهديدًا للعقد الاجتماعي[22]، وفي هذه الحال، تحوم الشكوك حول السلطة التنفيذية وتتّسع نحو كل مظاهر السلطة، ويتحول الانتقال من نظام حكم مستبد ومتجاهل لتطلعات المجتمع ومصالحه، إلى نقيضه في وضع ثوري، وإلى حالة من عدم الاستقرار.

تواجه النخب الحاكمة القديمة تحديّات قويّة قد تزيحها تحت وقع ضغط الجماهير العنيف، كما أنها تواجه تحديات تطرحها فصائل النخبة المضادة المختلفة التي تتطلع إلى أن تتحوّل إلى نخب جديدة حاكمة. وهذا يعني أن شبكات هامشية، وفي بعض الأحيان لا تملك نفسًا ثوريًا، سرعان ما تصبح واعية بتوافر الفرصة لاختيارها للالتحاق بالطبقة الحاكمة. وأمام مقاومة الثورة المضادة وتزايد طموحات النخبة الصاعدة للظفر بالمناصب العليا، يسود صراع منفلت من أجل الحصول على الامتيازات، غالبًا ما يتحول إلى صراعات مفتوحة. وبالفعل، تميل المنافسة السياسية المُشوّشة، التي غالبًا ما تحتدم بعد غياب القيود، إلى تجاوز الحدود المتعارف عليها، ولا يُتخلّى عن وسائل الديمقراطية التقليدية المنظّمة لعملية المنافسة؛ وبذلك يُفسَح المجال أمام النخب القديمة التي تسعى لتجنّب حصول تغيير مهم باستعمال نفوذها الواسع مستعينة بمرونة الوسائل المتاحة. ولهذا يُعتبر التسلل التدريجي للنخب بوسائل ديمقراطية أمرًا متعارفًا عليه، بل مضادًا للثورة. وعلى الرغم من سعي المنافسة لتحقيق الديمقراطية، فإنها تُعتبر منافسةً بين مجموعات اجتماعية واعية تريد الحصول على منزلة النخبة، ما يُهدّد رأس المال الاجتماعي الذي تقوم عليه الديمقراطية[23].

إن إدراك النخب لخطر الثورة المضادة قد يدفعها إلى التكيّف مع الوضع الجديد، وذلك على حساب طموحات الثورة وممارسات الأغلبية الديمقراطية؛ ومن ثمّ يمكن أن يكون التوافق إطارًا فكريًا مهمًّا لتقييم إنجازات التجربة التونسية بعد الثورة التي تؤكد قدرة النخب المتصارعة على ضمان حدّ مقبول من الانسجام في محيط سياسي مشحون عبر التنازلات المتبادلة.

## ثانيًا: الديمقراطية التشاركية بين الفئات المختلفة في تونس

### 1. ثقافتان فرعيتان في تونس

استطاع السياسيون في تونس بعد الثورة أن يخفّفوا من حدّة الانقسام، وأن يحافظوا على الاستقرار إلى حدّ ما، رغم اندلاع صراعات حادة وقع التطرق إليها في الجزء الأول من الدراسة، ولم يُرجِّح ميزان القوى الكفّة لأيّ طرف كي يهيمن على الساحة. وفي الآن نفسه، مَنعت متانة الشبكات الاجتماعية واستقرار الدولة التونسية نسبيًّا المؤسسات الرسمية من الانهيار؛ وبذلك تحوّل الخطاب العام سريعًا من خطاب عدائيّ إلى خطاب توافقيّ.

ويُعتبر تطوّر دور الأحزاب من أبرز ملامح الفترة الجديدة. وتُكرّس النُخب الحزبية التنافر فيما بينها أو تتكيّف مع الأوضاع الجديدة، ويعكس تباين الثقل الحزبي، على نحو واضح الثقافة السياسية السائدة في البلاد. وخلال حكم الرئيس بن علي، تسرّبت السياسة والأيديولوجيا، بطريقة أو بأخرى، إلى كل جوانب المجتمع ووصلت نسبة التدخل إلى حد لا يمكن السماح به في أغلب الديمقراطيات[24].

ومن تناقضات نظام الرئيس بن علي، ترافق عزله المنهجي لأي منافس سياسي مع تسييسه لعديد منظمات المجتمع المدني، وذلك باحتوائها بصفة رسمية أو مقاومتها سياسيًا بطريقة خفية. ولا يوجد شك في أن الهياكل التعليمية والثقافية والنقابية وغيرها من الهياكل كانت تحرّكها دوافع سياسية، كما أنّها كانت تنتظر رفع القيود كي تفجّر طاقاتها[25].

وبطبيعة الحال، كان المجال الديني من أكثر المجالات التي تدخّل فيها النظام؛ ذلك أن الخطاب الإسلامي كان منافسًا قويًّا للثقافة السياسية الرسمية. وجاء تسييس الدين بوصفه ردّة فعل على ما اعتُبر مشروعًا علمانيًّا نشِطًا، وقد انتهى الأمر إلى فصل واضح بين معسكرين مجزّأين يمتلك كلّ واحد منهما مؤسّساته وممارساته. وكثيرًا ما كانت السلطة تنكر هذه الحقيقة، ولكن حركيّة السياسة

22 Anuradha Kataria, *Democracy on Trial, All Rise!* (New York: Algora, 2010), pp. 3-9.

23 Carlos M. Vilas, "Prospects for Democracy in a Post-Revolutionary Setting: Central America," *Journal of Latin American Studies*, vol. 28, no. 2 (1996), pp. 461-504.

24 Steffen Erdle, *Ben Ali's 'New Tunisia' (1987-2009): A Case Study of Authoritarian Modernization in the Arab World* (Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 2010), pp. 176-185.

25 Volker Perthes (ed.), *Arab Elites: Negotiating the Politics of Change* (Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2004).

والمجتمع المدني بعد الثورة أثبتت أنها عوامل مولّدة للانقسام، وقد أدّى تحرير قطاع العمل الجمعياتي إلى واقع فوضوي، وغالبًا ما تُكوّن الجمعيات بخلفيّات أيديولوجية، وهكذا ظهر الانقسام بصفة آلية في شكل جمعيات إسلامية وأخرى علمانية، وكان كلاهما يدافع عن القضايا نفسها، ولكنهما يتبنّيان مقاربات مختلفة ويستعملان مفردات يُمكن بواسطتها تحديد توجهات الجمعيات[26].

وبناءً على ذلك، أخذ الانقسام أوجُهًا عدة، من بينها: التقسيم التقليدي الهيكلي إلى ثوريين وقوى مضادة للثورة، كما أن الساحة السياسية التونسية بعد الثورة كشفت المدى الحقيقي للانقسام الذي صنّف مكوّنات المجتمع إلى إسلامي وعلماني، واستخدمت الصراعات المحتملة، في الآن نفسه، محرّكًا لتعبئة الناشطين وتغذية النزاعات الفئوية، وانتهى الأمر باحتدام المنافسة بين النخب والنخب المضادة بعد صعود ثقافتين فرعيتين مهيمنتين على النقاش العام[27]. وكان خطر الانقسام - على نحو متناقض - من العوامل التي خففت من آثار المنافسة العشوائية بعد الثورة ودفعت النخب المتنافسة إلى التنسيق فيما بينها. ويشتمل التنسيق بين الفرقاء على العديد من المظاهر، من أهمها ما يسميه ليجبهارت سياسة إرساء الدعائم[28] التي تُعرف بأنها استعمال ثقافتَين فرعيتَين منقسمتين كدعامتَين لبناء جسر رمزي لتوحيد المجتمع. ويختصر ماكري التوافق في كونه حلًّا نخبويًا للانقسام الحاد والدائم لدرء تفكّك المنظومة، وهكذا تتّفق النخب على حماية نفسها عن طريق التنازلات المتبادلة والتكيّف مع الأوضاع[29].

من البديهي أن تجد أنّ التكيّف والتنازل قليلًا ما يتلاءمان مع الطموحات الثورية، ولذلك أصبح من الضروري فهم الظروف والدوافع التي جعلت من تونس بلدًا مستعدًا لممارسة ديمقراطية تشاركية. وبحسب التأويلات التقليدية، يُنظر إلى الديمقراطية التشاركية على أنّها تجسيد للهياكل المجتمعية التي تفرض إستراتيجيات تعاونية من أجل صنع قرار سياسي ناجع. وبعبارة أخرى، يكون التنسيق بين النخب مبنيًّا على الخوف من الانقسام المجتمعي، إلا أنّ السياق الثوري المناهض للنخب يمكن أن يقلب العلاقة السببية، وبحسب التأويل السابق فإنّ النخب السياسية تنسّق فيما بينها لتعيد سريعًا سيطرتها على الشعب. كما لا يمكن تجاوز التباين المجتمعي؛ لذلك يُوظّف قصدًا لإرساء دعائم حماية سلطة النخب السياسية[30]. ولا تخشى النخب خطر الانقسام، ولكنها ترتعد من غضب الشعب، ومن ثمّ فهي تتكيّف مع الأوضاع.

كشف سقوط الاستبداد في تونس عن انقسام مجتمعي عميق، صدم العديد من المفكرين الذين شُكّك في توجهاتهم بشدة، خصوصًا عندما هيمن الانقسام الديني - العلماني على أغلب النقاشات بعد الثورة. وقد يبدو ذلك مفاجئًا بالنسبة إلى الأطراف الأجنبية؛ لأن القضية لم تطرح خلال الثورة، كما أن النخب كانت تزعم أنها لا تقيم وزنًا لمسألة الانقسام، وبذلك يمكن أن يوجّهوا أصابع الاتهام إلى نخب أخرى لتوظيفها مسألة الهوية لتعميق الانقسامات الموجودة أصلًا بين أفراد المجتمع.

تُعتبر الحركة الإسلامية في تونس من أبرز الثقافات الفرعية. وبالفعل، فمن جملة وسائل مقاومة النظام الدكتاتوري في عهد بن علي، رفضُ برامجه العلمانية، وبذلك نجحت الحركة الإسلامية نسبيًّا في بناء ثقافة إسلامية فرعية متماسكة. فقد تمكن حزب حركة النهضة من كسب الرهان الانتخابي بحصوله على أغلب الأصوات في انتخابات المجلس التأسيسي، ما فرض على بقية القوى السياسية التعامل معه. إضافة إلى خلفية النهضة الدينية، فإنّ هذه الحركة قد تمكّنت من تبنّي خطاب ثوري يقوم على مقاومة القوى المضادة للثورة.

وبتبنّي النهضة المطالب الثورية، وتمكّن الحزب من الحصول على دعم بعض الأطراف العلمانية، وتجسّد الدعم في مشاركة حزبين علمانيين في حكومة الترويكا، غير أنّ إعادة توزيع الأصوات تكشف اتجاهًا هيكليًّا نحو وضعية ثقافية غنمت منها حركة النهضة على حساب حلفائها. وعلى الرغم من التراجع النسبي للدعم الشعبي، فإن حركة

26 أصبحت النخب السياسية التونسية واعية بأهمية المجتمع المدني للحصول على السلطة، وهذا لا ينطبق فقط على الحالات الثورية، انظر:
Floyd Hunter, *Community Power Structure* (New York: Anchor Books, 1953).

27 ينبغي أن نأخذ في الاعتبار أنّ المعسكرين تربطهما علاقة على أعلى مستوى، ومن المفيد أن نفهم أن الفصل بينهما ليس مبنيًا على أساس الثنائية الصارمة، وأن تقسيم المعسكرين إلى ثقافتين فرعيتين يعود أساسًا إلى الإصرار المفترض على الاختلاف، وقد كرّس ذلك في الإعلام ومنظمات المجتمع المدني بواسطة خطاب رسمي مزدوج في كل القضايا؛ بدءًا بالعلاقات الخارجية، ووصولًا إلى المسائل المحلية.

28 من الضروري الإشارة إلى أنّ الحالة التونسية لا تمثل نموذجًا للتوافق في غياب ترتيبات رسمية لاقتسام السلطة، ولكن رواج فكرة التوافق في أوساط النخب على أنه حل ناجع للخلافات السياسية في تونس، لا تظهر تطابقًا كبيرًا مع التأويلات التشاركية، ويتقيد هذا البحث في التحليل بنموذج ليجبهارت، وخصوصًا أنه يميز بين الديمقراطية التشاركية والديمقراطية التوافقية، انظر:
Arend Lijphart, *Democracies: Patterns of Majoritarian and Consensus Government in Twenty-one Countries* (New Haven: Yale University Press, 1984).

29 Kenneth D. McRae (ed.), *Consociational Democracy: Political Accommodation in Segmented Societies* (Toronto: McClelland and Stewart, 1974), pp. 5-13.

30 يعتقد الكتّاب الماركسيون أن التشاركية هي وسيلة تستعملها النخب لتحريك الشعب بالتوازي مع انقسام حول الهوية، وبذلك يصبح الصراع الطبقي ثانويًا. لدرس المثال الهولندي، انظر:
Ronald A. Kieve, "Pillars of Sand: A Marxist Critique of Consociational Democracy in the Netherlands," *Comparative Politics*, vol. 13, no. 3 (1981), pp. 313-337.

النهضة تمكّنت من الحصول على المرتبة الثانية، حاصلة على أكثر من 30 في المئة من الأصوات في الانتخابات العامّة سنة 2014. وقد مُنِي حلفَا النهضة بأثقل الهزائم؛ ذلك أنّ حُججهُم الثورية قد فقدت جاذبيتها أمام خطاب معادٍ للإسلاميين، بُنيت عليه الثقافة الفرعية الثانية. وبعبارة أخرى، فإنّ موقف حلفاء النهضة العلماني استبعدهم من الانتماء إلى الثقافة الفرعية الأولى، ولكنّ تحالفهم مع النهضة حال دون انضمامهم إلى الثقافة الفرعية الثانية.

مثّل نجاح حركة النهضة السياسي تهديدًا للنمط المجتمعي في تونس، ما دفع بقية القوى العلمانية إلى التحرك والتنبيه إلى خطر النهضة. وتُدافع حركة النهضة عن القيم الإسلامية، وتعتقد أنّ الدين موضع توافق آراء، وأنّه مصدر إلهامٍ بما يتضمّنه من قيم مشتركة بين أفراد المجتمع. وتعادي القوى العلمانية ما تسميه الإسلام السياسي الذي يعتبر مصدر خلاف وتفرقة وصراع. وتُعتبر المعارضة النشطة للإسلام السياسي من التركات السلبية والإيجابية قبل الثورة.

فلا غرابة في أنّ حزب حركة النهضة يُذكّر النُّخب التونسية بماضيها؛ فإثر الاستقلال تولّى حزب الدستور القيام بالأعمال التي كانت من مشمولات السلطة الاستعمارية، ويعني ذلك تحوّل أعضاء حزب الدستور البارزين إلى قادة سياسيين. أمّا الشبكات التابعة له، فتحوّلت إلى منظمات اجتماعية تابعة للدولة المستقلة حديثًا. ويعتبر ذلك أساسًا للدكتاتورية التي تمنع وسائلها الرسمية وممارساتها الإقصائية من التطابق مع وضع ثقافة فرعية.

ومع ذلك، فإنّ الهوية التونسية ليست بالضرورة علمانية، ولكن أقلية من الناس تنعت نفسها بكونها من الإسلاميين الناشطين، بينما يصف عدد قليل من المواطنين أنفسهم بأنهم علمانيون، في حين تدافع الأغلبية عن حضور الدين في الحياة العامة، بل على وجود علاقة ما بين الدين والدولة. وإنّ فصلًا كلاسيكيًا بين الدين والدولة في تونس لا يُعدّ غير مرجّح فحسب، بل إنه مستحيل تمامًا في إطار ديمقراطي.

وتُحرج حقيقة العلاقة بين الدين والدولة النخب العلمانية بعد الثورة، ولذلك تعرّضت العلمانية المُبهمة لهجوم عنيف، وأضعفت كثرة الطموحات المتنافسة التماسك السياسي للثقافة العلمانية الفرعية. فدعت النخب العلمانية إلى المحافظة على سيطرة هرمية كافية، يمكن بواسطتها إيجاد قوة سياسية حاسمة ووحيدة. لم تتراجع سيطرة النظام القديم بعد الثورة كما أن نخبه حافظت على مصالحها[31]، وتحوّل النظام القديم من ثقافة مفروضة رسميًا إلى ثقافة فرعية ذات طموح سياسي ومُنخرطة في تنافس سياسي مُشوَّش؛ وذلك من أجل كسب الامتيازات أو المحافظة عليها[32]. وقد اقترن فقدان السيطرة بخطر فقدان الاستقلالية في المستقبل. وأثار انتصار النهضة في انتخابات سنة 2011 ردّات فعل عنيفة من جانب ممثلي الثقافة الفرعية العلمانية، ويعود ذلك إلى مخاوف من استعمال التيار الديني سلطة الدولة لفرض نمط عيشه؛ لذلك شهدت البلاد استنفارًا شديدًا لحماية ما يسمّى النمط المجتمعي التونسي.

## 2. الأحزاب السياسية وديناميكية الديمقراطية التشاركية

لم يكن ممكنًا ممارسة الديمقراطية التشاركية لولا تمسّك النخب بالأنماط المجتمعية، ولولا تنافسها ووعيها بحماية مصالحها والقيام بواجباتها. وقد عرّض الانقسام رأس المال الاجتماعي وإنجازات الثورة للخطر، وكان الانقسام المجتمعي المقترن بالأوضاع الثورية يعني عمليًّا استحالة الحكم الفعّال، ولكنّ حرص نخب الثقافتين الفرعيتين على التكيّف مع الأوضاع أوجد نمطًا من التمشّي الذي ينبّه إلى مخاطر التفرقة، وانتهى الأمر بتسوية تلتزم بضمان بقاء الدولة[33].

ظهرت ديناميكية الديمقراطية التشاركية مع إلغاء دستور سنة 1959، وساهمت الحاجة إلى وضع إطار دستوري جديد في منح المنافسة السياسية بُعدًا هيكليًّا، وسط مخاوف من سيطرة حركة النهضة بعد الثورة على الترتيبات المؤسّسية لفائدة الثقافة الفرعية الإسلامية. وبناءً على ذلك، طالبت الأحزاب العلمانية، دائمًا، قبل انتخابات 2011 وبعدها، بإرساء علاقات تشاركية، ولكن المصطلح المناسب لم يكن متداولًا[34]. ومن جانبهم، كان قياديّو حركة النهضة يميلون إلى القبول بدعوات الحوار، وأصبحت حركة النهضة تتصدّر المشهد بفضل ما أحرزته من مكاسب انتخابية، ولكنّ قياديّيها واجهوا ضغوطًا هائلة؛ لتحميلهم المسؤولية الكاملة عن أيّ فشل حاصل. وكانت المبادرة الأولى من جانب حركة النهضة القبول بنظام انتخابي يعتمد التمثيل النسبي لتنظيم انتخابات المجلس الوطني التأسيسي سنة 2011، وتمّت الموافقة على مواصلة العمل

31 إن خسارة السلطة لا يعني بالضرورة خسارة مصادرها ومواضعها وشبكاتها، وللتمييز بين السلطة والعناصر المذكورة في الولايات المتحدة الأميركية، انظر:
William Domhoff, *Who Rules America*? (Boston: McGraw Hill, 2002).

32 Erdle, p. 449.

33 إن التسوية على النحو المذكور، أو على نحو غيره، تُعد ضرورية لإنجاح المسار الانتقالي، وللاطلاع على نمط تسوية مختلف بين مراقبة الدولة وتحرير السوق في بلدان أوروبا الوسطى، انظر:
Pasquale Tridico, *Institutions, Human Development, and Economic Growth in Transition Economies* (London: Palgrave Macmillan, 2011), pp. 255-257.

34 للاطلاع على نتائج الانتخابات وردّات الفعل تجاهها، انظر:
Erika Atzori, "Tunisia Leads the Way," *The Middle East*, no. 428 (December 2011), p. 18.

بالنظام الانتخابي النسبي من طرف المجلس الوطني التأسيسي، ومن دون تحديد نسبة دُنيا لدخول البرلمان؛ وهو ما أدّى إلى تثبيت التمثيل النسبي وتوسيعه. وبالفعل، بلغ مدى النظام الانتخابي حدّ التأثير في توزيع المسؤوليات الرسمية في ظلّ الحكومات المتعاقبة، ولكن كان ذلك محلّ نقد لاذع من جانب السياسيين والمفكّرين ورجال الإعلام الذين لم يستوعبوا طبيعة الديمقراطية التشاركية، وانتهت بهم الحال إلى إحساس عميق بخيبة الأمل، وتجلّى ذلك في تصريحات شعبوية تتعلّق بفشل الثورة وأخرى تحرّض على انتفاضة ثانية. وهكذا لم يصل التمثيل النسبي، على عكس الأفكار السائدة، إلى المدى الكامل. وفي حالة ترسيخ المقاربة التشاركية في تونس، فإنّه من المرجّح توزيع المنافع والمصالح العامة على أساس نسبيّ وتجاوز الحقائب الحكومية. فعلى سبيل المثال، يمكن تخصيص الأموال العامّة بصفة علنيّة على أساس قوة الأحزاب السياسية والثقافات الفرعية للأحزاب في الدوائر الرسمية[35].

وفي غضون ذلك، يُعتبر التمثيل النسبي بالتأكيد الحلّ الوحيد المعقول لإقامة تحالفات حكومية. فإثر انتخابات 2011، احتاجت النهضة إلى شركاء لإقامة ائتلاف، ما دفعها إلى طلب الدعم من المعسكر العلماني الذي ما زال يعاني انقسامًا شديدًا. ويُعدّ ذلك مساهمة ثانية من جانب النهضة لإرساء الديمقراطية التشاركية في تونس.

وجاءت الخطوة الثالثة نحو إرساء الديمقراطية التشاركية بعد انتخابات 2011، عندما وافقت حركة النهضة هي وحلفاؤها على منح الأقلية المعارضة سلطة حقّ النقض حول عملية إعداد الدستور؛ ذلك أنّ الدستور يحتاج إلى موافقة الثقافتين الفرعيتين كي يحظى بشرعية على المدى البعيد[36]. ويدل التوافق المطلوب على أنّ الطرفين مدركان أنّ الاستقرار السياسي على المدى البعيد أهمّ كثيرًا من الحصول على مصلحة ظرفية قائمة على الانفراد بالسلطة. وبناءً على ذلك، وقع الاتفاق على ضرورة الحصول على أغلبية تصل إلى نسبة 66 في المئة من النواب لاعتماد الدستور الجديد.

إنّ منح الثقافتين الفرعيتين حق النقض في موضوع القضايا الثقافية الجوهرية، والتنازل من الأغلبية السياسية في البرلمان آنذاك، يشيران إلى الاعتراف الضمني بضرورة إيجاد توافق تاريخي حول المسائل الأشد إثارة للخلاف[37].

وبذكر الخطوات الثلاث المتخذة من جانب حركة النهضة، تكتمل الصورة وتتلاءم مع تعريف ليجبهارت للديمقراطية التشاركية[38]. ويُعـرّف ليجبهارت الديمقراطية التشاركية مستعينًا ببعض الديمقراطيات المستقرّة في بلدان بها انقسامات سياسية عميقة على أنّها: اتحاد احتكاري نخبوي مبنيّ على عوامل تيسيريّة عدّة[39]، وتتمتع النخب بقدرات كبيرة على التكيّف في إطار ثقافتها الفرعية، وتُبدي استعدادًا لتجاوز الانقسامات الهيكلية واستعدادًا للالتزام بالنظام السياسي، وتُدرك أخطار الانقسام[40].

وعلى نحو آخر، تُعتبر ممارسات النخب تصحيحًا لأوضاع محيط سياسي سلبيّ. وقد استعمل ليجبهارت في بحث حديث له فكرة الديمقراطية التشاركية واستنبط المصطلح الملائم مع الحالة التونسية. وتسعى آليات أربع لضمان بناء عملية توافق ناجع نسبيًا. تتمثل أولى الآليّات بوجود ثقافة فرعية مستقلة ومُحدّدة وقبولها. وتتمثّل الثانية باللجوء إلى تحالفات واسعة. أمّا الثالثة فهي القبول بمستوى مرتفع من التناسُبية السياسية. وأمّا الرابعة، فهي توفير آليات تضمن للأقلية حق النقض[41].

ومن الواضح أنّ النخب التونسية أبدت استعدادًا كبيرًا لتبنّي الآليات المذكورة آنفًا منذ سنة 2011، وقد أدّى ذلك إلى تحوّل سريع في المسار الانتقالي من سياق ثوري يسيطر عليه الشارع إلى ترتيبات سياسية تقودها النخبة. بعبارة أخرى، أنهى التنسيق بين النخب تسييس الجماهير، كما قلّل من ضغط المطالب الثورية.

سيطرت مخاوف من عودة الانفراد بالرأي على عملية إعداد الدستور. فعلى سبيل المثال، تمّ رفض النظامين البرلماني والرئاسي خلال المداولات

35 لا يسير الانتقال السياسي، عادةً، في شكل مسار خطيٍّ من الدكتاتورية نحو الديمقراطية. ولمعرفة "المنطقة الرمادية" بينهما، انظر:
Thomas Carothers, "The End of the Transition Paradigm," *Journal of Democracy*, vol. 13, no. 1 (2002), pp. 5-21.

36 تمثل هذه الإجراءات وضعية تستحق الدراسة لفهم المسار التشاركي الديمقراطي الذي يرتكز على ضوابط قانونية لتفادي تطبيق نظام الأغلبية، ولبناء حكم ديمقراطي قادر على الاستمرار، انظر:
Ruti Teitel, "Transitional Jurisprudence: The Role of Law in Political Transformation," *Yale Law Journal*, no. 106 (1997).

37 بما أن الدستور التونسي الجديد يتضمن بنودًا عديدة لا يمكن تنقيحها، فإن مفعول سلطة النقض سيكون طويل الأمد، وتحدد البنود غير القابلة للتنقيح ما يمكن أن تمرره الأغلبية المنتخبة ديمقراطيًا، إضافة إلى النظام الانتخابي النسبي. للاطلاع على دور الدسترة في المجتمعات المنقسمة، انظر:
Samuel Issacharoff, "Constitutionalizing Democracy in Fractured Societies," *Journal of International Affairs*, vol. 58, no. 1 (2004), pp. 73-89.

38 للاطلاع على ملخص الأحداث المذكورة، انظر:
Arend Lijphart, "The Puzzle of Indian Democracy: A Consociational Interpretation," *American Political Science Review*, vol. 90, no. 2 (1996), p. 258.

39 للاطلاع على الاتحاد الاحتكاري للديمقراطية، انظر:
Arend Lijphart, *The Politics of Accommodation: Pluralism and Democracy in the Netherlands* (Berkley: University of California Press, 1975), pp. 201-203.

40 من مظاهر الديمقراطية التشاركية توزيع السلطة بين القوى المتنافسة بطريقة لا تمتّ بصلة إلى العملية الانتخابية، انظر:
Arend Lijphart, "Consociational Democracy," *World Politics*, vol. 21, no. 2 (1969), p. 216.

41 Lijphart, *Democracy in Plural Societies*, pp. 24-44.

المتعلقة بالنظام السياسي، وقد كان يُخشى من تبنّي أيّ النظامين، ومن أن ينتهي الأمر بتبنّي نظام يقوم على الأغلبية ومن تجريد المعارضة من أيّ تأثير ناجع في عمليّة وضع السياسات. ولم يُقترح بجديّة إرساء نظام تشريعي يقوم على مجلسين، والذي يُعدّ حلًّا تقليديًا لإيجاد نظام مراقبة متبادلة. وتمّ تركيز النقاش على السلطة التنفيذية بدلًا من التشريعية؛ وذلك نظرًا إلى التجربة التونسية الحديثة مع تجاوزات السلطة التنفيذية، وانتهى الأمر بتوافق حول اقتسام الصلاحيات التنفيذية بين مؤسسة الرئاسة والحكومة في إطار نظام سياسي مختلط[42].

> اتسع أفق الديمقراطية التشاركية على نحو لافت بين سنتي 2011 و2014 إثر التحالف المفاجئ الذي غطّى على الانقسام العلماني - الديني، وخطَّ الفصل التقليدي بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة، واعتُبر التحالف امتحانًا عسيرًا لقياس قوة التضامن الداخلي

ومضت الانتخابات التشريعية والرئاسية سنة 2014 نحو تعزيز السّير نحو الديمقراطية التشاركية. أمّا الحملات الانتخابية، فإنّها واصلت الانقسام، بل عمّقته. وقام الخطاب السياسي على محورين مختلفين يتمثلان بالدفاع عن الديمقراطية، والحاجة إلى هزيمة الثورة المضادة من ناحية، وتعزيز المبادئ العلمانية وشن حرب حاسمة على التيار الإسلامي. ويشير الانقسام خلال الحملة الانتخابية إلى ضغط الشعب الذي أصبح أقل توافقًا بشِقيه العلماني والإسلامي[43]. كما أن الحملة تدل على وجود علاقة يسيطر عليها الانفعال بين معسكرين يتبادلان العداء ويستبعد أحدهما الآخر.

غير أن الأجواء السياسية السائدة بعد الانتخابات كشفت الحقيقة حول طبيعة المنافسة الحزبية، ويبدو أن الخطابات العاطفية المشحونة كانت موجّهة إلى حشد جماهير الثقافتين الفرعيّتين. ومع انتهاء التصويت تحرّر القادة السياسيون من الضغوطات وأصبح خطابهم يدعو إلى المصالحة من جديد. وأدى النظام الانتخابي النسبي دور المحفّز من جديد لزيادة التنسيق بين الفرقاء السياسيين، وقد أفضى النظام الانتخابي إلى تعددية سياسية من خلال الارتفاع النسبي في عدد الأحزاب المُمثّلة في البرلمان؛ ويعني ذلك عدم تمكُّن أيّ حزب من الحصول على الأغلبية المطلقة. ومن الضروري الإشارة إلى أنّ الديمقراطية التشاركية تحتاج بقوة إلى عدد قليل نسبيًّا من الأحزاب الكبيرة لتقوم بالدور الرئيس في إدارة المفاوضات. وبهذا المعنى، تتميّز انتخابات عامَي 2011 و2014 بالاختلاف في الشكل. ففي انتخابات 2011 كانت ممارسات التكيّف مبنيّة على حزب محوري وحيد؛ ما يترك انطباعًا مفاده أنه يمنح تنازلات غير متوازنة لكل الأطراف. وبالنسبة إلى انتخابات سنة 2014، فإنّ حضور حزبين كبيرين انتهى بائتلاف موسّع يضمّ شراكة تاريخية بين حزب حركة النهضة وحركة نداء تونس[44]. وإذا أُخِذ في الاعتبار طبيعة حركة نداء تونس، فإنّ تركيبة الائتلاف تفقد تماسكها؛ إذ إنّ حركة نداء تونس، في حدّ ذاتها، تتكون أساسًا من قوى علمانية مرتبطة بمصالح أطراف لها علاقة بالنظام القديم.

اتسع أفق الديمقراطية التشاركية على نحو لافت بين سنتي 2011 و2014 إثر التحالف المفاجئ الذي غطّى على الانقسام العلماني - الديني، وخطَّ الفصل التقليدي بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة، واعتُبر التحالف امتحانًا عسيرًا لقياس قوة التضامن الداخلي في كل ثقافة فرعية والوقوف عند نفوذ القياديين على مستوى القاعدة الشعبية. ولم يستوعب أنصار حزب حركة النهضة وحركة نداء تونس، باستثناء قليل منهم، مغزى التقارب بين الحزبين. ويعتبر ليجبهارت التقارب المذكور من المكونات الأساسية في نموذجه للحكم.

وبما أن الشعب لم يتعود فكرة الديمقراطية التشاركية، فإنّ نظرية المؤامرة كانت الرواية المقنعة له، والتي كانت تُولّد مزيدًا من العداوة ضد النخب. ويُردّد الشعب أن الوضع الراهن والدفاع عن مصالح مُحدّدة يقفان وراء تنسيق حركة النهضة وحركة نداء تونس. وبطبيعة الحال، عملت الأحزاب التي بقيت خارج الائتلاف الموسع على تعزيز رواية نظرية المؤامرة، كما كان قادة الأحزاب المناهضون للائتلاف يحاولون الحصول على دعم الناخبين الغاضبين من حزب النهضة وحركة نداء تونس.

42 يعتبر الاختيار ضروريًا بالنسبة إلى المتخصصين على الرغم من قصوره، ولكنه يحد من فرضية العودة إلى الدكتاتورية، انظر:
Henry Hale, "Formal Constitutions in Informal Politics: Institutions and Democratization in Post-Soviet Eurasia," *World Politics*, vol. 63, no. 4 (2011), pp. 581-617.

43 على الرغم من تنافس القوى السائد في الحملة الانتخابية، فإنها لم تتطرق إلى القضايا الاقتصادية والاجتماعية المهمة، للاطلاع على الإطار النظري، انظر:
Andreas Schedler, "The Nested Game of Democratization by Elections," *International Political Science Review*, vol. 23, no. 1 (2002), pp. 109-111.

44 تعتبر حركة نداء تونس حزبًا تشاركيًا إذا أخذنا في الاعتبار انقسام الثقافة الفرعية العلمانية في تونس. للتحليل النظري للتكيف داخل الحزب وبين الأحزاب، انظر:
Matthijs Bogaards, *Democracy and Social Peace in Divided Societies: Exploring Consociational Parties* (London: Palgrave Macmillan, 2014), pp. 1-19.

لقد أبدت حركة النهضة استعدادًا كبيرًا للتماسك الداخلي، وبذلك نجحت في امتحان كسب التضامن الداخلي من الحزب وتضامن الثقافة الفرعية الإسلامية، ويعود ذلك إلى هيكلة الحزب التي تقوم على الرابط الأيديولوجي، كما أنّ حركة النهضة تمتلك شبكة واسعة من الجمعيات التي توفّر الاندماج السياسي لقوى وأشخاص من خارج الحزب. وبالتفكك الهيكلي لحزب نداء تونس بعد سنة 2014[45]، احتلت النهضة من جديد الموقع الأول في البرلمان، ولم يكن التنبؤ بمصير أيّ قوة سياسية يسيرًا، وخصوصًا أن الأوضاع الاقتصادية الصعبة كانت تدفع نحو مزيد من معاداة الأحزاب المتحالفة[46]. وبناءً على ذلك، لم يكن أيّ حزب من الأحزاب مستثنى من ديناميكية التفكك بعد الثورة.

وتُعتبر حالة نداء تونس مثالًا يشير إلى أن الحلول التشاركية قد تنتهي بتنافس محموم داخل الثقافة الفرعية نفسها، وقد اهتزت شرعية قياديي حركة نداء تونس لمّا أصبحت المفاوضات ضرورية مع الإسلاميين. وأسّس الحزب إستراتيجيته السلبية أساسًا على التهديد الذي يمثله التيار الإسلامي، ويُعزى تفكك حركة نداء تونس السريع إلى فقدان التماسك الأيديولوجي داخل الثقافة الفرعية العلمانية. وقد حصلت النهضة على تفوق هيكلي؛ وذلك لدعوتها إلى الدفاع عن قيم مشتركة، ولكن على المدى البعيد قد تفقد حركة النهضة تفوقها الهيكلي؛ إذا دعّمت الديمقراطية التشاركية مقولة إنّ السياسيين جميعهم سواء. وبما أن الأيديولوجيا وسيلة ناجعة لتعبئة الجماهير نحو أهداف محددة في أوقات الصراع والمفاوضات، فإنّ تراجع التوتر سيفكك حتمًا التماسك الداخلي لحركة النهضة، وسيكشف حدود التضامن الأيديولوجي.

ولم يبقَ للنخب التونسية سوى محفزين على الأقل يدفعان نحو إرساء الشراكة التاريخية بين الثقافتين الفرعيتين وسط أخطار مُحدقة بالمسار. يتمثل المُحفّز الأول بضرورة تجاوز قضية تثير خلافًا كبيرًا، هي علاقة الدولة بالدين والسعي لحلّها عن طريق المفاوضات والتوافق، من أجل تجاوز التحديات الداخلية والخارجية، وسط تزايد الانشغال بقضية الإرهاب. أمّا المحفّز الثاني، فيتمثّل بوعي سائد مفاده أنّ الدمقرطة لا تقبل بإقصاء أيّ طرف، وبذلك يسُود اعتراف متبادل بحاجة إلى منح الثقافة الفرعية العلمانية والثقافة الفرعية الإسلامية نصيبًا من السلطة.

> يكشف عدم الاستقرار السياسي قصورًا في الديمقراطية التشاركية في تونس، كما أنّ اللجوء إلى التكيُّف لا يرجع دائمًا بالنفع على البلاد. وتتضمن الديمقراطية التشاركية في حد ذاتها مستوى معينًا من عدم الاستقرار، وتطمح إلى تجنّب خروجه عن السيطرة

حافظ التحالف الحكومي سنة 2014 على كثير من سمات التحالف السياسي الذي برز إثر انتخابات 2011. وبإقحام حزبين صغيرين نسبيًا، أثبت الحزبان الكبيران عدم رغبتهما في تحمل المسؤولية الكاملة عن الإصلاحات والتحديات المنتظرة، كما برهن على ذلك سعيهما لتخفيف الضغط الشعبي وحرصهما على الشرعية السياسية. وقد حظي تحالفا سنتَي 2011 و2014 بأغلبية برلمانية، تسمح لهما بتمرير القوانين جميعها. إنّ وجود حزبَي آفاق تونس والاتحاد الوطني الحر في التحالف الموسّع، لا يضيف شيئًا إلى تفوق الحزبين الكبيرين حسابيًا، ولكن ذلك يعكس متانة القيم التشاركية بين النخب لإدارة الصراعات الحاصلة بعد الثورة. وبحسب تأويل ليجبهارت، فإنّ الأنظمة التشاركية عادة ما تحتاج، حاجة ملحّة، إلى حكومات مُوسّعة، وعدد أحزاب يتجاوز عدد الأحزاب المتعارف عليه؛ وذلك لترسيخ الأغلبية البرلمانية[47]. وتضمن وضعية الأغلبية المطلقة حصانة الحكومة ضد تمرّد البرلمانيين الذين قد تجتذبهم فكرة مساءلة النخب عن ممارستهم المتعلقة بالتكيّف.

## خاتمة

يمكن أن تكون الديمقراطية التشاركية حلًّا معقولًا للتنافس المزعزع للاستقرار الذي غالبًا ما تتسم به الحياة السياسية في فترة ما بعد الثورة. وقد كشفت هذه الدراسة عن ممارسات التكيف في أوساط

45 تتوافق النتيجة مع مقاربة بوغارت التشاؤمية المتعلقة بالأحزاب التشاركية التي تثبت أنها ضعيفة هيكليًا على الرغم من قوتها في الظاهر، كما أن الأحزاب التشاركية عادة ما تكون منهكة بوظائف ثنائية تتعلق بالتمثيل والتكيف، انظر:

Ibid., pp. 123-139.

46 يتعرض النظام السياسي الجديد لمخاطر كثيرة ما لم يتحقق نمو اقتصادي مستدام، انظر:

Michael O'Sullivan, Markus Siterli & Antonios Koutsoukis, *From Spring to Revival: Regime Change and Economic Transformation* (Zurich: Credit Suisse Research Institute, 2011), pp. 5-6.

47 يعتبر ذلك متغيرًا من جملة المتغيرات التي تسهل التمييز بين الديمقراطية التشاركية والديمقراطية التوافقية، لمزيد من الاطلاع، انظر:

Paul Pennings, "The Utility of Party and Institutional Indicators of Change in Consociational Democracies," in: Kurt Richard Luther & Kris Deschouwer (eds.), *Party Elites in Divided Societies: Political Parties in Consociational Democracy* (London: Routledge, 1999), p. 23.

النخبة التونسية بعد الثورة ودورها في تفادي الانحرافات الخطرة، ولكن الممارسات وتبعاتها جديرة بمزيد من الاهتمام والتحليل. يكشف عدم الاستقرار السياسي قصورًا في الديمقراطية التشاركية في تونس، كما أنّ اللجوء إلى التكيُّف لا يرجع دائمًا بالنفع على البلاد. وتتضمن الديمقراطية التشاركية في حد ذاتها مستوى معينًا من عدم الاستقرار، وتطمح إلى تجنّب خروجه عن السيطرة. وإضافة إلى ذلك، يولّد التوافق بين النخب المتنافسة مزيدًا من السّخط بين الناس، فالجماهير تتمسّك بأنّ التوافق أدّى إلى احتواء آمالهم وضياع أحلامهم.

تتمثل المسألة الجوهرية بمدى قدرة الممارسات التشاركية على تسهيل تحقيق ما يعتبره الشعب أهدافًا حقيقة للثورة، وقد تستمر الممارسات التشاركية حتى لو كانت نتائجها سيئة، ولكنّ فوائدها ستتراجع - على الأرجح - بمرور الزمن؛ ويعني ذلك أن الترتيبات السياسية الحالية زائلة ما لم تُعالَج الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي أدّت إلى الثورة.

## المراجع

Atzori, Erika. "Tunisia Leads the Way." *The Middle East*. no. 428 (December 2011).

Badiou, Alain. *The Rebirth of History: Times of Riots and Uprisings*. London: Verso Books, 2012.

Barry, Norman. *An Introduction to Modern Political Theory*. London: Macmillan, 2000.

Bogaards, Matthijs. *Democracy and Social Peace in Divided Societies: Exploring Consociational Parties*. London: Palgrave Macmillan, 2014.

Carothers, Thomas. "The End of the Transition Paradigm." *Journal of Democracy*. vol. 13. no. 1 (2002).

Coleman, James S. "Social Capital in the Creation of Human Capital." *American Journal of Sociology*. vol. 94 (1988).

Dahl, Robert. *Democracy and its Critics*. New Haven: Yale University Press, 1989.

Dennis, Alex & Peter J. Martin. "Symbolic Interactionism and the Concept of Power." *British Journal of Sociology*. vol. 56. no. 2 (2005).

Diamond, Larry. *Developing Democracy: Toward Consolidation*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1999.

Domhoff, William. *Who Rules America*? Boston: McGraw Hill, 2002.

Encarnación, Omar G. "Beyond Civil Society: Promoting Democracy after September 11." *Orbis*. vol. 47. no. 4 (2003).

Erdle, Steffen. *Ben Ali's 'New Tunisia'* (1987-2009): *A Case Study of Authoritarian Modernization in the Arab World*. Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 2010.

Falsafi, Shiva. "Civil Society and Democracy in Japan, Iran, Iraq and Beyond." *Vanderbilt Journal of Transnational Law*. vol. 43. no. 2 (2010).

Frei, Norbert. *Adenauer's Germany and the Nazi Past: The Politics of Amnesty and Integration*. Joel Golb (trans.). New York: Columbia University Press, 2002.

Fukuyama, Francis. "The Primacy of Culture." *Journal of Democracy*. vol. 6. no. 1 (1995).

Gerth, Hans & C. Wright Mills (eds.). *From Max Weber: Essays in Sociology*. New York: Oxford University Press, 1946.

Hale, Henry. "Formal Constitutions in Informal Politics: Institutions and Democratization in Post-Soviet Eurasia." *World Politics*. vol. 63. no. 4 (2011).

Hayek, Friedrich A. *Law. Legislation and Liberty: The Political Order of a Free People*. vol. 3. *The Political Order of a Free People*. Chicago: The University of Chicago Press, 1979.

Hobbes, Thomas. *Leviathan*. C. B. MacPherson (ed.). London: Penguin, 1968.

Hunter, Floyd. *Community Power Structure*. New York: Anchor Books, 1953.

Huntington, Samuel P. & Clement H. Moore. (eds.). *Authoritarian Politics and Modern Society*. New York: Basic Books, 1970.

*Economic Transformation*. Zurich: Credit Suisse Research Institute, 2011.

Perthes, Volker (ed.). *Arab Elites: Negotiating the Politics of Change*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 2004.

Popper, Karl. *The Open Society and its Enemies: The Spell of Plato*. vol. 1. *The Spell of Plato*. New York: Harper and Row, 1963.

Sarmiento, Domingo F. *Facundo, or Civilisation and Barbarism*. London: Penguin, 1998.

Schedler, Andreas. "The Nested Game of Democratization by Elections." *International Political Science Review*. vol. 23. no. 1 (2002).

Taggart, Paul. *Populism*. Philadelphia: Open University Press, 2000.

Teitel, Ruti. "Transitional Jurisprudence: The Role of Law in Political Transformation." *Yale Law Journal*. no. 106 (1997).

Tridico, Pasquale. *Institutions, Human Development, and Economic Growth in Transition Economies*. London: Palgrave Macmillan, 2011.

Versi, Anver. "The Sweet Scent of Flowers." *African Business*. no. 372 (February 2011).

Vilas, Carlos M. "Prospects for Democracy in a Post-Revolutionary Setting: Central America." *Journal of Latin American Studies*. vol. 28. no. 2 (1996).

Whitehead, Laurence. *Democratization: Theory and Experience*. Oxford: Oxford University Press, 2002.

Yongnian, Zheng. *Will China Become Democratic? Elite, Class and Regime Transition*. Singapore: Eastern Universities Press, 2004.

Issacharoff, Samuel. "Constitutionalizing Democracy in Fractured Societies." *Journal of International Affairs*. vol. 58. no. 1 (2004).

Kataria, Anuradha. *Democracy on Trial, All Rise*! New York: Algora, 2010.

Kieve, Ronald A. "Pillars of Sand: A Marxist Critique of Consociational Democracy in the Netherlands." *Comparative Politics*. vol. 13. no. 3 (1981).

Kritz, Neff J. (ed.). *Transitional Justice: How Emerging Democracies Reckon with Former Regimes*. Washington, D.C.: Institute of Peace Press, 1995.

Lijphart, Arend. "Consociational Democracy." *World Politics*. vol. 21. no. 2 (1969).

_____. *The Politics of Accommodation: Pluralism and Democracy in the Netherlands*. Berkley: University of California Press, 1975.

_____. *Democracy in Plural Societies: A Comparative Exploration*. New Haven: Yale University Press, 1977.

_____. *Democracies: Patterns of Majoritarian and Consensus Government in Twenty-one Countries*. New Haven: Yale University Press, 1984.

_____. "The Puzzle of Indian Democracy: A Consociational Interpretation." *American Political Science Review*. vol. 90. no. 2 (1996).

Luther, Kurt Richard & Kris Deschouwer (eds.). *Party Elites in Divided Societies: Political Parties in Consociational Democracy*. London: Routledge, 1999.

O'Sullivan, Michael, Markus Siterli & Antonios Koutsoukis. *From Spring to Revival: Regime Change and*

# المؤشر العربي
# Arab Opinion Index

دانا الكرد | Dana El Kurd*

# تقييم الأوضاع العامة في مصر: من ثورة يناير حتى انتخابات 2018

# Evaluating the General Living Conditions of the Egyptian Citizenry: from the January, 2011 Revolution to the 2018 Presidential Elections

تعرض الورقة اتجاهات الرأي العام المصري تجاه الظروف السياسية والأمنية من كانون الثاني/ يناير 2011 إلى الانتخابات الرئاسية 2018. وتراجع الورقة آراء المواطنين المصريين حول الأحزاب السياسية والحكومة والانتخابات والمشاركة السياسية في العام الحالي والأعوام الماضية، كما تبحث في تأثير المخاوف الأمنية، وتزايد الرغبة في الاستقرار.

**كلمات مفتاحية:** مصر، ثورة 25 يناير، الانتخابات.

This paper presents an overview of evolving trends in Egyptian public opinion towards a host of security-related and political issues during the period between January 2011 and the 2018 presidential elections. The paper further provides an overview of Egyptians' views of the political parties in their country; of their government; and of elections and political participation. Finally, the paper explores the impact of security concerns on Egyptian public attitudes and the increasing importance of the desire for stability in shaping public opinion in Egypt.

**Keywords:** Egypt, 25th January Revolution , Elections.

* باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Researcher, the Arab Center for Research and Policy Studies.

بعد الانتخابات الرئاسية في مصر لعام 2018، وصل عبد الفتاح السيسي إلى السلطة، مع دعم شعبي مفترض وصل إلى نسبة 97%. بيد أن منظمات حقوق الإنسان أجمعت على أن تلك الانتخابات غير عادلة أو حرة، وأنها لا تمثل إرادة الشعب المصري على نحو دقيق وعادل. ومع هذه الآراء المتضاربة ينشأ التساؤل عن توجهات الشعب المصري الحقيقية حيال الوضع الراهن. بمعنى أدق؛ أين يقف الجمهور المصري فيما يتعلق بالانتخابات والظروف السياسية الحالية وظروف معيشتهم؟

يُعد مؤشر الرأي العربي أحد المسوحات الإقليمية القليلة التي تمكنت من الوصول إلى الرأي العام المصري، والتي لديها القدرة على قياس اتجاهات الرأي العام في مصر بدقة منذ عام 2011، أي منذ الربيع العربي، حتى اليوم. سنفصِّل في آراء المصريين حيال الظروف السياسية والأمنية العامة في العام الحالي والأعوام الماضية. وسنراجع، أيضًا، وجهة نظرهم بشأن قدرات الدولة. كما سنقوم بمراجعة آرائهم حول الأحزاب السياسية والحكومة والانتخابات والمشاركة المدنية. وستمكننا هذه النظرة الشاملة للرأي العام المصري، من الوصول إلى تقييم أكثر دقة لمن يدعم الوضع الراهن في السياق القمعي الحالي.

## الأوضاع العامة

### 1. الوضع السياسي

عندما سألنا المصريين عن الأوضاع السياسية العامة، كانت النتيجة أنّ هنالك دعمًا متزايدًا للأوضاع السياسية ما بين 2011 و2017-2018. وبطبيعة الحال، ونظرًا إلى السياق القمعي الحالي في مصر، من المهم أن يتم التدقيق في هذه النتيجة عن كثب؛ خاصةً أنه لا يمكننا التحقق من مدى دقة الأسئلة المباشرة في الاستطلاع في نقل/ قياس الرأي العام.

في الواقع، عندما ننظر إلى الشكل البياني (1)، نجد أن هناك قفزة كبيرة في عدد المستجيبين الذين يعتبرون أن الظروف السياسية جيدة في مصر من عام 2014 (العام الذي تم فيه انتخاب السيسي في انتخابات غير حرة)، وفي عام 2015 وما بعده. يمكن القول إنّ هنالك تفسيرين لهذا التحول الكبير. أولًا، من الممكن أن يكون الرئيس السيسي، على الرغم من القمع، قد قام فعليًا بمعالجة بعض القضايا المهمة للجمهور المصري؛ ومن ثم أدى ذلك إلى تحسن ملموس في الظروف السياسية. أما التفسير الثاني، فيكمن في تصعيد السيسي استخدام القمع بعد انتخابات 2014، ما أدى إلى تقليص هامش التعبير عن المعارضة في السنوات التالية. سنقوم بعرض بعض الأسئلة المتعلقة بالرأي العام المصري في الفصول القادمة للمفاضلة ما بين التفسيرين، ولتوضيح مدى قرب أي منهما بالنسبة إلى الواقع.

### 2. الوضع الأمني

أحد الأسباب التي تفسر وجهة نظر الجمهور المصري الإيجابية في الظروف السياسية يتعلق بإدراكهم الظروف الأمنية. فعندما نقارن الرأي العام المصري، فيما يتعلق بمستوى الأمن في البلاد بشكل عام، نرى أن التصور السلبي للظروف الأمنية في عام 2011 قد تحوّل إلى تصور إيجابي في الفترة 2017-2018. وقد ينتج ذلك بسبب عدد من العوامل. أولًا، كانت هناك حملة إعلامية/ دعائية ضخمة صور من خلالها النظام المصري الحالي نفسه على أنه فعّال في الحرب ضد الإرهاب، فضلًا عن إعطائه الأولوية لعودة الاستقرار. نشير أيضًا إلى أن ثمة تهديدات أمنية فعلية قد واجهت الدولة وما زالت تواجهها في أجزاء معينة من البلاد. علاوة على ذلك، تم قمع الاضطرابات والحراكات السياسية التي أعقبت الربيع العربي، بغض النظر عن أي رأي قيمي في هذه الحراكات؛ وهكذا فإن الوضع الأمني في معظم المراكز الحضرية يُعد اليوم أكثر استقرارًا نسبيًا. أخيرًا، لا يمكن التقليل من عامل القمع؛ فمن المستبعد، ومن الصعب أيضًا، أن يعرب المصريون عن آراء سلبية تجاه الدولة، ومن البديهي أن يبالغوا في تصوراتهم الإيجابية حيال الوضع الراهن.

عندما ننظر إلى مفهوم قدرة الدولة، لدينا سبب يجعلنا نعتقد أن السرد الأمني للنظام قد يكون في الواقع عاملًا حاسمًا في دفع الرأي العام نحو رؤية أكثر إيجابية فيما يتعلق بالنظام والحكومة. على سبيل المثال، نرى تحولًا كبيرًا في عدد الذين يقيّمون شعورهم بالأمان على أنه "جيد" أو "جيد جدًا" من عام 2015 إلى عام 2016؛ بنسبة 68% إلى 86% على التوالي، وهو ما يمثل تحولًا إيجابيًا بنسبة 18% في غضون عام واحد فقط. وعلى المنوال نفسه نلاحظ أن تصور الرأي العام لقدرة الدولة، قد ارتفع بنسبة 10%؛ وذلك عندما يتعلق الأمر بتقييم الجملة التالية تحديدًا: "سلطة الدولة ممتدة إلى جميع مناطق وأقاليم بلدك وتستطيع أن تفرض القانون وتطبّقه في جميع أرجاء البلد".

## اليأس/ اللامبالاة السياسية والديمقراطية

نظرًا إلى تحول دينامية السياسة المصرية من حالة تحول ديمقراطي إلى إعادة إحياء نظام استبدادي أكثر قمعًا من سابقه، من المنطقي أن يكون اهتمام المصريين بالسياسة قد انخفض. قد يساعد هذا أيضًا في فهم وجود نظرة إيجابية للمستجيب المصري حيال الأوضاع

السياسية والأمنية العامة؛ إذ يمكن أن يُعزى ذلك إلى انعدام المشاركة السياسية واللامبالاة، مما يؤدي إلى إجابات إيجابية متحيزة بسبب عدم وجود رأي محدد، وليس إدراكًا إيجابيًا فعليًا للواقع. ولتوضيح ذلك، فإنّ هذا النوع من الأجوبة عن الاستبيانات يوصف بـ "الانحياز التوافقي"؛ أي نزوع المشاركين في الاستطلاع إلى الاتفاق مع جميع الأسئلة، أو إلى الإشارة إلى دلالة إيجابية من دون التفكير في السؤال أو تقييمه (الإجابة بـ "نعم" عن كل الأسئلة).

فعندما ننظر إلى مسار الاهتمام في السياسة، على سبيل المثال، نجد أن عدد غير المبالين بالسياسة قد ازداد على نحو ملحوظ في الفترة بين 2012-2013 و2014 (أي فترة انتخاب السيسي رئيسًا). وتشير الكثير من الأبحاث التي نُشرت في الفترة الأخيرة إلى أن هذا الأمر يمكن أن يعزى إلى "خيبة الأمل" التي تولدت في أعقاب الثورة. وعلى الرغم من الانخفاض المستمر في عدد اللامبالين بالسياسة منذ الارتفاع الحاد في عام 2014، فإن نسبة غير المهتمين بها ما زالت تمثل العدد الأكبر من المستجيبين. مجددًا، يمكن أن يساعد هذا في تفسير النظرة الإيجابية للمستجيب المصري التي لاحظناها في الأسئلة المباشرة، خاصة في ضوء فكرة الانحياز التوافقي التي ناقشناها سابقًا.

عندما ننظر إلى الآثار السياسية للامبالاة بالشأن السياسي، نرى تأثيرًا واضحًا. فعلى سبيل المثال، يتزامن تزايد اللامبالاة السياسية مع انخفاض الرغبة في المشاركة في الانتخابات. وتبدو مصر اليوم مستقطبة ومنقسمة بالتساوي، تقريبًا، بين أولئك الذين ما زالوا مهتمين بالشأن السياسي، وغير المبالين بهذا الشأن.

للوقوف على أسباب عدم رغبة المستجيبين في المشاركة في الانتخابات سألنا سؤالًا مفتوحًا عن ذلك، وكان من الملاحظ أن الأجوبة الأكثر انتشارًا تعطي انطباعًا متمثلًا بأن المصريين لا يعتقدون أنّ النظام الحالي فعّال أو شرعي. فعلى سبيل المثال، تم ذكر الأسباب الأولى التالية لعدم المشاركة: المرشحون لا يحققون ما يعدون به، المرشحون يهتمون بأنفسهم ولا يهتمون بالناس، صوتي ليس له تأثير. وتعني هذه الأسباب كلها أنّ المستجيبين في مصر غير مهتمين بالتصويت Voter apathy؛ لأنهم لا يعتقدون أنّ المرشحين يحققون بالفعل ما يعدون به خلال حملاتهم الانتخابية، وأن الانتخابات ليست بالضرورة عادلة وحرة. وهذا يعني أن المشكلة تكمن في السياق والنظام المصري، وليس في معتقدات المستجيبين حول مسألة الديمقراطية.

**الرسم البياني (1)**
**آراء المستجيبين في مصر في الوضع السياسي 2011-2018**

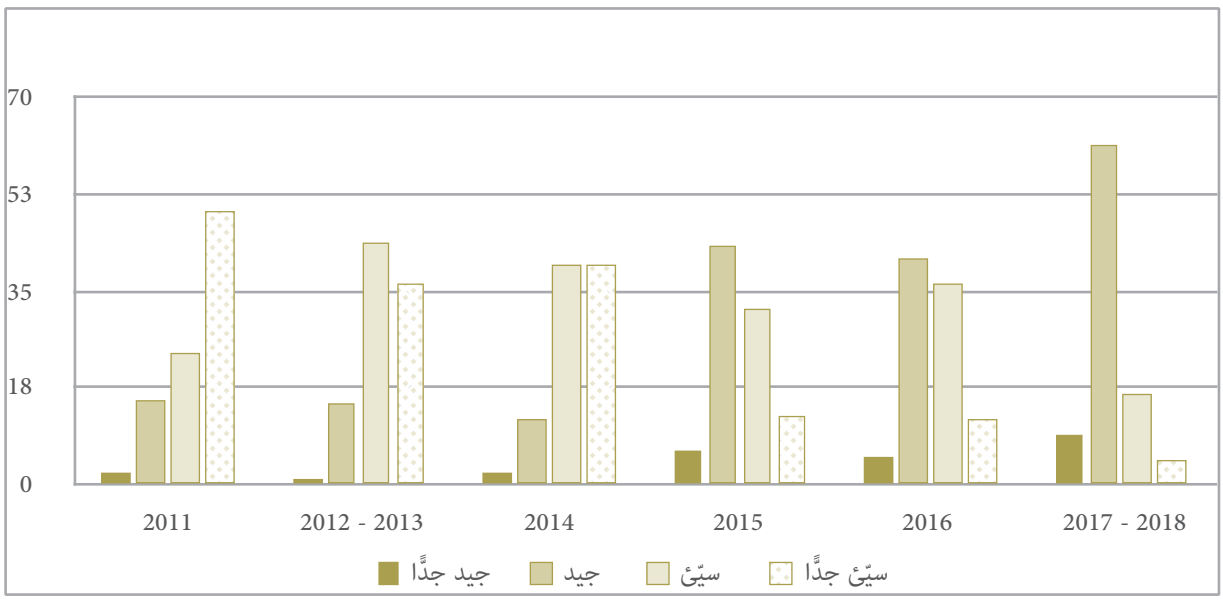

الرسم البياني (2)

ثقة المستجيبين في مصر بالحكومة

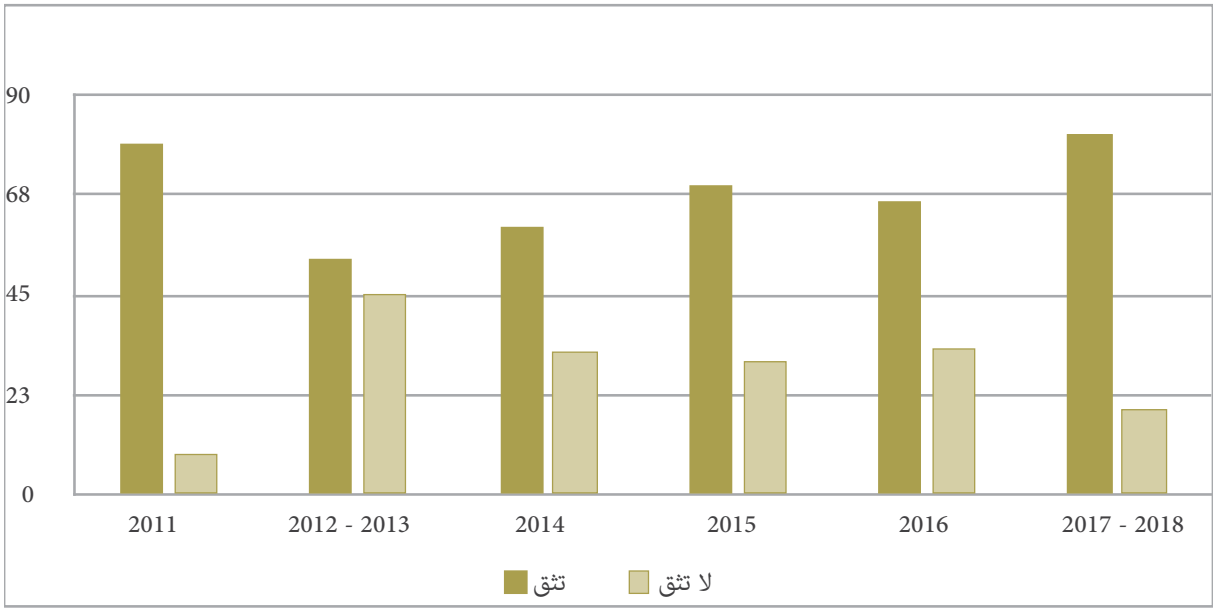


الرسم البياني (3)

ثقة المستجيبين في مصر بالرئيس السيسي

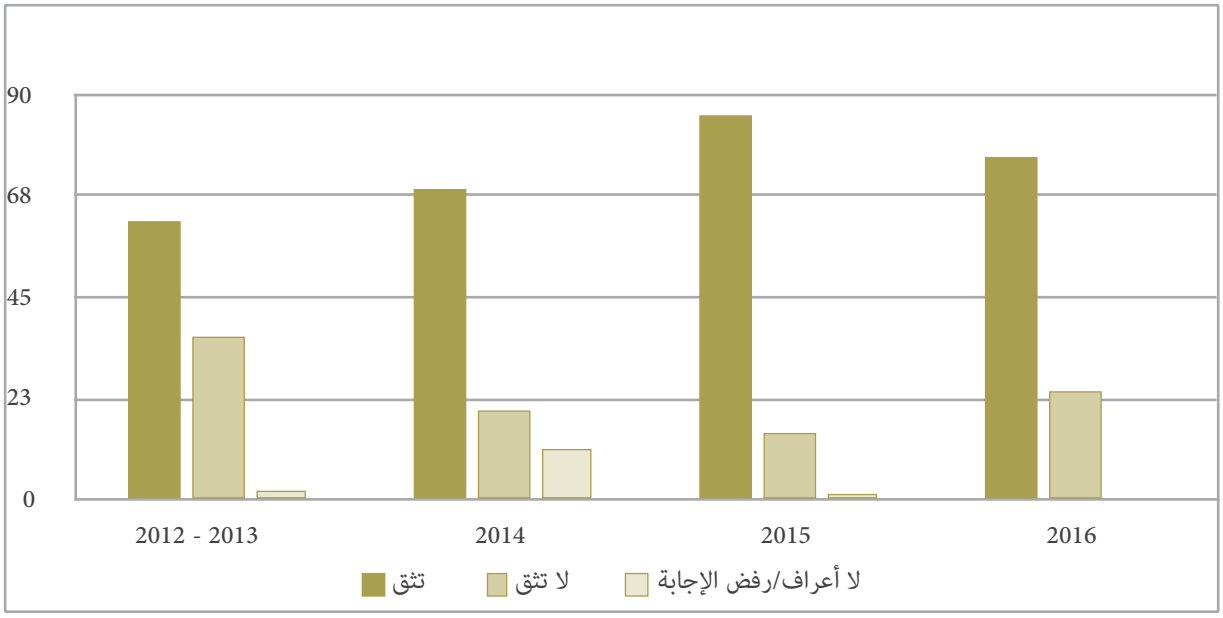

**الرسم البياني (4)**
**وجهة نظر المستجيبين في مستوى الأمان في مصر**

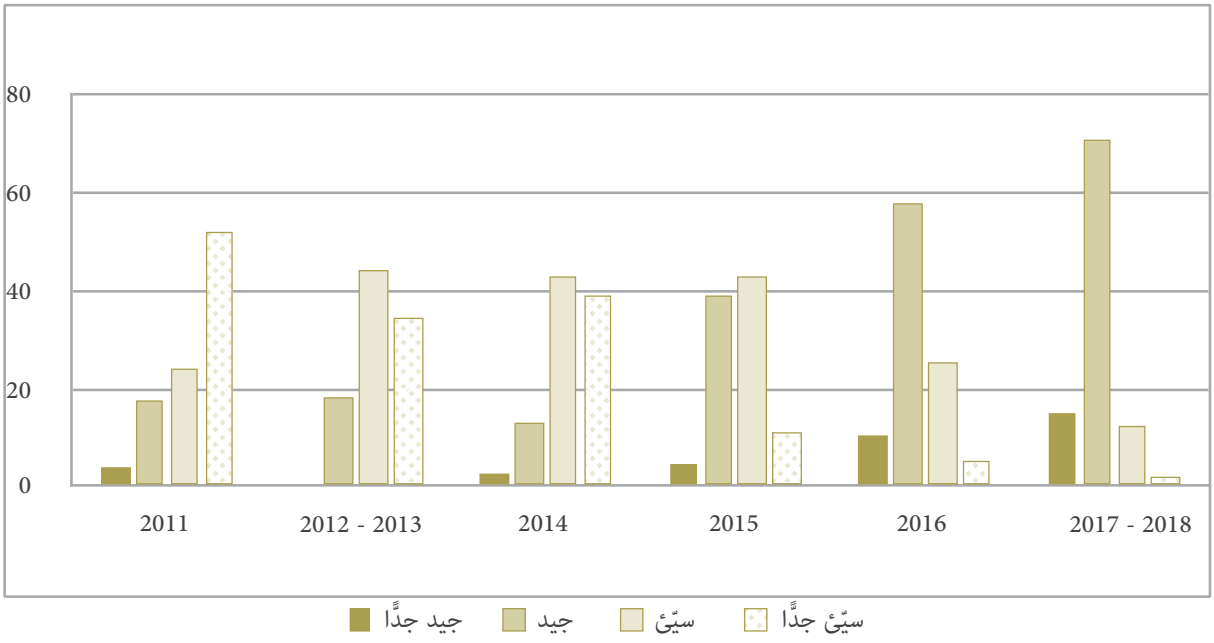


**الرسم البياني (5)**
**وجهة نظر المستجيبين في قدرة/ مدى انتشار سلطة الدولة المصرية على أراضيها**

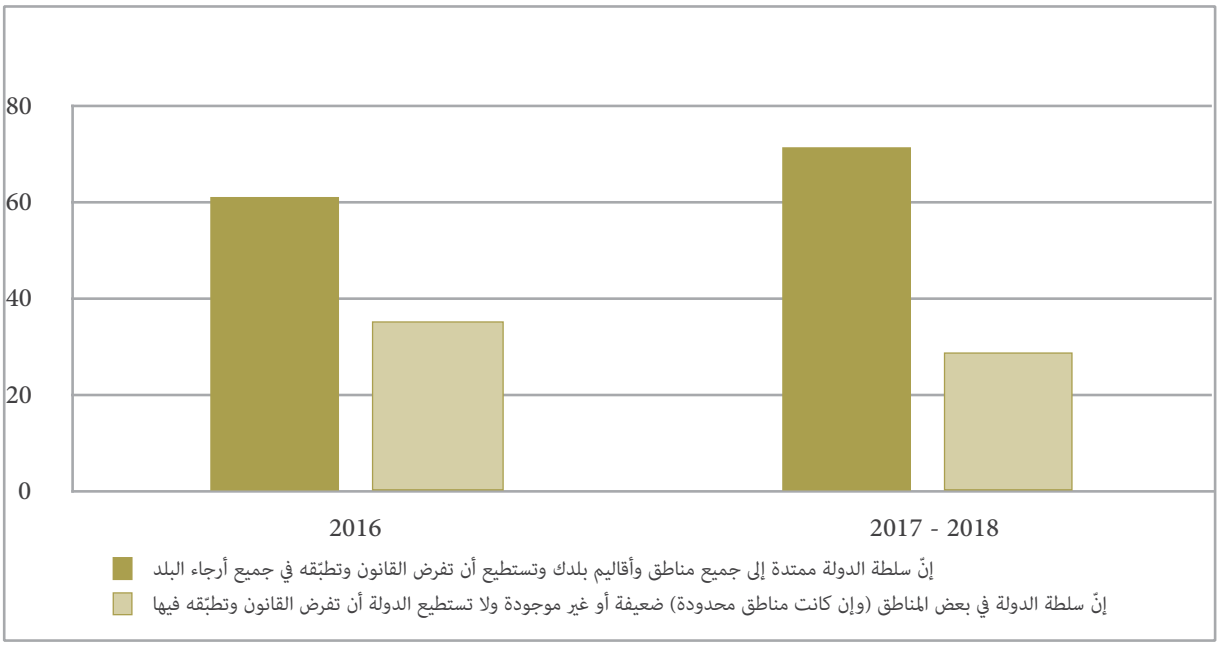

**الرسم البياني (6)**

**نسبة المستجيبين المهتمين بالشؤون السياسية**

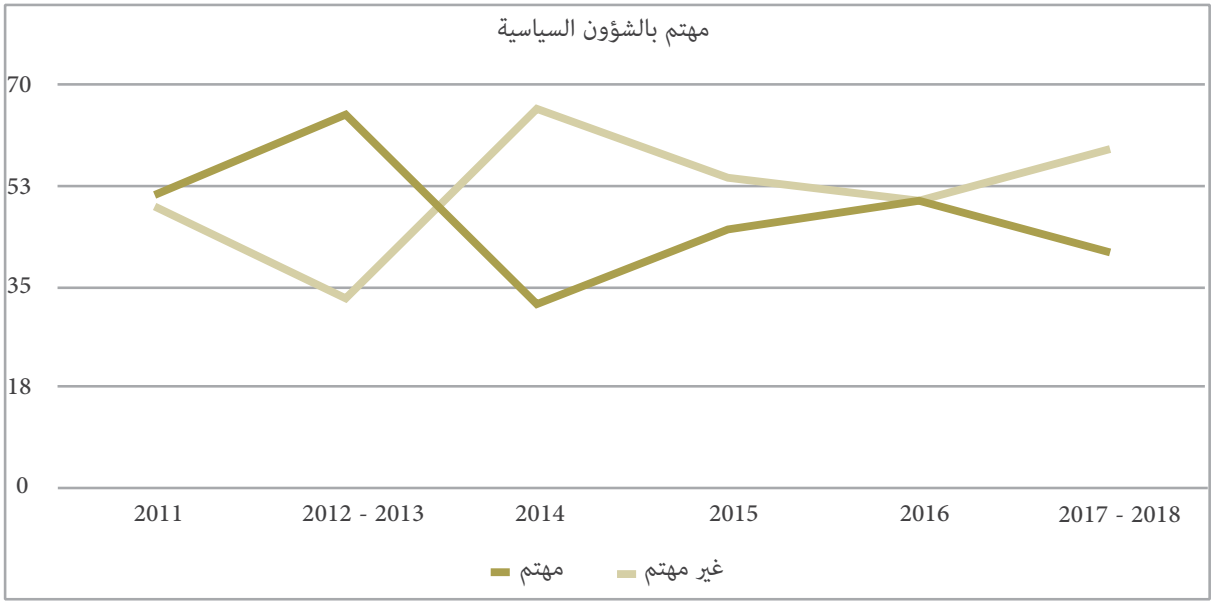


**الرسم البياني (7)**

**تصويت المستجيبين في الانتخابات النيابية والتشريعية**

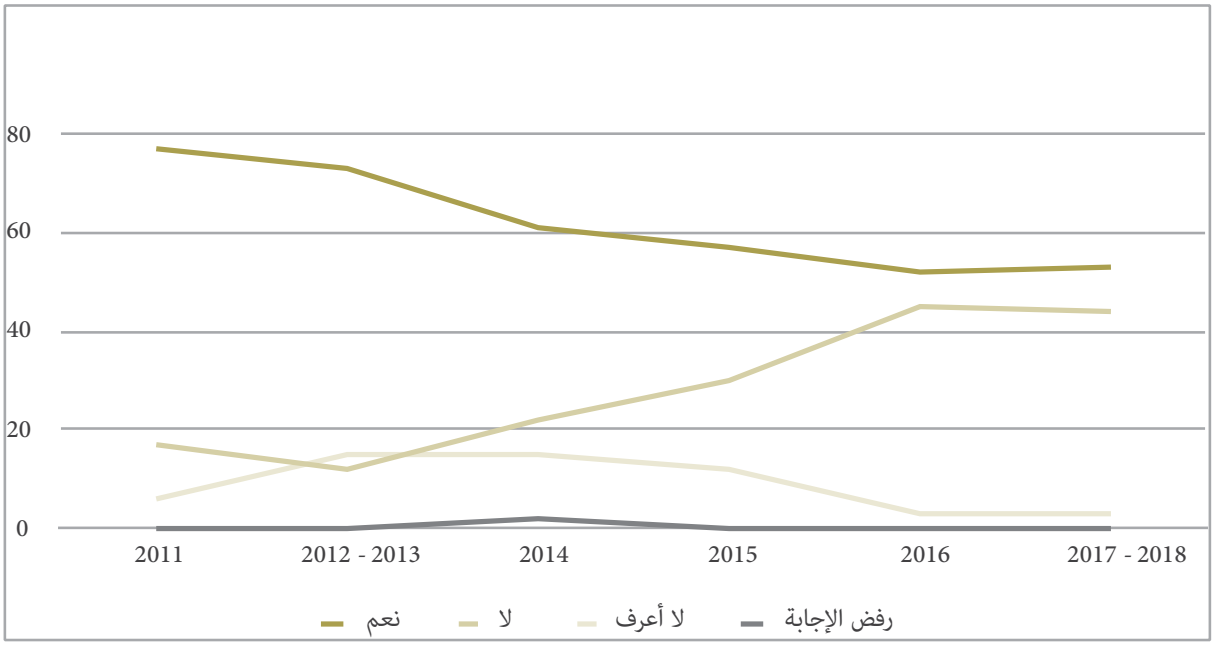

**الرسم البياني (8)**
**آراء المستجيبين المصريين في الأحزاب السياسية**

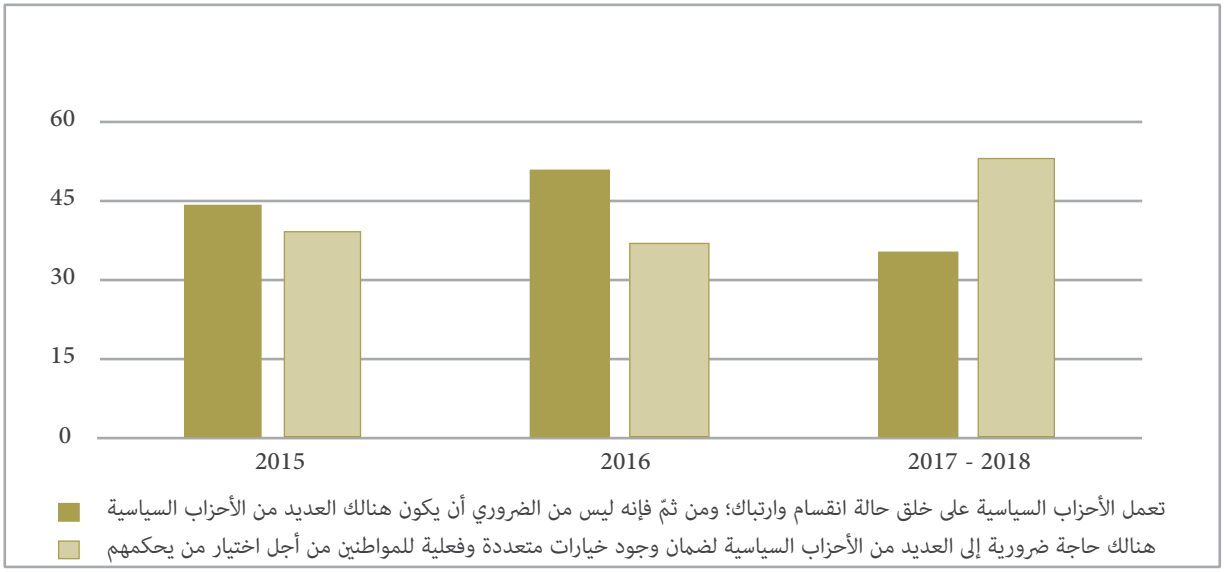


**الجدول (1)**
**أجوبة المستجيبين عن سؤال مفتوح متعلق بالمشاركة في الانتخابات**

| لماذا لن تشارك في الانتخابات؟ (%) | |
|---|---|
| لا جدوى من الانتخابات | 16 |
| صوتي ليس له تأثير | 16 |
| المرشحون يهتمون بأنفسهم ولا يهتمون بالناس | 20 |
| المرشحون لا يحققون ما يعدون به | 26 |
| الانتخابات معروفة نتائجها مسبقًا | 7 |
| لا أريد أن أضيع وقتي | 3 |
| عادة لا توجد فروقات تذكر بين المرشحين/ القوائم | 5 |
| أخرى | 7 |
| رفض الإجابة | 0 |
| المجموع | 100 |

**الجدول (2)**
**آراء المستجيبين في الديمقراطية 1**

| نظام سياسي تتنافس فيه جميع الأحزاب مهما كانت برامجها من خلال الانتخابات النيابية، وتشكل الحكومات على أساس النتائج | % |
|---|---|
| ملائم جدًا | 67 |
| ملائم إلى حدٍ ما | 24 |
| غير ملائم إلى حدٍ ما | 5 |
| غير ملائم على الإطلاق | 2 |
| لا أعرف (لا تقرأ) | 2 |
| المجموع | 100 |

**الجدول (3)**
**آراء المستجيبين في الديمقراطية 2**

| النظام الديمقراطي قد تكون له مشكلاته لكنه أفضل من غيره | % |
|---|---|
| أوافق بشدة | 26 |
| أوافق | 50 |
| أعارض | 12 |
| أعارض بشدة | 3 |
| لا أعرف (لا تقرأ) | 8 |
| رفض الإجابة (لا تقرأ) | 1 |
| المجموع | 100 |

نجد دليلًا إضافيًا بشأن ما سبق عندما نراجع آراء المستجيبين حيال الأحزاب السياسية. ففي الفترة 2017-2018، وافقت غالبية المستطلعين على أن الأحزاب السياسية ضرورية للحفاظ على حرية الاختيار للمواطنين، والحفاظ على مجموعة متنوعة من الآراء السياسية في المجال العام. هذا على عكس السنوات السابقة من المسح. ومن ثم، لدينا سبب لأن نعتقد أنه منذ المسح الأخير لعام 2016 تغير السياق في مصر وآراء غالبية المصريين. وتظهر الأبحاث أن الأحزاب السياسية، على الرغم من الانقسامات، يمكن أن تساعد في إضفاء الطابع المؤسسي على الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة. ويبدو أن الرأي العام المصري قد توصَّل إلى هذا الاستنتاج، رغم أنه غير واثق من فاعلية النظام الحالي.

يدعم المصريون الديمقراطية بأغلبية ساحقة؛ إذ أجاب أكثر من 91% من المصريين بأن النظام الذي تشارك فيه جميع الأحزاب السياسية مثالي للمجتمع المصري. وعندما سئلوا مباشرة عن الديمقراطية، أجاب 76% من المصريين بأنه أفضل نظام على الرغم من مشكلاته. وعمومًا، وَوفقًا لعدد من المعايير المختلفة، يبدو أنّ المصريين مقتنعون بالديمقراطية ومكوناتها، ولكن يبدو أنهم أقل اقتناعًا بنظام حكمهم الحالي.

بشكل عـام، نجد في آخر مسح للمواطنين المصريين أن تصور المستجيبين المصريين حيال الحكومة والرئيس والظروف السياسية العامة يبدو إيجابيًا للوهلة الأولى. ولكن عندما ندقق في الأسباب الكامنة لهذا التصور الإيجابي، نجد أن هذا التصور قد يكون مبنيًا على ردة فعل على المخاوف الأمنية والعزوف نحو الاستقرار السياسي، أو أن هناك مستوى من الانحياز التوافقي، مما يعني أن المستجيبين يجيبون بشكل إيجابي حتى عند عدم وجود أي مشاعر إيجابية كما وضحنا آنفًا. وقد يكون هذا بسبب الخوف من القمع؛ بالنظر إلى الوضع السياسي الحالي في مصر. علاوة على ذلك، عندما ننظر إلى المشاركة السياسية، نجد ارتفاعًا في اللامبالاة السياسية لدى المستجيبين وعزوفًا عن المشاركة السياسية، رغم أن غالبية كبيرة من المصريين، عمومًا، يؤمنون بتداول السلطة، والأحزاب السياسية الحرة والمتنوعة، والديمقراطية؛ وهكذا، من الواضح أنّ هناك انفصامًا بين رؤاهم المتعلقة بالديمقراطية، ورؤاهم المتعلقة بالنظام الحالي.

# التوثيق

# Documentation

# محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

# Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا التقرير أبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 1 آذار/ مارس– 30 نيسان/ أبريل 2018

**كلمات مفتاحية:** تونس، مصر، اليمن، ليبيا، سورية، البحرين.

**Keywords:** Tunisia, Egypt, Yamen, Libya, Syria, Bahrain.

**2018/3/2** عبّر رئيس مجلس الدولة الليبي، عبد الرحمن السويحلي، لدى لقائه رئيس مجلس النواب التونسي محمد الناصر، عن مخاوفه من الدور الذي تؤديه الإمارات في عملية التسوية السياسية الليبية. وتحدث السويحلي عن مخاوفه من "التدخل السافر للإمارات، عبر ضخ السلاح والعتاد إلى الجهات المتنازعة، بشكل علني ومباشر في بنغازي، وعبر تجنيد قنوات وأذرع إعلامية لضرب عملية الحوار والضغط لإفشال التسوية بين القيادات الليبية".

(**القدس العربي**، 2018/3/2)

**2018/3/2** طلبت الولايات المتحدة الأميركية، من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، تشكيل لجنة جديدة للتحقيق في استخدام أسلحة كيميائية في سورية، بعد تقارير عن تعرض منطقة الغوطة الشرقية المحاصرة بريف دمشق لهجمات بغاز الكلور، بحسب مشروع قرار قدمته الولايات المتحدة في مجلس الأمن بعد تقارير عدة عن مقتل طفل وتعرض 18 أخرين في الغوطة الشرقية لأعراض تبيّن وجود قصف كيميائي من جانب قوات النظام السوري.

(عربي 21، 2018/3/2)

**2018/3/5** بعد بدء الحملة العسكرية العنيفة التي شنها جيش النظام السوري بمساندة سلاح الجو الروسي، طالب "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية" المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته تجاه المدنيين، مشيرًا إلى أن مجلس الأمن يجب أن يتجاوز التعطيل الروسي المستمر، وأن يبادر إلى اتخاذ الإجراءات العاجلة وممارسة الضغوط اللازمة لوقف الإبادة الجماعية الجارية في الغوطة قبل فوات الأوان.

(**الائتلاف الوطني السوري**، 2018/3/5)

**2018/3/5** صادق حزب العدالة والتنمية المغربي على "مدونة السلوك" التي تنص على "الالتزام بالمواقف الرسمية المعبر عنها في البيانات أو البلاغات الصادرة عن الأمانة العامة أو عن الأمين العام للحزب، والانسجام في التواصل الخارجي مع تلك المواقف". وهو الأمر الذي فسر بناء على تصريحات قياداته خلال تعاملهم مع وسائل الإعلام المختلفة.

(مغرس، 2018/3/5)

**2018/3/6** أعلن البرلماني المصري، إسماعيل نصر الدين، تقدمه باقتراح تعديل الدستور، مدعومًا بتواقيع خمسة أعضاء من مجلس النواب "في الوقت المناسب"، عقب انتهاء الانتخابات الرئاسية، المقرر إجراؤها نهاية آذار/ مارس 2018، مدعيًا أن اقتراحه بمد فترة ولاية الرئاسة إلى 6 سنوات، بدلًا من 4 سنوات، لا يرتبط بشخص الرئيس عبد الفتاح السيسي، وإنما يستهدف مصلحة الوطن. ونصّت المادة (226) من الدستور المصري على أنّ "لرئيس الجمهورية، أو لخُمس أعضاء مجلس النواب، طلب تعديل مادة، أو أكثر من مواد الدستور، متضمّنًا المواد المطلوب تعديلها، وأسباب التعديل، وفصل البرلمان في الطلب خلال ثلاثين يومًا، مع اشتراط موافقة ثلثي أعضائه على طلب التعديل، وعرضه على الشعب للاستفتاء خلال ثلاثين يومًا من تاريخ الموافقة

(**العربي الجديد**، 2018/3/6)

**2018/3/9** أنهت لجنة الحقوق والحريات بالبرلمان التونسي المصادقة على قانون إحداث هيئة حقوق الإنسان التي جاء بها "دستور الثورة". وتمثل هيئة حقوق الإنسان، خامس هيئة دستورية نص عليها دستور 2014 الذي جاء ليجسم مطالب ثورة الحرية والكرامة، حيث كانت من أبرز مطالب الثائرين على انتهاك حقوق الإنسان وضرب الحريات العامة والفردية والمس بكرامة التونسيين.

(**الصباح** التونسية، 2018/3/10)

**2018/3/10** قضت محكمة جنايات الجيزة المصرية، برئاسة المستشار محمد ناجي شحاتة، الملقب بـ "قاضي الإعدامات"، بإعدام 10 معارضين للسلطة الحاكمة، والسجن المؤبد بحق 5 آخرين في القضية المعروفة إعلاميًا بـ "خلية إمبابة".

(مصر العربية، 2018/3/10)

**2018/3/15** كشفت وكالة رويترز نقلًا عن مصادر سياسية يمنية عن أن السعودية وحركة أنصار الله اليمنية (الحوثيون) أجروا محادثات سرية، في محاولة لإنهاء حرب عمرها ثلاث سنوات، تسببت في أسوأ أزمة إنسانية في العالم، ولكن من دون علم الحكومة اليمنية. ونقلت الوكالة أخبارًا مفادها أن المتحدث باسم الحوثيين، محمد عبد السلام، كان على اتصال مباشر بمسؤولين سعوديين في سلطنة عمان، بشأن حل شامل للصراع. في المقابل، نفت الجماعة صحة الأنباء السابقة، وأبدت استعدادها للحوار.

(**رويترز**، 2018/3/15)

**20148/3/16** أوضح المبعوث الأممي الخاص إلى سورية، ستيفان دي ميستورا أنه لم يتم الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم 2401 الذي ينص على وقف إطلاق النار في سورية، وإدخال المساعدات الإنسانية إلى المدن المحاصرة كافة، وخاصة الغوطة الشرقية. وأشار دي ميستورا إلى أن "سكان الغوطة يعيشون الجحيم على الأرض".

(موقع تلفزيون سوريا، 2018/3/16)

**2018/3/17** اعتبر رئيس هيئة التفاوض السورية نصر الحريري أن المجتمع الدولي فشل في حماية المدنيين من جرائم النظام السوري في الغوطة الشرقية. وقال الحريري خلال مؤتمر صحافي في الرياض "إن المجتمع الدولي والأمم المتحدة وقفوا عاجزين عن القيام بإجراءات ملموسة، لوقف المجازر التي يرتكبها النظام في الغوطة الشرقية". وأشار الحريري إلى أن الأمم المتحدة وقفت عاجزة عن المضي قدمًا

بالعملية السياسية، كما عجزت عن إدخال المواد والمساعدات إلى الغوطة الشرقية.

(موقع الهيئة العليا للمفاوضات، 2018/3/17)

**2018/3/18** قالت منظمة "هيومن رايتس ووتش"، في تقرير لها، إنّ النظام السوري يستخدم أساليب غير قانونية في هجومه على الغوطة الشرقية، مستفيدًا من استمرار الدعم الروسي، بما في ذلك ما يبدو أنّه استخدام أسلحة محظورة دوليًا مثل الأسلحة الكيميائية.

(هيومن رايتس ووتش، 2018/3/18)

**2018/3/19** أعلن سيف الإسلام القذافي، نجل الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، ترشحه للانتخابات الرئاسية الليبية المقررة في عام 2018. وجاء إعلانه المتوقع هذا عبر محاميه من تونس، إذ كشف فريقه في مؤتمر صحافي أن سيف الإسلام سيكون مرشح "الجبهة الشعبية لتحرير ليبيا"، معلنًا عن مبادرته لإصلاح الأوضاع في ليبيا وبرنامجه المستقبلي.

(الجزيرة نت، 2018/3/19)

**2018/3/23** أعلن رئيس الحكومة التونسية، يوسف الشاهد، في خطاب أمام البرلمان أنه يرفض أن يكون "شاهد زور" على ما يحدث، مضيفًا: "سأواصل الحرب على الفساد وعلى الفاسدين، وسأقوم بالإصلاحات الكبرى التي وعدت بها ما دمت على رأس حكومة الوحدة الوطنية". وقد جاءت كلمة الشاهد في ظل تنامي المطالب السياسية بتغييره هو والفريق الحكومي، والتي رفعتها جهات نقابية وسياسية عدة في تونس.

(شبكة تونس الآن، 2018/3/23)

**2018/3/25** وثّقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان مقتل 871 مدنيًا، بينهم 179 طفلًا، في الغوطة الشرقية، في غضون انقضاء شهر على صدور قرار مجلس الأمن رقم 2401، في 24 شباط/ فبراير 2018، الذي نصّ على وقف إطلاق النار في سورية. وأوضحت الشبكة، في تقرير صادر عنها، أن القرار لم يوقف استمرار قتل السوريين بكل الأسلحة بما فيها الأسلحة الكيميائية. وأضاف التقرير أن بين القتلى 123 سيدة وأربعة إعلاميين وسبعة من الكوادر الطبية، بينهم طبيب، و12 من كوادر الدفاع المدني، فيما ارتكبت قوات النظام السوري وحلفائه 34 مجزرة.

(الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 2018/3/25)

**2018/3/26** نفى المتحدث الرسمي باسم المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق بطرابلس، محمد السلاك، تقديم رئيس المجلس فايز السراج أي عروض لأي طرف، وأكد خلال مؤتمر صحافي ترحيب السراج بأي مبادرة من شأنها حلحلة الأزمة الليبية. ويأتي نفي السلاك بعد تداول وسائل الإعلام الليبية تسريبات نقلًا عن صحيفة "الشرق الأوسط" السعودية التي قالت إن السراج قدم للواء المتقاعد، خليفة حفتر، عبر ممثل له، عرضًا باقتسام السلطة مناصفة بين الطرفين في محاولة لإنهاء الأزمة السياسية والعسكرية التي تشهدها البلاد.

(عربي 21، 2018/3/26)

**2018/3/28** أكّدت رئيسة هيئة "الحقيقة والكرامة" في تونس، سهام بن سدرين، أنّ الهيئة ستكمل مسارها، وهي ملزمة قانونيًا بمواصلة أعمالها. وشدّدت على أنّه يتعين على "الهيئة إرجاع حقوق الضحايا وجبر الضرر المادي والمعنوي، وكشف الحقائق، ومساءلة المسؤولين عن الانتهاكات، وإحالة الملفات إلى القضاء، واقتراح الإصلاحات التي ستضمن عدم تكرار التجاوزات". ويأتي رد هيئة "الحقيقة والكرامة"، بعد يومين على تصويت نواب مجلس الشعب بعدم تمديد عملها سنةً إضافية. في سياق مواز، قال رئيس حزب "حراك تونس الإرادة"، محمد المنصف المرزوقي، إن التصويت على عدم التمديد لهيئة الحقيقة والكرامة غير قانوني، مضيفًا أن "ما حصل يعتبر دليلًا على سوء النية، فهؤلاء الرافضون لاستكمال أعمال الهيئة خائفون من العدالة الانتقالية لأنهم يملكون ملفات فيها والعدالة الانتقالية قضية دستورية".

(العربي الجديد، 2018/3/28)

**2018/3/29** قال الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في تجمع بولاية أوهايو، إن قوات بلاده ستنسحب قريبًا جدًا من سورية، داعيًا الأطراف الأخرى إلى أن تهتم بالأمر هناك، فيما نفت الخارجية الأميركية علمها بما أعلنه ترامب، قائلة في بيان إنه ليس لديها علم بأي خطة لسحب القوات الأميركية من سورية.

(رويترز، 2018/3/29)

**2018/3/30** رفضت تركيا أي وساطة فرنسية، لإجراء حوار بين أنقرة وميليشيات "قوات سوريا الديمقراطية"، والتي استقبل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، ممثلين عنها في قصر الإليزيه. وقال المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم كالن، في تغريدة على "تويتر"، "نرفض أي جهد يهدف إلى تشجيع حوار أو اتصالات أو وساطة بين تركيا وهذه المجموعات الإرهابية". وجاءت تصريحات كالن، بعدما دعت باريس إلى حوار بين تركيا و"قوات سوريا الديمقراطية".

(وكالة الأناضول، 2018/3/30)

**2018/4/2** وصفت أربع منظمات حقوقية مصرية (مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ومركز أندلس لدراسات التسامح ومناهضة العنف، ومركز النديم لمناهضة العنف والتعذيب، والجبهة المصرية للحقوق والحريات) في بيان مشترك الانتخابات الرئاسية المصرية، التي فاز فيها الرئيس عبد الفتاح السيسي، بأنها "انتخابات لا تتمتع بأي مشروعية سياسية". وأشار بيان المنظمات إلى أن الانتخابات فقدت مضمونها قبل أن تبدأ بعد أن تحول الحق في المشاركة السياسية إلى شكل من أشكال البلطجة السياسية والأمنية. وقالت المنظمات إنه

"تمت مصادرة حق المصريين في التعبير عن رأيهم بحرية، بما في ذلك حقهم في الامتناع عن التصويت، وذلك بإجبارهم على ذلك بالتهديد بالغرامة المالية، وبممارسة أبشع أساليب الابتزاز باسم الوطن والدين، وبالحشد الإجباري في المصالح الحكومية والهيئات العامة، بل ومعاقبة الصحف التي تنقل حقيقة ضعف الإقبال على الاقتراع وتفشي الرشاوى الانتخابية".

(العربي الجديد، 2018/4/2)

**2018/4/3** أعلنت الهيئة الوطنية للانتخابات في مصر فوز عبد الفتاح السيسي بولاية رئاسية ثانية، بعدد أصوات بلغ 21 مليونًا و835 ألفًا و987 صوتًا، من جملة 24 مليونًا و254 ألفًا و152 مواطنًا شاركوا في الانتخابات الرئاسية، بنسبة بلغت 90 في المئة، في مقابل 655 ألفًا و934 صوتًا لمنافسه الوحيد، موسى مصطفى موسى، بنسبة لم تتجاوز 2.7 في المئة. وأفاد رئيس الهيئة، المستشار لاشين إبراهيم، في مؤتمر صحافي، أن الأصوات الصحيحة بلغت 22 مليونًا و491 ألفًا و921 صوتًا، بينما بلغ عدد الأصوات الباطلة في الانتخابات الرئاسية مليونًا و762 ألفًا و231 صوتًا بنسبة 7.3 في المئة من إجمالي الأصوات. وأشار إبراهيم إلى أن من أدلوا بأصواتهم في الخارج بلغ عددهم 157 ألفًا و60 ناخبًا، بنسبة لم تصل إلى 2 في المئة من المصريين المقيمين في الخارج، والذين يتجاوز عددهم 9.5 ملايين مواطن، لافتًا إلى أن من أدلوا بأصواتهم في الداخل بلغ عددهم 24 مليونًا و97 ألفًا و92 ناخبًا، من إجمالي 59 مليونًا و78 ألفًا و138 ناخبًا لهم حق التصويت، بنسبة مشاركة بلغت 41.05 في المئة.

(العربي الجديد، 2018/4/3)

**2018/4/4** حمّلت منظمة "هيومن رايتس ووتش"، النظام السوري، مسؤولية معظم الهجمات الكيميائية التي وقعت في البلاد منذ عام 2011، مشيرةً إلى فشل الجهود الدولية في وقف هذه الانتهاكات. وبمناسبة حلول الذكرى السنوية الأولى لهجوم خان شيخون بمحافظة إدلب شمالي غربي سورية، والذي قُتل فيه أكثر من 100 شخص، أشارت المنظمة في بيان لها أنّ الجهود الدولية الرامية إلى منع استخدام الأسلحة الكيميائية، باءت بالفشل، ولم تسفر عن نتائج إيجابية في هذا الخصوص. وذكرت أنه "وقع في سورية خلال الأزمة المستمرة، 85 هجومًا بالأسلحة الكيميائية، واستنادًا إلى معطيات مصادر موثوقة، يمكن القول إنّ النظام هو المسؤول عن معظم تلك الهجمات".

(هيومن رايتس ووتش، 2018/4/4)

**2018/4/4** انتهت القمّة الثلاثية بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والروسي فلاديمير بوتين، والإيراني حسن روحاني، بخصوص الملف السوري، حيث جرى التشديد على أن "حل النزاع ممكن فقط من خلال عملية سياسية". وأكد بيان مشترك أن "تركيا وإيران وروسيا عازمة على تسريع وتيرة المساعي لضمان الهدوء على الأرض في سورية، وحماية المدنيين في مناطق عدم التصعيد". وأكد البيان المشترك للقمة الثلاثية الروسية – التركية - الإيرانية "دعم الدول الثلاث لسيادة ووحدة الأراضي السورية"، وأن الدول الثلاث تعرب عن "إصرارها على التصدي للأجندة الانفصالية في سورية"، مبرزًا أن "قادة الدول الثلاث يعتزمون الاستمرار في محاربة الإرهاب، ويؤكدون أهمية فصل الإرهابيين عن المعارضة المسلحة".

(العربي الجديد، 2018/4/4)

**2018/4/7** عقد رئيس الجمهورية التونسية، الباجي قايد السبسي، اليوم السبت بقصر قرطاج، اجتماعًا خماسيًا ضمّ كلًا من رئيس مجلس نواب الشعب، محمد الناصر، ورئيس الحكومة، يوسف الشاهد، والأمين العام للاتحاد التونسي للشغل، نور الدين الطبوبي، ورئيس الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية، سمير ماجول، لوضع خارطة طريق لتجاوز الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخانقة التي تمرّ بها البلاد تحت مظلة اتفاق "وثيقة قرطاج".

(الصباح التونسية، 2018/4/7)

**2018/4/7** قتل أكثر من 150 مدنيًا، وأصيب أكثر من ألف آخرين، بينهم نساء وأطفال، بحالات اختناق بالغازات السامة، نتيجة قصف قوات النظام مدينة دوما المحاصرة، في الغوطة الشرقية. وقال الدفاع المدني في ريف دمشق، إن قوات النظام استهدفت مدينة دوما ببرميل متفجر، يحوي غازات سامة؛ ما أدى إلى مقتل 40 مدنيًا وإصابة آخرين بحالات اختناق، قبل أن يعود ويعلن ارتفاع عدد القتلى نتيجة الهجمة الكيميائية إلى أكثر من 150، مضيفًا على حساباته الرسمية في مواقع التواصل الاجتماعي أن فرقه لم تتمكن من إحصاء عدد القتلى بسبب القصف المتواصل.

(موقع تلفزيون سوريا، 2018/4/7)

**2018/4/8** فاز خالد المشيري برئاسة المجلس الأعلى للدولة خلال جلسة التصويت الثانية، في المقر المؤقت للمجلس في العاصمة الليبية طرابلس. وفاز المشيري بـ 64 صوتًا، مقابل حصول منافسه الرئيس السابق، عبد الرحمن السويحلي، على 45 صوتًا خلال الجولة الثانية والأخيرة من التصويت، الذي نقلته القناة الليبية الرسمية. وانطلقت جلسة انتخاب رئاسة المجلس، بترشح السويحلي والمشيري، إضافة إلى عضوين آخرين هما محمد معزب وعبد الله جوان. وخلال الجولة الأولى خرج كل من معزب، حاصدًا 17 صوتًا فقط، وجوان الذي حصد 26 صوتًا، مقابل 37 صوتًا لـ "السويحلي"، و36 صوتًا لـ "المشيري".

(موقع عين ليبيا، 2018/4/8)

**2018/4/10** قضت محكمة النقض المصرية بقبول الطعن المقدّم من المعتقلين المحكوم عليهم بالإعدام شنقًا والسجن المؤبد والمشدّد، على خلفية اتهامهم في القضية المعروفة إعلاميًا باسم "خلية الوراق". وقررت المحكمة إعادة المحاكمة من جديد أمام دائرة أخرى مغايرة

للدائرة التي أصدرت حكم "أول درجة" المطعون فيه، بعدما ثبت للمحكمة وجود عوار في الحكم واستناده فقط إلى التحريات الأمنية التي لا تُعدّ دليلَ إدانة. وكانت محكمة جنايات الجيزة، أول درجة، قضت في 1 شباط/ فبراير 2017، بالإعدام شنقًا والسجن 70 عامًا على 9 معتقلين من رافضي الانقلاب العسكري، على خلفية اتهامهم في القضية المعروفة إعلاميًا باسم "خلية الوراق".

(العربي الجديد، 2018/4/10)

**2018/4/12** في مقابلة مع قناة فرانس 24 الناطقة باللغة العربية، هاجم نائب رئيس الحكومة اليمنية، وزير الداخلية، أحمد الميسري، التحالف الذي تقوده السعودية باليمن، وأشار إلى قيود تفرضها الإمارات على عودة الرئيس عبدربه منصور هادي، إلى مدينة عدن، جنوبي البلاد وأنها تراهن على "الجواد الخاسر".

(فرانس 24، 2018/4/12)

**2018/4/12** أعلنت وزارة الدفاع الروسية السيطرة الكاملة على غوطة دمشق الشرقية، وبدء دخول عناصر من الشرطة العسكرية الروسية إلى مدينة دوما، آخر معاقل المعارضة المهمّة في محيط دمشق، وفق اتفاقٍ أبرمته موسكو مع المعارضة السورية. ونقلت وكالاتُ أنباءٍ روسية عن الميجر جنرال يوري يفتوشينكو، رئيس ما يُسمى "مركز السلام والمصالحة الروسي في سورية"، قوله "يؤذن رفع علم الدولة على مبنى في مدينة دوما، بالسيطرة على هذا الموقع، وبالتالي على الغوطة الشرقية بالكامل".

(روسيا اليوم، 2018/4/12)

**2018/4/14** أعلن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، أنه أمر بتوجيه ضربات عسكرية إلى النظام السوري بالاشتراك مع فرنسا وبريطانيا للحد من قدرته على استخدام الأسلحة الكيميائية. وأضاف أن "الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا تكافح ضد الهمجية"، مؤكدًا أن "مصير سورية بيد السوريين".

(سي إن إن بالعربية، 2018/4/14)

**2018/4/17** جددت نيابة أمن الدولة المصرية حبس رئيس حزب "مصر القوية"، عبد المنعم أبو الفتوح، لمدة 15 يومًا احتياطيًا على ذمة التحقيقات التي تُجرى معه بمعرفة النيابة، على خلفية اتهامه بـ"نشر وإذاعة أخبار كاذبة من شأنها الإضرار بالمصالح القومية للبلاد، وتولي قيادة جماعة أنشئت على خلاف أحكام القانون، الغرض منها الدعوة إلى تعطيل أحكام الدستور، وتغيير نظام الحكم بالقوة، والإخلال بالنظام العام، وتعريض سلامة وأمن المجتمع للخطر".

(العربي الجديد، 2018/4/17)

**2018/4/17** قال المبعوث الأممي إلى اليمن، مارتن غريفيث، في أول إفادة له أمام مجلس الأمن الدولي، إنه سيضع خطة إطار للمفاوضات في اليمن في غضون شهرين، مشددًا على أن "حل النزاع في اليمن لن يتم إلا من خلال الحوار، وهو الخيار الأفضل". ودعا غريفيث كل أطراف النزاع اليمني إلى "التركيز على وقف الحرب والتخلي عن الشروط المسبقة"، مشيرًا إلى أن "بناء السلام مهمة طويلة الأمد، ولن يتحقق إلا بمشاركة واسعة"، داعيًا مختلف الأطراف إلى "التخلي عن الشروط المسبقة".

(الجزيرة نت، 2018/4/17)

**2018/4/18** قررت محكمة جنايات القاهرة المصرية برئاسة المستشار محمد شيرين فهمي، الملقب باسم "القاضي القاتل"، معاقبة عضو مجلس الشعب السابق، محمد البلتاجي، بالسجن سنتين بتهمة إهانة هيئة المحكمة.

(مصر العربية، 2018/4/18)

**2018/4/21** قرر حزب الاستقلال المغربي أمس الانتقال إلى المعارضة، وسحب المساندة النقدية للحكومة، التي يرأسها سعد الدين العثماني الأمين العام لحزب العدالة والتنمية ذي المرجعية الإسلامية. وجاء قرار الحزب خلال انعقاد مجلسه الوطني (برلمان الحزب) أمس في دورته العادية، والذي قرر أعضاؤه بالإجماع الاصطفاف في صفوف المعارضة.

(الشرق الأوسط، 2018/4/22)

**2018/4/23** أعلنت جماعة "أنصار الله" في اليمن (الحوثيون) مقتل القيادي البارز صالح الصمّاد بغارة لـ"التحالف العربي" ليكون الصماد أرفع قيادي للحوثيين يُقتل منذ تصاعد الحرب في البلاد. ونشرت وكالة الأنباء اليمنية الرسمية "سبأ"، بنسختها التي يديرها الحوثيون، بيانَ نعيٍ صادرًا عن "المجلس السياسي الأعلى" الذي كان الصمّاد يرأسه، حيث أكد البيان مقتله يوم الخميس 19 نيسان/ أبريل 2018، بغارة جوية لمقاتلات "التحالف" الذي تقوده السعودية، في محافظة الحديدة غرب البلاد. وأعلن الحوثيون أن "المجلس السياسي الأعلى"، الذي يمثل واجهة السلطة الأعلى في مناطق سيطرة الحوثيين، عيّن القيادي في الجماعة، مهدي المشاط، رئيسًا للدورة المقبلة، خلفًا للصماد.

(وكالة سبأ، 2018/4/23)

**2018/4/24** قضت محكمة الجنح العسكرية في القاهرة بحبس هشام جنينة، الرئيس الأسبق للجهاز المركزي للمحاسبات في مصر، وعضو حملة ترشح الفريق سامي عنان للرئاسة، لمدة 5 سنوات. اتهم المدعي العام العسكري جنينة بأنه خرق المادة 80/د من قانون العقوبات، والتي تدين كل مصري "أذاع عمدًا في الخارج أخبارًا أو بيانات أو إشاعات كاذبة حول الأوضاع الداخلية للبلاد، وكان من شأن ذلك إضعاف الثقة المالية بالدولة أو هيبتها واعتبارها أو باشر بأي طريقة كانت نشاطًا من شأنه الإضرار بالمصالح القومية للبلاد".

(العربي الجديد، 2018/4/24)

# الوقائع الفلسطينيّة

# Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي في المدة 1 آذار/ مارس – 30 نيسان/ أبريل 2018

**كلمات مفتاحية:** فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.

**Keywords:** Palestine, Israel, Arab - Israeli Conflict.

**2018/3/1** يسعى الاتحاد الأوروبي، بطلب من السلطة الفلسطينية، للتدخل من أجل الضغط على الولايات المتحدة الأميركية قبل أن تعلن عن خطتها لتسوية القضية الفلسطينية التي تعرف بـ "صفقة القرن"، لتعديل بنودها، على أن تتماشى مع قيام دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران/ يونيو 1967، عاصمتها القدس الشرقية.

(**الأيام** الفلسطينية، 2018/3/1)

**2018/3/2** خضع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في مقر عمله بالقدس لجلسة تحقيق استمرت خمس ساعات بخصوص تورطه في الملف "4000"، وخضعت زوجته سارة نتنياهو للتحقيق، أيضًا، في مكاتب وحدة لاهاف 433 في مدينة اللد بخصوص الملف "1000". ويرتبط نتنياهو وزوجته بشبهات فساد.

(عرب 48، 2018/3/2)

**2018/3/2** نفى القيادي في حركة حماس، عزت الرشق، الأخبار التي تدور عن احتجاز قادة الحركة في مصر، كما صرح بأن وفد الحركة ناقش التطورات السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، والمأساة الإنسانية التي يعانيها أهالي قطاع غزة، وملف المصالحة الفلسطينية، والعلاقة بين حركة حماس والإدارة المصرية.

(**القدس**، 2018/3/2)

**2018/3/3** اندلعت مواجهات شعبية في مناطق متعددة بالضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك في إطار الجمعة الثالثة عشرة لرفض قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب نقل السفارة الأميركية إلى القدس والاعتراف بها عاصمةً لإسرائيل، وقد نتج من المواجهات العديد من الإصابات بين الشبان الفلسطينيين.

(**القدس العربي**، 2018/3/3)

**2018/3/4** ذكرت مصادر إسرائيلية أن الوفد الأمني المصري في قطاع غزة لم تقتصر مباحثاته مع حركة المقاومة الإسلامية "حماس" على المصالحة الفلسطينية، بل إنها توسعت لتشمل قضايا عدة، من بينها تحذير الحركة من أي تصعيد تجاه إسرائيل، وتأتي هذه الزيارة بعد إصابة أربعة جنود إسرائيليين على حدود قطاع غزة.

(القناة الإسرائيلية الثانية، 2018/3/4)

**2018/3/5** وضعت الشرطة الإسرائيلية نير حيفيتز، المستشار الأسبق لعائلة رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، وشاوول إيلوفيتش، رجل الأعمال المقرب من نتنياهو قيد الإقامة الجبرية، لتورطهما في تهمة فساد متعلقة بالحصول على تسهيلات حكومية من رئيس الوزراء.

(فرانس 24، 2018/3/5)

**2018/3/5** ثبّت محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية، نائب حركة فتح محمود العالول، رئيسًا للحركة في حال غيابه عن المشهد الفلسطيني، وذلك خلال اجتماع المجلس الثوري الأخير للحركة.

(**الأخبار** اللبنانية، 2018/3/5)

**2018/3/5** صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، على هامش لقائه الخامس في غضون عامٍ رئيسَ الولايات المتحدة الأميركية دونالد ترامب، بأن قرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس تاريخي، وأن إسرائيل سوف تتذكره. في المقابل، صرح ترامب بأنه يدرس إمكانية زيارة إسرائيل لافتتاح السفارة في أيار/ مايو 2018.

(**وكالة سبوتنيك**، 2018/3/5)

**2018/3/6** أنهت المملكة العربية السعودية حظرًا استمر 70 عامًا على استخدام مجالها الجوي للطائرات المتوجهة إلى إسرائيل؛ وذلك بعد منح السعودية شركة طيران الهند "إير إنديا" إذنًا باستخدام مجالها الجوي.

(**وكالة سبوتنيك**، 2018/3/6)

**2018/3/6** واصلت حكومة الوفاق الوطني الفلسطيني التي يرأسها رامي الحمد الله، فرْض خصومات على رواتب الموظفين العموميين في قطاع غزة منذ نيسان/ أبريل 2017؛ وذلك وفق ما قال نقيب الموظفين العموميين، عارف أبو جراد: "إن حكومة التوافق فرضت خصمًا وصل إلى 50% من رواتب موظفي السلطة الفلسطينية في قطاع غزة".

(شبكة معًا الإخبارية، 2018/3/6)

**2018/3/6** صدّقت لجنة الداخلية في الكنيست الإسرائيلي بالقراءة الثانية مشروعَ قانون سحب إقامة الفلسطينيين المقدسيين منفذي العمليات، ويعطي مشروع القانون وزير الداخلية الإسرائيلي "سحب الإقامة الدائمة من سكان مدينة القدس الفلسطينيين الذين ارتكبوا اعتداءات وهجمات ضد إسرائيليين".

(عربي 21، 2018/3/6)

**2018/3/8** صرح الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، خلال لقائه المجلسَ التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا، بأن قرار الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، بشأن الاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، يعتبر خطأً حقيقيًا؛ لأنه سيساهم في تعقد الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

(**القدس العربي**، 2018/3/8)

**2018/3/9**، صرح مسؤول فلسطيني بأن ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، والرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، طالبَا الرئيس الفلسطيني، محمد عباس، بالقبول بمقترح الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، المسمى "صفقة القرن"، ويشير المصدر إلى أن على الرئيس الفلسطيني عدم تحدي الإدارة الأميركية.

(آي 24 نيوز، 2018/3/9)

**2018/3/11** ناقش المجلس الوزاري الأمني والسياسي الإسرائيلي المصغر (الكابينت) القراءة الأولى لقانون إعدام الأسرى الفلسطينيين، ويُذكر أنّ هذا القانون اعترضت عليه بعض المؤسسات الإسرائيلية للتخوف من آثار سلبية انتقامية في حق الإسرائيليين.

(عرب 48، 2018/3/11)

**2018/3/11** أصدرت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وثيقتها السياسية الجديدة التي تحدد فيها رؤيتها، وتنص على رفض الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها، وعلى أن الجهاد والمقاومة هما الخيار الوحيد للحركة، كما تنص على رفضها لكل القوانين والمواثيق الدولية، وعلى أن منظمة التحرير يجب أن تصبح كيانًا ديمقراطيًا لجميع الفصائل، وأكدت ضرورة مشاركة المكون المسيحي والمرأة، وعدم الالتفات إلى قضايا الطائفية في إطار مقاومة الاحتلال.

(**الحدث**، 2018/3/11)

**2018/3/12** اعتقلت قوات البحرية الإسرائيلية، عشرة صيادين فلسطينيين من قطاع غزة، وقامت بمصادرة قواربهم في البحر المتوسط القريب من مدينة رفح، وإطلاق النيران على زوارقهم على نحو كثيف، كما قامت بمصادرة عدة زوارق، ونقلت أولئك الصيادين إلى ميناء أسدود.

(**وكالة قدس نت للأنباء**، 2018/3/12)

**2018/3/12** أعلنت جهات فلسطينية عن عقد لقاء بين الملك الأردني، عبد الله الثاني بن الحسين والرئيس الفلسطيني، محمود عباس لبحث تنسيق الموقف الأردني والفلسطيني خلال القمة العربية المقبلة. وبحث الطلب الفلسطيني من الأردن أن يقف الأردن إلى جانب الرئيس عباس، إنْ قررت القمة العربية الضغط على السلطة الفلسطينية للقبول بصفقة القرن؛ وذلك في ظل تعرض الرئيس عباس لضغوطات سعودية ومصرية للقبول بالصفقة تحت عنوان "السلام الإقليمي".

(**رأي اليوم**، 2018/3/12)

**2018/13/13** تعرض موكب رئيس الـوزراء الفلسطيني، رامي الحمد الله، للاستهداف أثناء دخوله إلى قطاع غزة؛ وذلك إثر تفجير استهدف موكبه بعد دخوله عبر معبر بيت حانون شمال القطاع، وأكدت الشرطة الفلسطينية في القطاع أن الانفجار لم يسفر عن إصابات.

(الجزيرة نت، 2018/3/13)

**2018/3/14** التقى جاريد كوشنير، صهر الرئيس الأميركي ومستشاره للسلام في الشرق الأوسط، والمبعوث الخاص للرئيس الأميركي دونالد ترامب، جيسون غرينبلات في العاصمة الأميركية واشنطن، عددًا من ممثلي دول عربية وغربية ومنظمات دولية، بحضور مسؤولين إسرائيليين، لمناقشة الأزمة الإنسانية في قطاع غزة.

(**الوطن** الفلسطينية، 2018/3/14)

**2018/3/15** أعلن المؤتمر الاستثنائي لدعم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا" في روما، عن تعهدات بدفع 100 مليون دولار أميركي من قيمة العجز المالي التراكمي الذي تعانيه "الأونروا"؛ إذ وصل، بعد تخفيض الولايات المتحدة الأميركية قيمة مساهماتها، إلى 446 مليون دولار أميركي.

(**الأيام** الفلسطينية، 2018/3/15)

**2018/3/17** استجابت شركة "فيسبوك" لطلب تقدمت به نائبة وزير الخارجية الإسرائيلية، تسيبي حوطيبلي، بخصوص تعديل خريطة مدينة القدس؛ لتشمل الأحياء الاستيطانية التي أقامها كيان الاحتلال بعد عام 1967. وجاء طلب سلطات الاحتلال بعد تقديم المستوطنين في القدس شكاوى إلى الخارجية الإسرائيلية؛ نظرًا إلى عدم رؤيتهم الإعلانات التجارية للشركات الإسرائيلية على صفحاتهم في فيسبوك.

(قناة العالم، 2018/3/17)

**2018/3/18** أكدت سلطات الاحتلال أنها تسعى لجعل المستوطنات الأربع الواقعة في الأغوار مترابطة جغرافيًا، وذلك تمهيدًا لضمها وتحويلها إلى مدينة استيطانية ضخمة؛ بهدف إقامة المدينة الاستيطانية الأولى في منطقة الأغوار.

(**الأيام** الفلسطينية، 2018/3/18)

**2018/3/19** أكدت وزارة الاستيعاب والهجرة الإسرائيلية أنها قامت، في شباط/ فبراير 2018، بعملية نقل وتهجير لـ 400 يهودي من اليمن بواسطة طائرات مروحية إلى إسرائيل.

(**القدس العربي**، 2018/3/19)

**2018/3/20** حمّل الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، حركة المقاومة الإسلامية "حماس" المسؤولية عن استهداف موكب رئيس الوزراء، رامي الحمد الله، الذي وقع في غزة؛ وذلك في كلمته أمام القيادة الفلسطينية في رام الله، وقال إنه ستُتخذ عقوبات قانونية ومالية تجاه القطاع.

(روسيا اليوم، 2018/3/20)

**2018/3/23** ذكرت مصادر من حركة المقاومة الإسلامية "حماس" أن المشتبه فيه أنس أبو خوصة، المتهم بالتدبير لعملية تفجير موكب رئيس الوزراء الفلسطيني، رامي الحمد الله، قُتل إلى جانب عبد الهادي الأشهب؛ وذلك بعد ملاحقة أسفرت عن مقتل اثنين من الأجهزة الأمنية التابعة لحماس، هما زياد الحواجري وحماد أبو سويرح.

(**وكالة الأنباء الفلسطينية** "وفا"، 2018/3/23)

**2018/3/25** تنوي بلدية القدس التابعة لسلطات الاحتلال بناء 600 وحدة استيطانية جديدة في جبل المكبر، وتسعى البلدية لتوسيع مستوطنة "نوف زهاف"؛ وذلك إضافة إلى 350 وحدة كانت مقررة وفق المشروع نفسه عام 2017. وقال المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان، في رده على قرار بلدية الاحتلال: "إن نشاطات حكومة الاحتلال الاستيطانية لا تتوقف؛ ففي الأغوار

الشمالية تنوي تحويل أربع مستوطنات وبؤرة استيطانية إلى مدينة استيطانية على آلاف الدونمات".

(فلسطين الآن، 2018/3/25)

**2018/3/25** أشارت صحيفتا "إسرائيل اليوم"، و"جيروزاليم بوست"، إلى أن مجلس الشيوخ الأميركي أقر تمرير قانون مقترح من الرئيس الأميركي، دونالد ترامب "قانون تايلور فورس"، وهو الذي يمنع الخارجية الأميركية من تحويل مساعدات للفلسطينيين "ما دامت السلطة الفلسطينية تحول مخصصات لعائلات الأسرى والشهداء الفلسطينيين". وأضافت أن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو رحّب بهذا القرار.

(روسيا اليوم، 2018/3/25)

**2018/3/26** أجرى الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"؛ كتائب عز الدين القسام، مناورات عسكرية في قطاع غزة، تحت اسم "الصمود والتحدي"، وقد استمرت 24 ساعة، وشارك فيها 30 ألف عنصر، وأضافت المصادر أن الطيران الحربي الإسرائيلي ومضادات الصواريخ الجوية أعلنت حالة الاستنفار ردًا على هذه المناورات.

(فرانس 24، 2018/3/26)

**2018/3/27** أجرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي اتصالات أمنية سرية مع السلطة الفلسطينية والأردن ومصر، من أجل منع التصعيد المحتمل؛ بسبب مسيرة العودة التي دعا إليها ناشطون فلسطينيون، والتي تقوم على أساس توجه الفلسطينيين في هذه الدول إلى الحدود الفلسطينية وعبورها في ذكرى يوم الأرض.

(**إسرائيل هيوم**، 2018/3/27)

**2018/3/27** دعت حكومة الوفاق الوطني حركةَ المقاومة الإسلامية "حماس" إلى تسليم قطاع غزة تسليمًا كاملًا من دون تأخير، والتحلي بالمسؤولية الوطنية وتجنيب أهالي القطاع المزيد من ويلات الحصار، وتمكين الحكومة لمتابعة مسؤولياتها ومهماتها في مناحي الحياة كافة؛ من أجل مواجهة المخططات التي تهدد المشروع والقضية والهوية الوطنية.

(شبكة قدس الإخبارية، 2018/3/27)

**2018/3/28** قال رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، غادي آيزنكوت، إن بلاده أمام مواجهة عسكرية حتمية خلال هذا العام، مبينًا أن إمكانية التصعيد والمواجهة العسكرية مسألة وقت، وخاصةً على الساحة الفلسطينية، مؤكدًا أن الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة قابلة للانفجار في أي لحظة.

(عرب 48، 2018/3/28)

**2018/3/29** كشف الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني نتائج تعداد عام 2017 للسكان والمساكن، وأبرزها عدد الفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة الذي بلغ نحو 4.8 ملايين نسمة. وبين التقرير أن معدل البطالة وصل إلى 26.3 في المئة، وأظهر أن نحو 125 ألف مبنى في فلسطين إما خالٍ وإما مغلق، وأن 70 في المئة منها في الضفة الغربية.

(**القدس** الفلسطينية، 2018/3/29)

**2018/30/30** استشهد 15 فلسطينيًا في قطاع غزة، وأصيب أكثر من 1450 فلسطينيًا برصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي على وقع فعاليات الجمعة الأولى لـ "مسيرة العودة الكبرى"، وقد احتشد عشرات الآلاف من الفلسطينيين في قطاع غزة قرب الشريط الحدودي العازل، في حين أعلن الجيش الإسرائيلي كل المناطق المتاخمة للشريط الحدودي منطقةً عسكرية مغلقة.

(عرب 48، 2018/30/30)

**2018/3/31** فشل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في التمكن من الاتفاق على بيان مشترك؛ وذلك في جلسة طارئة خصصت لبحث مسيرة العودة التي انطلقت على الحدود بين قطاع غزة الأرض المحتلة، والتي استُشهد على إثرها 16 فلسطينيًا برصاص جيش الاحتلال، خلال تظاهرات بمناسبة "يوم الأرض".

(**الغد** الأردنية، 2018/3/31)

**2018/4/6** استشهد ثمانية فلسطينيين من بينهم طفل، وأصيب أكثر من ألف فلسطيني برصاص قوات الاحتلال، من بينهم نحو 250 في حالة حرجة؛ وذلك في شرق قطاع غزة قرب الحدود، مع انطلاق الجمعة الثانية لـ "مسيرات العودة الكبرى" التي أخذت اسم "جمعة الكاوتشوك"، في حين هدد جيش الاحتلال بقمع أيّ محاولة للَمس السياج الأمني على الحدود.

(الجزيرة نت، 2018/4/6)

**2018/4/13** انطلق الفلسطينيون في قطاع غزة، في الجمعة الثالثة على التوالي، في مسيرات العودة التي أُطلق عليها "جمعة رفع علم فلسطين وحرق علم إسرائيل". وقد شارك في المظاهرة جمع غفير من الفلسطينيين الذين ينتمون إلى عدد من المنظمات الوطنية والحقوقية، وبحضور واسع من وسائل الإعلام الدولية.

(عرب 48، 2018/4/13)

**2018/4/16** طلبت الحكومة الإسرائيلية من المخابرات المصرية التدخل؛ من أجل وقف تظاهر الفلسطينيين في قطاع غزة في "مسيرات العودة الكبرى"؛ وذلك مقابل فك الحصار عن القطاع، والبدء الفوري بمفاوضات تبادل الأسرى.

(القناة العبرية 13، 2018/4/16)

**2018/4/18** أفادت تقارير صادرة عن وزارة الصحة الفلسطينية إصابة خمسة فلسطينيين، من جراء قيام جيش الاحتلال الإسرائيلي بإطلاق النار عليهم بالقرب من مناطق شرق قطاع غزة؛ وذلك إبان المظاهرات التي يقوم بها الفلسطينيون ضمن فعاليات "مسيرة العودة الكبرى"

(**يديعوت أحرونوت**، 2018/4/18)

**2018/4/20** وصل عدد الشهداء الفلسطينيين في الجمعة الرابعة لمسيرات "العودة الكبرى"، التي أُطلق عليها "جمعة الأسرى" إلى أربعة شهداء، إضافةً إلى العديد من الجرحى الفلسطينيين.

(بي بي سي عربي، 2018/4/20)

**2018/4/21** اغتال مجهولون، الأكاديمي الفلسطيني والمحاضر الجامعي، فادي محمد البطش، أثناء توجهه إلى أداء صلاة الفجر في المسجد القريب من منزله، في مدينة جومباك شمال العاصمة الماليزية كوالالمبور. واتهم قيادي في حركة "الجهاد الإسلامي"، الموساد، بالوقوف وراء عملية الاغتيال. وقالت الشرطة الماليزية إنه تم اغتيال البطش، بـ "إطلاق نحو 10 رصاصات عليه، أثناء توجهه إلى أحد المساجد القريبة من منزله في العاصمة كوالالمبور، لأداء صلاة الفجر".

(**العربي الجديد**، 2018/4/21)

**2018/4/27** تتواصل فعاليات مسيرة العودة الكبرى في قطاع غزة، في الجمعة الخامسة على التوالي، وقد أطلق المشاركون عليها اسم "جمعة الشباب الثائر"، تأكيدًا لتمسكهم بمطالب المسيرة، وعلى رأسها حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم المحتلة، إلى جانب ضرورة كسر الحصار المفروض على غزة منذ أكثر من 11 عامًا.

(عربي 21، 2018/4/27)

**2018/4/28** استشهد ثلاثة فلسطينيين وأصيب المئات برصاص قوات الاحتلال الإسرائيلي، في الجمعة الخامسة لمسيرات العودة على الحدود الشرقية لقطاع غزة.

(**وكالة الأنباء الفلسطينية** "وفا"، 2018/4/28)

**2018/4/30** انطلقت أعمال الدورة 23 للمجلس الوطني الفلسطيني في مقر الرئاسة الفلسطينية بمدينة رام الله، على مدار أربعة أيام؛ وذلك لانتخاب لجنة تنفيذية جديدة لمنظمة التحرير، وعقدت الجلسة تحت عنوان "القدس وحماية الشرعية الفلسطينية"، بحضور وفود عربية وإسلامية ودولية، وبغياب حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وحركة "الجهاد الإسلامي"، وهما لا تعتبران من فصائل منظمة التحرير، كما قاطعت الجلسة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين".

(الجزيرة نت، 2018/4/30)

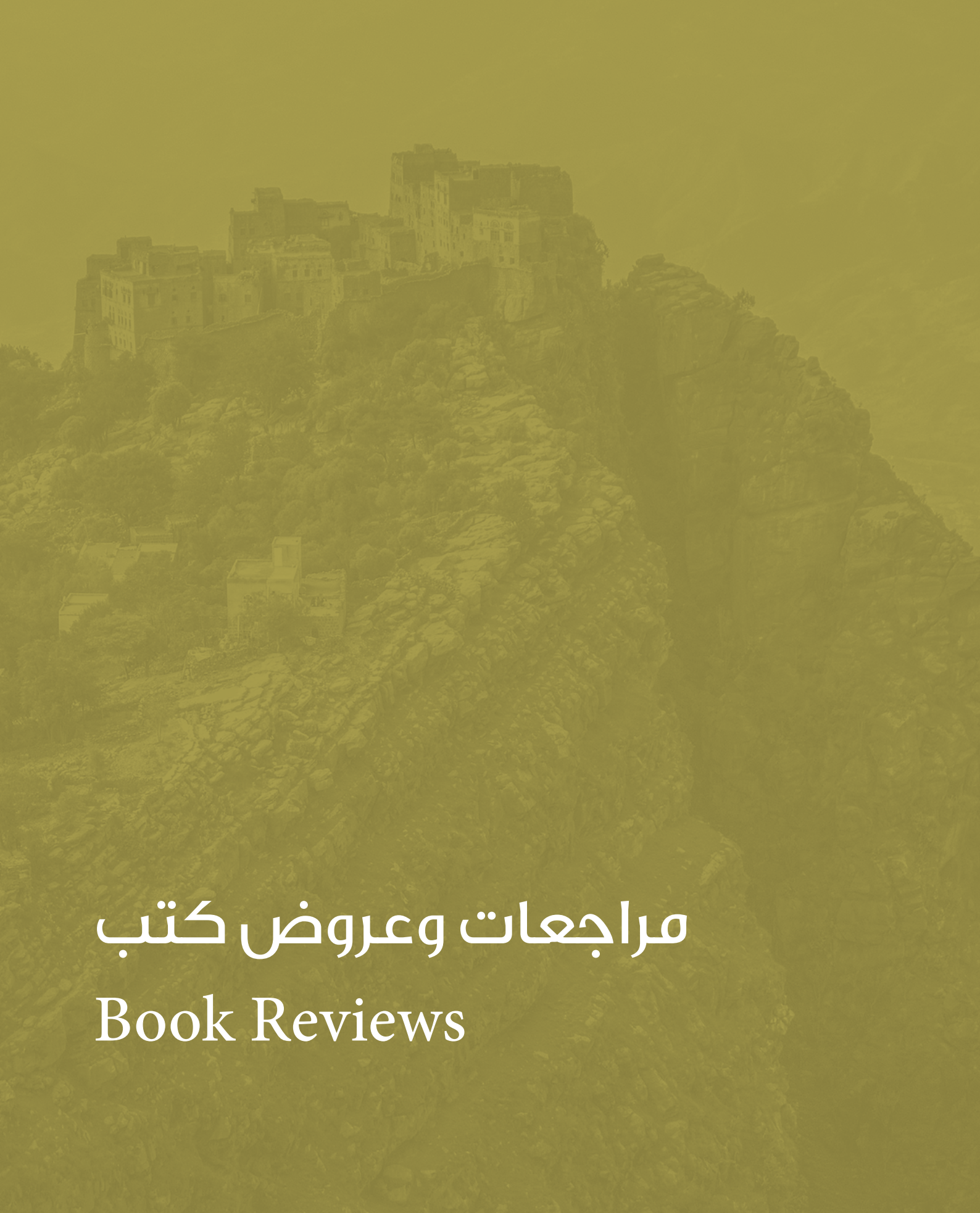

# مراجعات وعروض كتب

# Book Reviews

أحمد قاسم حسين | Ahmed Qasem Hussein*

# مقتربات القوة الذكية كآلية من آليات التغيير الدولي: الولايات المتحدة الأميركية أنموذجًا

# Smart Power Approach as a Mechanism for International Change: the case of USA

**عنوان الكتاب:** مقتربات القوة الذكية كآلية من آليات التغيير الدولي: الولايات المتحدة الأميركية أنموذجًا

**المؤلف:** سيف الهرمزي.

**سنة النشر:** 2016.

**الناشر:** المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

**عدد الصفحات:** 496 صفحة.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.

## مقدمة

يُعدّ مفهوم القوة من المفاهيم المركزية في العلوم السياسية؛ إذ حظي باهتمام واسع من دارسي العلاقات الدولية ومنظريها، خاصة أن دراسة النظام الدولي تقوم أساسًا على دراسة هيكله Structure وتوزيع القوة والنفوذ فيه، ما يؤثر في سلوك الدول المكونة للنظام وعلاقاتها. لقد ظهرت دراسات عديدة في هذا المجال تركز على قوة الدولة وقياسها من الناحية الكمية، وتأثيرها في محيطَيها الإقليمي والدولي، والبحث في خصائصها وأشكالها والتحول الذي تحدثه القوة سواء كانت صلبة Hard Power أو ناعمة Soft Power في السياسات الدولية. وفي هذا الصدد، صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب يرصد شكلًا جديدًا من أشكال القوة، "القوة الذكية" بوصفها آلية من آليات التغيير في النظام الدولي. يرتكز الكتاب على فرضية مفادها أنه كلما كان توظيف القوة الذكية الأميركية رشيدًا وعقلانيًا، كان التغيير الدولي في تحقيق الأهداف القومية العليا الشاملة ناجعًا.

ركز الباحث في الكتاب على دراسة حالة الولايات المتحدة الأميركية، وبحث مقتربات القوة التي اعتمدت عليها في التحكم في مسار التغيير في النظام الدولي وتحليلها لامتلاكها مقومات القوة الشاملة (العسكرية، والاقتصادية، والسياسية) التي تمكنها من ممارسة دورٍ وتأثيرٍ مباشرين في التفاعلات الدولية، على النحو الذي يحقق مصالحها القومية من ناحية، ويعزز موقعها بوصفها دولة قائدة ومهيمنة في النظام الدولي من ناحية أخرى.

يقع الكتاب في أربعة فصول؛ يعالج الكاتب في الفصل الأول الإطار المفاهيمي لمقتربات القوة الذكية والتغيير الدولي، في حين يركز في الفصل الثاني على القوة الذكية الأميركية وأصولها الفكرية ومقوماتها المادية. أمّا في الفصل الثالث، فيتناول الباحث توظيف القوة الذكية الأميركية بوصفها إستراتيجيا أداء. ويخصص فصلًا رابعًا لاستشراف مستقبل القوة الذكية الأميركية بين مشهدي التراجع والاستمرار.

## في تطور مفهوم القوة وقياسها

إن مفهوم القوة قديم ومرتبط بتطور الفكر السياسي؛ فقد تجسدت نماذج القوة المبكرة في مجموعة الحضارات الزراعية المرتبطة بأحواض الأنهار في مصر والصين والرافدين، وقد عرفت هذه المجموعة أقدم الأشكال القانونية للحكومة المركزية التي تمارس سلطتها الداخلية والخارجية، وقد نبعت قوتها وتدفقت من تفاعل عناصر عديدة تمثلت بـالقاعدة الأرضية، والموارد الذاتية، والفائض والحجم السكاني، والحكومة المركزية، وعناصر أخرى[1]. وربط أفلاطون في كتابه **الجمهورية** قوة الدولة بموقعها الجغرافي والأوضاع المرتبطة بالمناخ والتربة، وتتمثل القوة لديه بالجماعة التي تقوم بزراعة الأرض. وهذا النوع من الأرض هو الذي ينجب أشد السكان بأسًا وقوة وأكثرهم اعتدالًا، كما أن المفكر الإغريقي ثوسيديديس Thucydides أرجع الحروب البيلوبونيزية إلى القوة والخلل في توازناتها بين أثينا وأسبرطة.

أمّا صاحب كتاب **الأمير**، نيقولا ميكافيللي Niccolò Machiavelli في نصحه ووعظه الأمير، فطلب منه ألا يقيم أي اعتبار لوصم الناس له بالقسوة والجبروت، إن كان استخدام القوة يقود إلى وحدة رعاياه وولائهم. وهو ينصح بالتوقف عن استخدام أي معيار أخلاقي للحكم، واستخدام القوة بشكليها المادي "القهر" والمعنوي "الإقناع". أمّا رائد المذهب النفعي الأوروبي والليبرالية السياسية جيرمي بنثام Jeremy Bentham، فيعتقد أن القوة ووسائل استعمالها هي الأساس في حل المشكلات بين الشعوب، ما دامت العلاقات بين الدول ترتكز، على نحو أساس، على القوة وفق رؤية المفكر توماس هوبز Thomas Hobbes في كتابه **اللفياثان** *Leviathan*، فالمجتمعات تخضع للعبة المصالح القومية، وهي منظمة وتخضع لسلطة الدولة وقوتها، على عكس المجتمع الدولي الذي يتسم بأنه فوضوي ومجزأ (ص 47). وهو الافتراض الأساس الذي قامت عليه، فيما بعد، واحدة من أهم النظريات في العلاقات الدولية، النظرية الواقعية، بأن طبيعة النظام الدولي فوضوية Anarchy ، وأن التوازن والقوة هما ضمانا الاستقرار فيه، وأي خلل يصيب التوازن يقود إلى حروب وصراعات تفرض نوعًا جديدًا من توازن القوة، لذا فقد عرف المفكر الواقعي هانز مورغنثاو Hans Morgenthau صاحب كتاب **السياسة بين الأمم** القوة بأنها "قدرة الإنسان على التحكم في تفكير وأفعال الآخرين"[2]. أمّا منظر الواقعية الجديدة كينيث والتز Kenneth Waltz فقد وسع مفهوم القوة ليضم عناصر أخرى غير عسكرية، وحاول الربط بين قوة الدولة، وامتلاك عناصر مثل المساحة، والموقع الجغرافي، والموارد المائية والسكان ودرجة النمو الاقتصادي، والتطور العسكري. في المقابل، عرّفها جوزيف ناي Joseph S. Nye الذي يعود إليه الفضل في نحت مفهوم القوة الناعمة بأنها "قدرتك على التأثير في المحصلات التي تريدها، وأن تغير سلوك الآخرين عند الضرورة"[3].

---

1 عمر فاروق رجب، **قوة الدولة دراسات جيوستراتيجية** (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992)، ص 16.

2 شوكت سعدون، **عناصر قوة الدولة الاستراتيجي - النظري والتطبيقي** (عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2007)، ص 18.

3 المرجع نفسه.

وفي خضم تراكم التعريفات في المجالات السياسية والاجتماعية، يعرّف الكاتب القوة بأنها "مجموع الممكنات التي يملكها شخص ما أو مؤسسة أو دولة، وقدرتها على التأثير في سلوك الآخرين باتجاه فعل ما، أو التراجع عن فعل ما، من خلال الإجبار أو المساومة أو الإقناع، للحصول على الأهداف المرجوة" (ص 37)، مع تأكيد أن مفهوم القوة ما زال محل اختلاف وتناقض بين المختصين بالعلاقات الدولية؛ بسبب تعدد المعاني التي يتضمنها وتداخله مع عدد من المصطلحات المتناظرة. وهو ما عبّر عنه روبرت دال في كتابه **التحليل السياسي الحديث** في وصف المفاهيم المتداخلة والمقاربة لمفهوم القوة، كالتحكم والنفوذ والسلطة والقسر والقدرة، ويحاول في استعراضه لمفهوم القوة الإجابة عن التساؤل: لماذا يُعدّ تحليل القوة أمرًا معقدًا وليس يسيرًا؟[4] من خلال تفكيك المفاهيم المرتبطة به، كتوزيع القوة والجماعات التي تخضع للقوة، والمحيط والمجال، خاصة إن أردنا وصف توزيع القوة، لا بد من الإجابة عن السؤال التالي: التوزيع بالنظر إلى من، وبخصوص ماذا؟ وقد عرّف دال القوة بأنها "القدرة على حمل الآخرين على القيام بأشياء ما كانوا ليقوموا بها لولا ذلك"[5].

إن مفهوم القوة حركي غير ثابت، يدخل في تكوينه عدد كبير من العناصر المتغيرة المادية وغير المادية المترابطة. وقد انشغل عدد من دارسي العلوم السياسية بقياس قوة الدولة وعناصرها. وتستند محاولات قياس قوة الدولة إلى أساس العامل الديموغرافي والعامل السياسي والقوة الاقتصادية، وفي الحصيلة، قوة الدولة العسكرية. وقد برز منظور أدق سعى لقياس قوة الدولة من خلال ممارسة القوة التي تتكون من ثلاثة عناصر: الثروة، وسيطرة الدولة على البيئة الدولية، والمكانة. ولعل أهم محاولة لقياس قوة الدولة التي أضافت منظورًا جديدًا في تحليل ظواهر العلاقات الدولية والعناصر الداخلة في تفاعلاتها وتفسيرها، هي ما يسمى بـ "قانون كلاين" نسبة إلى راي كلاين Ray-Clin الذي قام بحساب القوة الشاملة للدولة على النحو التالي:

**القوة الشاملة**= (الكتلة الحيوية + القدرة الاقتصادية + القدرة العسكرية) * (الإستراتيجيا القومية + الإرادة القومية)

$$Pp = (C+E+M) * (S+W)$$

إن معادلة كلاين لقياس قوة الدولة ليست المساهمة الوحيدة في قياس قوة الدولة، فهناك ما يسمى بـ "أسلوب كوهين" الذي يعتمد على خمسة عوامل في تحديد قوة الدولة ودراستها، وهي: العوامل الاقتصادية والعسكرية والجغرافية والنفسية والسياسية. ويضاف إليه نموذج كلاوس نور Klaus Knorr الذي ركز على الموارد الاقتصادية. كما حاول كليفورد جيرمان، في عام 1960، طرح مؤشر أكثر تنوعًا لقياس قوة الدولة من حيث العناصر التي تتشكل منها القوة، كما هو مبين في المعادلة التالية[6]:

قوة الدولة = القدرات النووية * (الأرض + السكان + التقدم الصناعي + قوة الدولة العسكرية)

$$G= N*(L+P+I+M)$$

جدير بالذكر أن عددًا من الانتقادات تم توجيهه إلى قياس تأثير القوة؛ منها أن معيار قياس قوة الدولة يتجاهل الازدواجية في استخدام القوة الشاملة في الأحلاف والاتفاقات في العلاقات الدولية، كما أنه من الصعب تحديد أنواع الثروات والموارد التي يمكن تصنيفها في مقياس عام للقوة، وصعوبة قياس القوة الكامنة التي لا يمكن التعرف إليها من خلال استخدامها فعليًا، ولم يعد في الإمكان حساب قوة الدولة، كما جادل جوزيف ناي في كتابه **القوة الناعمة**، اعتمادًا على العناصر المادية فحسب، العسكرية منها أو الاقتصادية؛ إذ إن تقدم العلم والتكنولوجيا له آثار متناقضة في القوة المادية، وظهور عدد من التهديدات الأمنية كالإرهاب، والجرائم الدولية، وانتشار الأوبئة والأمراض السارية التي تتطلب امتلاك موارد القوة الناعمة لمواجهتها والتصدي لها[7].

## القوة الذكية آلية للتغيير الدولي

إن مفهوم القوة مفهوم مركب بطبيعته. وإن امتلاك عوامل القوة لا يكفي كي تكون الدولة مؤثرة. وبناء عليه، لا يمكن اختزال المفهوم في تفسيره تفسيرًا مجردًا من دون الخوض في المسميات التي تطلق عليه بين الحين والآخر، ومنها مصطلح القوة الذكية الذي دخل علم السياسة حديثًا من الرافد الفكري نفسه الذي أطلق مصطلح القوة الناعمة، جوزيف ناي.

إن القوة الذكية هي مزيج، من حيث التركيبة، بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، وأشد فاعلية من القوتين منفردتين. وقد عرّفها ناي بأنها "القدرة على الجمع بين القوتين الصلبة والناعمة في إستراتيجيا

4 روبرت دال، **التحليل السياسي الحديث**، ترجمة علاء أبو زيد، ط 5 (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993)، ص 36.

5 Robert Dahl, "The Concept of Power," *Behavioral Science*, vol. 2, no. 3 (July 1957), p. 202.

6 F. Clifford German, "A Tentative Evaluation of World Power," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 4, no. 1 (March 1960), pp. 138-144.

7 Joseph S. Nye, *Smart Power*, Adele Oliveri (trans.), (Bari: Gius.Laterza & Figli, 2012), pp. 38-45.

واحدة للتأثير في الآخرين" (ص 57)، والواقع أنها جاءت ردة فعل داخلية من المؤسسات الفكرية والأميركية لتصحيح المسار في الإستراتيجيا للحفاظ على التحكم الأميركي في السياسات الدولية وسيطرته عليها؛ ما يعني أن طرح ناي حول القوة الناعمة والقوة الذكية اللتين تعدّ الجاذبية والإقناع والاستقطاب أهم مصادرهما، ليس محايدًا على الإطلاق، لذا يجب أخذه بشيء من الحيطة والحذر، ولا سيما إن عرفنا أن الرجل ليس باحثًا وأكاديميًا منعزلًا عن الشأن السياسي عندما صاغ أفكاره حول القوة الناعمة؛ فقد سبق له أن تولّى مسؤوليات رسمية في الإدارة قبل أن يتفرغ مجددًا للعمل الأكاديمي، حاملًا معه هواجسه السياسية، وقد كتب عن القوة الناعمة والذكية في سياق تربع الولايات المتحدة على قمة هرم النظام الدولي، في ظل صعود قوى جديدة منافسة (الصين، وروسيا، والاتحاد الأوروبي)، وانصب همه وتركزت غايته على استمرار الولايات المتحدة في الهيمنة على النظام الدولي[8].

وفي الحصيلة، إن القصد من سياسة القوة الذكية التي طغت على معالم التحركات الأميركية من أقوال وأفعال في العلاقات الدولية، هو استعادة القدرة القيادية العالمية للولايات المتحدة، من خلال الاستخدام المـرن لوسائل السياسات جميعها، بما فيها السبل الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والقانونية والثقافية. ولكن، هل ينطبق ذلك على إدارة الرئيس دونالد ترامب الذي رفع شعار "Make America Great Again" وسلوكه الخارجي القائم على منطق تجاري في تعامله مع السياسة الدولية؟ وهل ستساهم الولايات المتحدة في استخدام القوة الذكية في ضبط التغيير في بنية النظام الدولي في ظل السياسات الحمائية التي يتبعها؟

عند استقراء تاريخ العلاقات الدولية، نجد أن التغيير الدولي International Change ما انفك يتجلى في صعود الإمبراطوريات والأمم وهبوطها، ومع اختلاف آليات التغيير التي تشمل الآليات الصلبة ممثلة بالقوة المادية العسكرية، وهي الأقدم استخدامًا على مر العصور، والآلية الناعمة وهي القوة الناعمة. وعلى الرغم من أن الكاتب قد سلط الضوء في هذا القسم على الإطار المفاهيمي للقوة، فإنه لم يتعمق في تناول مسألة التغيير في النظام الدولي وفق مداخل نظرية واضحة، فقد حاولت نظريات العلاقات الدولية شرح التحول في القوة في النظام الدولي وتفسيره وبيان أثره في تغيير بنيته (أحادي القطبية، وثنائي القطبية، ومتعدد الأقطاب)؛ فالواقعية، مثلًا، على خلاف النظرية الليبرالية، تهمل الاختلافات الثقافية بين الدول، والاختلافات في نوع الأنظمة الحاكمة، لأن النظام الدولي يخلق الحوافز الأساسية نفسها للقوى العظمى، سواء كانت قانعة أو غير قانعة وفق نظرية تحوّل القوةPower Transition، في السعي لامتلاك القوة وتغيير النظام بما يخدم مصالحها القومية، سواء كانت ديمقراطية أو أوتوقراطية أو استبدادية. أمّا المنظور البنائي فلا يفسر التغيير في النظام الدولي بالبنى المادية وبتوزيع القوة "صلبة، وناعمة" ومستوى القدرات، بل إن التغيير يحدث بسبب تغيير المعايير الاجتماعية القائم عبر المؤسسات الدولية والقانون والحركات الاجتماعية.

## في الأصول الفكرية للقوة الذكية الأميركية

يُعدّ انتقال القوة من دولة مهيمنة إلى دولة أخرى نمطًا تاريخيًا مألوفًا. لكن ما يثير الحيرة والأسئلة لدى المفكرين الإستراتيجيين أو صناع القرار الأميركي هو نمط انتشار القوة بوتيرة متفاوتة في القرن الحادي والعشرين، وعادة ما يدور الجدل في أذهان المفكرين الإستراتيجيين الأميركيين والمهتمين بحقل العلاقات الدولية حول قوة الولايات المتحدة وقدرتها على الاستمرار في "الانحدار الأميركي المفترض"، في ظل صعود قوى دولية منافسة "الصين، وروسيا، والاتحاد الأوروبي". وبناء عليه، فإن الهدف الأساس من القوة الذكية الأميركية الجديدة هو الوقوف أمام التحديات التي تأتيها نتيجة التحولات في النظام الدولي.

لا شك في أن الساسة الأميركيين قد تأثروا كثيرًا بالمدارس الفكرية في العلاقات الدولية، بدءًا من المدرسة الواقعية والواقعية الجديدة والليبرالية والليبرالية الجديدة، ولكن الجدير ذكره، أنهم لم يأخذوا بمنطق "النظرية الكبرى" كما أوضح الكاتب في بحثه في الأصول الفكرية للقوة الذكية، ولا سيما أن منطق "النظرية الكبرى" في حقل العلاقات الدولية مفيد من الناحية الأكاديمية في دراسة تطور الظواهر الدولية وفهمها. ولكن، تبدو الحاجة ماسة في العمل السياسي والدبلوماسي إلى الأخذ بالانتقائية التحليلية[9] لمساعدة صانع القرار في التوظيف الأمثل لمقومات القوة الذكية التي ترتكز على الجمع بين القوتين الصلبة والناعمة في إستراتيجيا واحدة للتأثير في الآخرين. وهو ما عكسته إستراتيجيا الأمن القومي الأميركي لعام 2017[10]. كما تسهم مؤسسات الفكر والبحث أو ما أسماه الكاتب بخزانات الفكر

8 رفيق عبد السلام، **الولايات المتحدة الأميركية بين القوة الصلبة والقوة الناعمة** (بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015)، ص 11.

9 محمد حمشي، "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية"، **سياسات عربية**، العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017)، ص 40-54.

10 National Security Strategy of the United States of America, December 2017, accessed on 21/5/2018, at: https://goo.gl/Tgomoz

Think Tanks في التأثير في السياسة الخارجية الأميركية، وتقديم الأفكار والمشورة الجديدة لصانع القرار تجاه العديد من القضايا السياسية المحلية والدولية. كما تمثل الإطار المؤسساتي للتنظير في توظيف القوة الذكية الأميركية في إدارة التغيير في النظام الدولي وضبطه؛ إذ يوجد في الولايات المتحدة نحو 1816 مؤسسة فكر ورأي، أهمها مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ومعهد بروكينغز بوصفه أقدم خزان فكري أميركي تأسس عام 1916، وقد كان تركيزه منصبًا في البدايات على السياسات الاقتصادية والاجتماعية المحلية، وبعد الحرب العالمية الثانية أضيفت إلى اهتماماته الدراسات الدولية، ومؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، ومؤسسة راند، ومؤسسة هيريتيج.

## مقومات القوة الذكية الأميركية

تقوم السياسة الخارجية الأميركية على المصالح وتعزيز المكانة العالمية بما يحقق لها الريادة في قيادة العالم، ويحقق لها تزعم هرم النسق الدولي، والتفوق على باقي الدول المنافسة لها؛ فالفكر الإستراتيجي الأميركي يرى أن العالم يبحث عن قائد سياسي، وأن الولايات المتحدة هي القائد، وسيطرتها تعني الاستقرار الدولي نظرًا إلى امتلاكها مقومات القوة الذكية؛ وأهمها:

### 1.المقومات الثقافية

فتح الفراغ الأيديولوجي والقيمي والجيوستراتيجي لما بعد الحرب الباردة الباب على مصراعيه لإعادة التفكير في اللجوء إلى المتغير الثقافي لمحاولة فهم التحولات السريعة التي مر بها العالم. وفي الحصيلة، جرى توظيف الثقافة الأميركية العليا والشعبية لإنتاج قوة ناعمة ذات تأثير واضح، اعتمادًا على شيوع اللغة الإنكليزية لغة التخاطب اليومي، ولغة التجارة والأعمال، وذلك بحكم وراثتها من الإمبراطورية البريطانية. وهناك ملايين يحاكون الأنموذج الأميركي في المأكل والملبس وتقليد المنتج الأميركي؛ فالثقة بالصناعة الأميركية جعلت الملايين يقتنونها لتميزها بالجودة والتقنية العالية. كما يُعدّ الإعلام المرئي والمسموع والأفلام الأميركية في المرتبة الأولى في العالم من حيث الإنتاج، فضلًا عن أن الولايات المتحدة تستحوذ على 62 في المئة من أهم العلامات التجارية العالمية، وهو ما يوضح القوة الثقافية للتسويق الاقتصادي الأميركي في العالم. يضاف إلى ذلك تشجيع وزارة الخارجية الطلاب الأجانب على المجيء إلى الولايات المتحدة عبر برامج متعددة، أهمها برنامج فولبرايت للمنح الدراسية، خصوصًا في مجال الطب والتكنولوجيا، وفي تخصصات دقيقة جدًا قلّما تتوافر في دول أخرى.

### 2.المقومات العسكرية

طورت الولايات المتحدة بناءها الإستراتيجي ونظامها الحربي ليتلاءما مع الأهداف السياسية للدولة. وتنقسم تشكيلات الجيش الأميركي كالتالي: تشكيلات دائمة تتكون من ثلاثة قادة جيوش وأربعة فيالق وخمس عشرة فرقة مدرعة وآلية اقتحام، ومن قوات غير دائمة تتكون من ثماني فرق حرس وطني، واثنتي عشرة فرقة جيش احتياطي، تتوزع على قوات برية وبحرية وجوية ومشاة وبحرية، وتنشر في العالم أربع مجموعات حاملات طائرات قتالية، وأنشأت في 2007 قيادة عسكرية مستقلة للقارة الأفريقية في المغرب. وتحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى على مستوى العالم في مجال امتلاك القدرات النووية؛ إذ تملك 2150 رأسًا نوويًا، إضافةً إلى 1950 رأسًا نوويًا إستراتيجيًا و2000 رأس غير إستراتيجي. كما أنها تحتل المرتبة الأولى من ناحية إنتاج السلاح وتصديره من خلال المجمع الصناعي العسكري الذي يضم عددًا كبيرًا من الشركات التي تختصّ بصناعة الأسلحة والتكنولوجيا الحربية.

### 3.المقومات التكنولوجية

باتت القدرة التكنولوجية من أهم معايير القوة؛ فصناعة الغد هي صناعة المادة الرمادية: مايكرو إلكترونيك، والبيو تكنولوجيا، وبرامج الكمبيوتر والرقائق المعلوماتية والروبوتات والاتصالات. وتحتل الولايات المتحدة موقع الصدارة العالمية في امتلاك القدرات التقنية، وتشغل المرتبة الأولى في التقدم التقني؛ فهي الأسرع في مجالي الابتكار واستغلال التقنيات الحديثة. ويقدّر ما تخصصه سنويًا للبحوث العلمية والتطور التقني بمجموع ما تنفقه الدول الصناعية السبع، ولها 50 في المئة من براءات الاختراع المودعة في العالم، و30 في المئة من المنشورات العلمية العالمية، وأكثر من نصف الأقمار الاصطناعية، و90 في المئة من الفائزين بجائزة نوبل في الكيمياء والعلوم والاقتصاد. وتحتل المركز الأول في إنتاج الإلكترونيات، أي بنسبة 40 في المئة مقابل 27 في المئة في اليابان، وتمتلك 228 مليون جهاز لاب توب في العالم وأكثر من 100 مليون جهاز، بنسبة 45 في المئة من الأجهزة في العالم. كما أن سوق الحواسيب الصغيرة اللوحية "التاب" تعادل 36 في المئة من حجم السوق العالمية (ص 172).

### 4.المقومات الاقتصادية

تتأكد أهمية الاقتصاد في عقول المفكرين والمتخصصين الأميركيين بوصفه المركب الأهم بين مركبات القوة الأخرى. وقد وصف والتز راسل ميد الجانب الاقتصادي الأميركي بأنه القوة اللزجة التي تتألف من مجموعة من المؤسسات والسياسات الاقتصادية التي

تجذب الآخرين نحو النفوذ الأمـيركي، ثم توقعهم في فخها (ص 175). الاقتصاد الأميركي في حالة نمو، وإن هناك معدلًا متوازنًا للنمو ومتصاعدًا وطويل الأمد، وقد بلغ الناتج القومي الإجمالي التقريبي لعام 2013، 16 تريليون دولار، فقد مثّل قطاع الزراعة 1.2 في المئة من الناتج القومي الإجمالي، ومثّل قطاع الصناعة 9.1 في المئة منه، أمّا النسبة الأعلى المساهمة في الناتج القومي، فتتمثل بقطاع الخدمات 79.7 في المئة (ص 178). ويُعدّ الدولار الأميركي عملة دولية محل ثقة ومؤشرًا حقيقيًا لاستقرار قيمة النقد. وهو العملة المحورية الرئيسة في التعاملات الدولية. وهو عملة الاحتياط الدولية، إلى جانب كونه العملة المقبولة في التسويات التجارية الدولية جميعها.

## الدوافع المبلورة للقوة الذكية الأميركية

يقسم الكاتب أهم الدوافع التي قادت صانع القرار الأميركي إلى اعتماد مشروع القوة الذكية، كالتالي:

- الإخفاق العسكري الأميركي في أفغانستان والعراق: نجمت عنه خسائر مادية وبشرية في صفوف الجيش الأميركي، ولم تحقق الولايات المتحدة أهدافها في كلا البلدين؛ ما جعل هيبتها العسكرية بوصفها قوة عظمى على المحك، فقد أفقد الاستخدام المفرط للقوة أميركا قوتها الناعمة.
- التراجع الاقتصادي الأميركي والأزمة المالية العالمية: أصيبت الولايات المتحدة بتدهور مالي حاد بسبب تزايد النفقات العسكرية وتفاقمها بفعل الأزمة المالية التي أثرت في الاقتصاد العالمي، وأثر ارتفاع معدل الدّين العام، مقابل ازدياد الإنفاق العسكري والمدني؛ فقد بلغ في تشرين الثاني/ نوفمبر 2012 تحديدًا، 16.5 تريليون دولار. وهو الحد الأقصى للدّين الذي أقره الكونغرس في شباط/ فبراير 2010 ويفوق الناتج الإجمالي الأميركي الذي بلغ 15.4 تريليون دولار في التاريخ نفسه.
- من تحول القوة إلى انتشار القوة: يمثل عالم اليوم اختبارًا للتحديات التي تواجهها القيادة الأميركية، وتتطلب المشكلات والتحديات كلها، بدءًا من أعمال العنف المتطرفة، ومرورًا بالكساد العالمي والتغيير المناخي وانتهاءً بالفقر، حلولًا جماعية، ولا سيما أن القوة أصبحت أكثر توزيعًا وانتشارًا بفضل سهولة الاتصال والانفتاح الإلكتروني وحرية السوق. وقد ساهم ذلك في انتشار القوة الذي لم يعد مقتصرًا على القوى الكبرى أو الصاعدة، بل تجاوز ذلك إلى أطراف فاعلة غير تابعة لدول، يكون لها الفكر والقوة لتحقيق ضربات مهمة ضد المصالح الأميركية ومصالح قوى كبرى أخرى.

## القوة الذكية الأميركية إستراتيجيا أداء: المتضمنات الاقتصادية والتوظيف والتحديات

يحتاج توظيف القوة الذكية إلى استيعاب التحديات، وفي الحصيلة المعوقات، سواء كانت من جانب من الدول التي تمثل القوة المنافسة في النظام الدولي أم الفاعلين غير الدوليين، كالجماعات الراديكالية وحتى الشركات المتعددة الجنسيات التي لها تأثير في الدول، ولا سيما في الجانب الاقتصادي. وبناء عليه، فإن القوة الذكية هي بمنزلة مقدمة لتحويل الأفكار إلى أداء عملي من أجل الخروج من الركود السياسي، إن لم يكن التراجع الذي أصاب الولايات المتحدة، فالأداء الإستراتيجي الجديد يجب أن يجعل "الأمة الأميركية" القوة الأولى في العالم ويحافظ عليها، ويُعدّ لها برنامجًا لتجاوز الإخفاقات والأخطاء التي شابت الإستراتيجيا الأميركية الشاملة أو أدوات التطبيق.

إن من أهم المحفزات التي ترنو إليها أي إستراتيجيا وأي أداء إستراتيجي هو الجدوى والأرباح الملموسة التي لعل أهمها تلك المتعلقة بالاقتصاد؛ فالقدرة الاقتصادية والمـوارد الطبيعية أهم التصميمات الخطية لإستراتيجيا الشؤون الخارجية، وتوظيف القدرة الاقتصادية الأميركية الأكبر في العالم، عبر الأدوات الاقتصادية (المساعدات الخارجية، والتجارة، والسياسة المالية، والعقوبات الاقتصادية)، وفي الحصيلة، تمثل المتضمنات الاقتصادية أهم مكامن قوة التوظيف الذكي الأميركي، وتمثل في الوقت نفسه، الدافع لسد فجوة الخلل والضعف والتراجع في المجال الاقتصادي، بوصفها وصفة ذات بعدين: أولهما مؤقت لمعالجة الاختلالات، وثانيهما مستقبلي وبعيد المدى ويعتمد على التوقعات والمحاكاة الفعلية التي تعتمدها المنظومة الرأسمالية على نحو واضح، وتنتهجها الولايات المتحدة.

وتكمن أهم الوسائل التي تميز الأداء الإستراتيجي الأميركي في إدارة التغيير عبر القوة الذكية في: العولمة الاقتصادية أو اقتصاد السوق، وهي وسيلة مادية صلبة؛ فالمصالح الاقتصادية هي ما يحرك الولايات المتحدة، وكل قرار سياسي أو تحرك عسكري دولي لا يكاد ينفصل عن المنافع والعائد الاقتصادي. وفي الحصيلة، فإن الحقيقة التي يجب تأكيدها أن العولمة الاقتصادية وسيلة لإدارة التغيير الدولي، بناء على اعتبارات مهمة، وهي القوة الاقتصادية الأميركية، وهذا يقود إلى الوسيلة الثانية وهي الديمقراطية؛ إذ إن تبني شعار نشر الديمقراطية في حقيقته محاولة لإسباغ الشرعية أو الصفة المثالية على المصالح

الأميركية الاقتصادية. أمّا الوسيلة الثالثة، فهي الوسيلة العسكرية الصلبة والأقدم لتحقيق الأهداف، وأصبحت في الأداء الإستراتيجي الأميركي أداة الضرورة والخيار الأخير؛ ما يعني أن الأداء الإستراتيجي الأميركي في إدارة التغيير الدولي يقوم على توظيف مركب للقوة الذكية في تعاملها مع التغيرات في المنطقة العربية، خاصة في تونس ومصر وليبيا وسورية، إضافة إلى إيران وكوريا الشمالية. كما تعمل الولايات المتحدة على توظيف القوة الذكية في إطار ضبطها للتغيير الدولي نتيجة لصعود قوى دولية، كالصين وروسيا والاتحاد الأوروبي.

## مستقبل القوة الذكية بين التراجع والاستمرار

يضع الكاتب مشهدين لمستقبل القوة الذكية الأميركية؛ هما التراجع والاستمرار. ففي قراءة مشهد التراجع وانحسار القوة الذكية الأميركية يسلط الضوء على ما أسماه "غياب العدو الإستراتيجي" الذي يُعدّ مدخلًا إلى فهم الصراع الفكري بين النظريات والتطبيق على مستوى الأداء الإستراتيجي الأميركي الذي ارتكز في مرحلة ما بعد الحرب الباردة على نظريات تبرز التفوق الأميركي وانتصار الأنموذج الليبيرالي، فقدم فرانسيس فوكوياما نظرية "نهاية التاريخ" للتعبير عن نشوة النصر الأميركي أمام تفكك الاتحاد السوفياتي. وهي نظرية عبّرت في فحواها عن الفرصة السانحة لأميركا للانفراد بالنظام العالمي (الأحادية القطبية)، وعن توقف التاريخ عند هذه النقطة من النصر. كما قدم صموئيل هنتنغتون نظرية جديدة هي نظرية "صدام الحضارات" التي تبناها المحافظون الجدد بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. ورأوا أن الصدام الحضاري المحتوم والعدو المنشود يتمثلان بالعدو الأخضر "الإسلام الأصولي" الذي يقف ندًا للحضارة الغربية المسيحية. بيد أن الإخفاق والاضطراب الإستراتيجيين وما صاحبهما من موجات ارتدادية للحرب الوقائية في التعامل مع الحزبين في بلدين نائيين، إلى جانب التراجع الاقتصادي الذي جعله الكاتب عاملًا مهمًا في تراجع القوة الذكية الأميركية، بسبب التكلفة المادية والبشرية والمعنوية للحرب على الإرهاب، وتارة بسبب الأزمة المالية العالمية عام 2008، كانت كلها باعثًا على البحث عن مراجعات جديدة تصب في مساعي رأب الصدع، وعن نظرية جديدة تعبر عن الإرباك الإستراتيجي. وهكذا دخلت نظرية القوة الناعمة.

وجاء التغيير الإستراتيجي لمقتربات القوة الذكية الأميركية حاملًا تركة ثقيلة، معتمدة على القوة الناعمة وفق تكتيك جديد يعتمد على الذكاء والمهارة، ويقوم على دمج القوتين الناعمة والصلبة بوصفه السبيل لتجاوز مرحلة الخطر، والأساس لحل المعضلة الإستراتيجية؛ ما يتطلب ضرورة إحلال الأداء السلمي محل الأداء الصلب الخشن بوصفه نتاج عصارة فكرية لمجموعة من التفاعلات والديناميات في النظام الدولي.

أمّا مشهد الديمومة والاستمرارية، فيبدو من الواقع الدولي أن هيكل القوة في العالم ما عاد عسكريًا في الدرجة الأولى كما كان إبان القطبية الثنائية، وعالم ما بعد الحرب الباردة، وأن هيكل القوة في ظل التغيير الدولي المتسارع الذي يتمثل بالاقتصاد "البنية التحتية" والتكنولوجيا والقوة العسكرية التي تمثل بمجموعها القوة السياسية "البنية الفوقية"، وأن ديمومة الخيار بالاعتماد على دينامية القوة الذكية التي تتعامل مع مركبات القوة الصلبة والناعمة، كل ذلك يجعلها مرشحة في المستقبل القريب، وحتى المتوسط، لاعتماد الخيار الأمثل للأداء الإستراتيجي الأميركي.

## خاتمة

إن نجاح الولايات المتحدة في التحكم في النظام الدولي وضبط التغيير فيه يقاس بالتحسن التدريجي للأزمات والمشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإستراتيجية المتنوعة. ولا شك في أن الدور الأميركي في المدى المنظور ما زال مركزيًا بالنسبة إلى حل العديد من الأزمات الدولية في مناطق عديدة من العالم. وهو ما قد يستنزف مصادرها المادية والنفسية إذا لم تتعلم التمييز بين ما عليها أن تفعله، وما ترغب في القيام به وهو فوق طاقتها وقدرتها[11]. لذا، تأتي أهمية الكتاب في كونه مراجعة ومقاربة جديدة للأداء الإستراتيجي الأميركي بعد الإخفاقات العسكرية والتوسع في الاستخدام المفرط للقوة الصلبة التي أثرت في جاذبية الولايات المتحدة إبان رئاسة جورج بوش الابن، إذ ركزت المراجعة على مفهوم القوة الذكية التي تقوم على الاستثمار الأمثل للقوة الشاملة. لكن، جاء التركيز على استخدام القوة الذكية وتوظيفها من جانب إدارة باراك أوباما في ظل مراجعات شاملة لمعالجة حالة الإرباك الإستراتيجي بسبب التوسع المفرط للقوة الخشنة التي نجم عنها في حربي العراق وأفغانستان تبعات اقتصادية وسياسية سلبية على الولايات المتحدة التي سعت خلال فترة إدارة باراك أوباما اعتماد القوة الذكية بوصفها عقيدة تهدف إلى ضبط إيقاع العالم على وقع دورها وتأثيرها في السياسات الدولية، كونها أداة مهمة لتخفيف الأعباء وتقليص الخسائر وتحقيق النتائج المرغوب فيها بأقل تكلفة ممكنة. وفي الحصيلة، كان من باب أولى أن يذكر

11 هنري كيسنجر، **هل تحتاج أميركا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**، ترجمة عمر الأيوبي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2002)، ص 300.

الباحث أن القوة الذكية هي عقيدة أوباما في إدارة السياسات الدولية للولايات المتحدة، خاصة أن الإدارة الجديدة لا تقوم بتوظيفها، بل تستخدم خطابًا شعبويًا قائمًا على التلويح باستخدام القوة العسكرية الصلبة في مواجهة الأزمات الدولية والتعامل معها بمنطق تجاري بحت؛ ما أدى إلى حالات من الاضطراب والضبابية في مناطق جيوستراتيجية بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

## المراجع

### العربية

حمشي، محمد. "الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية". **سياسات عربية**. العدد 28 (أيلول/ سبتمبر 2017).

دال، روبرت. **التحليل السياسي الحديث**. ترجمة علاء أبو زيد. ط 5. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993.

رجب، عمر الفاروق. **قوة الدولة دراسات جيوستراتيجية**. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992.

سعدون، شوكت. **عناصر قوة الدولة الاستراتيجي - النظري والتطبيقي**. عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2007.

عبد السلام، رفيق. **الولايات المتحدة الأميركية بين القوة الصلبة والقوة الناعمة**. بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015.

كيسنجر، هنري. **هل تحتاج أميركا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين**. ترجمة عمر الأيوبي. بيروت: دار الكتاب العربي، 2002.

### الأجنبية

Dahl, Robert. "The Concept of Power." *Behavioral Science*. vol. 2. no. 3 (July 1957).

German, F. Clifford. "A Tentative Evaluation of World Power." *Journal of Conflict Resolution*. vol. 4. no. 1 (March 1960).

Nye, Joseph S. *Smart Power*. Adele Oliveri (trans.). Bari: Gius.Laterza & Figli, 2012.

# تقارير
# Reports

Editorial Board | هيئة التحرير

## مؤتمر
## "مآلات الثورة السورية: ماذا جرى؟ ولماذا؟"

## Conference
## "The Syrian Revolution: Seven Years on, What Went Wrong?"

عقد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في مقره في الدوحة أعمال الندوة الأكاديمية "مآلات الثورة السورية: ماذا جرى؟ ولماذا؟"، في يومَي 7-8 نيسان/ أبريل 2018. ضمت جلسات الندوة نخبة من الباحثين والأكاديميين في الشأن السوري من سورية والعالم العربي والعالم، من أجل تقديم قراءة علمية لتطورات المشهد السوري في أوراق ودراسات أكاديمية أُعدّت في ضوء التحولات الداخلية والخارجية.

افتتح الندوة مروان قبلان الباحث في المركز، ورئيس وحدة تحليل السياسات فيه. وأشار إلى أن الندوة تحاول طرح سؤالين مركزيين ومحاولة الإجابة عنهما بما يتصف به الباحث الأكاديمي بموضوعية وليس بحيادية، وهما، أولًا: لماذا تحولت الثورة السورية التي انطلقت سلمية، حضارية، بشعاراتها الوحدوية الداعية إلى الحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية وبمطالب إصلاحية سياسية واقتصادية إلى صراع أهلي مدمر قبل أن تتحول إلى حرب وكالة إقليمية ودولية، أدت إلى مأساة إنسانية؟ وثانيًا: هل كان حتميًا أن تسلك الثورة هذا السبيل، وأن تصل إلى هذه النتائج، أم كان ثمة خيارات أخرى ممكنة لو اختلفت الظروف والفاعلون ومن ثم القرارات التي تم اتخاذها؟

وأضاف قبلان أن السؤالين المركزيين: لماذا حصل هذا؟ وهل كان ممكنًا تجنبه؟ يعكسهما عنوان هذه الندوة الأكاديمية. وهذان السؤالان ناظمان لكل محاور الندوة التي يتطلب الوقوف عليها والإضاءة على كل مستويات الصراع الذي كان يعتمل في بنية المجتمع السوري وبين دول الإقليم، وعلى المستوى الدولي، الذي فجّرته الثورة السورية دفعة واحدة بانطلاقتها.

## كيف تحولت سورية إلى ساحة صراع دولي؟

في الجلسة الأولى من اليوم الأول وعنوانها "كيف تحولت سورية إلى ساحة للصراع الدولي؟" قدم الباحث كريستوفر فيليبس بحثًا بعنوان "سورية: ساحة معركة دولية". وخلص إلى أن الثورة السورية تحولت من ثورة مدنية إلى حرب أهلية، ومن ثم إلى ساحة صراع دولي بالوكالة. ورأى أن هذه التحولات لم تكن منفصلة عن بعضها، ولم تحدث بصورة مفاجئة أو جذرية فحسب، بل كان لها سياقها البنيوي الذي ساهم في حدوث هذه التحولات منذ بداية الأحداث.

أما الباحث أسامة أبو ارشيد فقد قدم بحثًا بعنوان "تحولات الموقف الأميركي من الثورة السورية خلال سبع سنوات"، رأى فيها أن معضلة غياب إستراتيجية واضحة للولايات المتحدة الأميركية أثرت في مسار الثورة السورية، ورأى أيضًا أن الثورة السورية سببت أزمة من بدايتها للولايات المتحدة، وهي التي لم تتمكن من وضع إستراتيجية واضحة للتعامل مع الملف السوري. وقد اتسمت إستراتيجية واشنطن بالغموض والارتباك، ويتمثل ذلك بالتحولات والتناقضات في مواقف الإدارة الأميركية في عهد الرئيس باراك أوباما؛ وقد انعكس موقف الأخير على موقف إدارة الرئيس الأميركي الحالي دونالد ترامب الذي يشهد حاليًا تخبطًا أكثر في التعامل مع الأزمة السورية، ما أوقع واشنطن في خلافات عديدة مع حلفائها حول الملف السوري.

وقدم الباحث محمود الحمزة مداخلة بعنوان "المقاربة الروسية للثورة السورية: الدوافع، والنتائج، والآفاق"، أشار إلى أن جوهر السياسة الروسية منذ انطلاق الثورة السورية كان مدفوعًا بعدة أهداف، من أبرزها؛ الاقتصادية والجيوسياسية والدينية. ورأى الحمزة أن روسيا منذ بداية أحداث الربيع العربي لم ترحب بهذه الثورات، نتيجة الخسائر الاقتصادية الكبرى لروسيا في العراق وليبيا وغيرها، إضافة إلى عوامل جيوسياسية وأيديولوجية وأخرى متعلقة بالخوف من انتشار المد الإسلامي ليصل إلى روسيا التي تضم 20 مليون مسلم سنّي، وكذلك أسباب قوية مرتبطة بطبيعة القيادة الروسية، كل ذلك دفع روسيا إلى اتخاذ موقف إستراتيجي بحماية نظام الأسد مهما كان الثمن. ويبدو أن هذا الموقف الروسي لم تختلف معه أميركا ولا إسرائيل بل جاء لمصلحة أجنداتهما، إذ إن نتائج الإصرار والعناد الروسيّين معروفة وهي تدميرٌ وقتلٌ وتهجيرٌ وتقسيم. والأسوأ من كل ذلك، بحسب رأي الحمزة، هو تعامل الروس مع موضوع الثورة على أنه موضوع المعارضة السورية التي تسعى لمكاسب خاصة بها، وليس قضية شعب يريد الحرية والكرامة.

## القوى الإقليمية وتأثيرها في المشهد السوري

ناقشت الجلسة الثانية للندوة "الفاعلون الإقليميون في المشهد السوري"، وحاولت أوراق الباحثين المشاركين فيها تشخيص تأثير القوى الإقليمية في المشهد السوري؛ ففي مداخلة بعنوان "الموقف الإسرائيلي وتحولاته من الحرب في سورية" عالج الباحث محمود محارب الموقف الإسرائيلي المركّب من الثورة السورية من ناحية تأثره بجملة من المتغيرات والعوامل من أبرزها أن إسرائيل اعتبرت قيام نظام ديمقراطي في سورية يمكن أن يحمل معه آثارًا سلبية فيها وفي المنطقة العربية. ومن مصلحة إسرائيل إطالة أمد الصراع واستنزاف الجميع في المنطقة؛ فقد تعاملت مع الثورة السورية من منظور طائفي، ولا سيما دعوتها إلى تقسيم سورية إلى عدة دول على أسس طائفية وإثنية في أي حل مستقبلي. واعتقد محارب أنه من المتوقع أن تستمر إسرائيل في إستراتيجيتها في

التعامل مع النظام السوري من خلال شن ضربات عسكرية على مواقع وتشكيلات قتالية قد تهدد أمنها، ولكنه استبعد أن تُقْدم إسرائيل على شنّ حرب على إيران في سورية.

وقدم الباحث سمير صالحة مجموعة من الاستنتاجات للتنازلات التركية في سورية لمصلحة عديد من اللاعبين الإقليميين والدوليين أو اقتسامها معهم. وفي الورقة التي جاءت بعنوان "تركيا والأزمة السورية من أين؟ وإلى أين؟"، أشار صالحة إلى أن المرحلة المقبلة في مسار الأزمة السورية ستكون أخطر، وهذا يتطلب من الإدارة التركية التي تخضع لامتحان علاقات حقيقي بدول المنطقة، أن تقوم بمتابعة تفصيلية للأحداث في سورية، وذلك نظرًا إلى دخولها في مستنقع سياسي وعسكري أثر في علاقاتها بالقوى الإقليمية والدولية. واختتم مداخلته بأن تركيا ستبقى شريكًا حليفًا للثورة السورية، كما قامت تركيا بإعادة تقييم سياستها وإجراء مراجعة نقدية ذاتية لمسار الثورة السورية، وذلك بناءً على الدروس والتجارب التي مر بها الجميع على مدار السنوات الماضية.

وسلّط الباحث سعود المولى الضوء على أدوار إيران وحزب الله في سورية، وذلك في مداخلته التي جاءت بعنوان "إيران وحزب الله في سورية: أبعد من الأهداف العسكرية". ويرى المولى أن إيران لم تتخلص من التفكير الإمبراطوري وترى نفسها دولة كبرى ذات مصالح حيوية في الشرق الأوسط، وأن الدور الإيراني في المنطقة يرتكز على عدة مفاصل من بينها، علاقة الدولة بالدين في إيران، وعلاقة إيران بالتشيع، وهذا حافزٌ رئيس في سياسة إيران وإستراتيجيتها من زمن الشاه إلى زمن ولاية الفقيه، في لبنان كما في سورية والعراق ودول الخليج العربية. واستنادًا إلى ذلك يرى المولى أن هذا المدخل التاريخي والأيديولوجي مكّنه من فهم دور حزب الله في تنفيذ سياسات إيران، ولا سيما في سورية.

وعن "العراق وتبدلات الهوية الطائفية للدولة السورية" حاول الباحث حيدر سعيد فهم الكيفية التي وظّف بها نظام قومي عربي علماني الهويات الطائفية في سياسته الخارجية، ليس فقط في دعمه جماعات طائفية محددة على حساب أخرى، بل في إظهار نفسه جزءًا من هذه الهوية. وقد رأى سعيد أن السياسة الخارجية السورية تجاه العراق منذ عام 2003 تختلف عن السياسة الخارجية الإيرانية، إذ استطاعت السياسة الإيرانية المحافظة على مركّب معقد يجمع بين مواجهة المشروع الأميركي ودعم النخبة الشيعية الصاعدة في العراق، في حين قدمت سورية نفسها بوصفها جزءًا من المحيط العربي السنّي في العراق وكانت جزءًا من مشروع دعم الأطراف السياسية السنّية ورعايتها. حدث التغير بحسب رأيه في السياسة الخارجية السورية نتيجة تبدلات الهوية الطائفية للدولة السورية، ليس فقط من خلال دعم النظام لجماعات طائفية محددة، بل من خلال إظهار نفسه جزءًا من الهوية الشيعية بعد الثورة، وبدأ استعمال النظام السوري للهوية الشيعية بعد عام 2011، والقبول بتعريفه جزءًا من المحور الشيعي الذي تقوده إيران، ما غيّر منظور السياسة الخارجية السورية تجاه العراق بالكامل.

## فضاءات أخرى للصراع في سورية

مثّلت فكرة "أسلمة الثورة" واحدة من المقولات الرئيسة التي جرى تداولها منذ انطلاق الثورة السورية عام 2011 من قِبَل أطراف متعددة ولغايات مختلفة؛ هذا ما بدأ به الباحث معتز الخطيب ورقته "المشايخ والنظام والثورة في سورية: الدين مواليًا ومعارِضًا"، إذ أشار إلى أن بعض المثقفين السوريين استخدموا فكرة خروج التظاهرات من المساجد حجةً لإدانة الفعل الثوري الذي هو في نظرهم فعلٌ رجعيٌّ لا يتوافق مع مشروع التحديث الذي يطمحون إليه. وأكد الخطيب أن فكرة الأسلمة تحيل إلى معضلة العلاقة بين الديني والسياسي في سورية، كما تعكس الصراع على شكل المجال العام الذي مثّلت الثورة إرهاصات ولادته في مجتمع متنوع دينيًا ومذهبيًا ويغلب عليه التدين والمحافظة، أي إن مشروع التغيير الذي يجسده فعل الثورة حمل مخاوفَ، بقدر ما حمل من آمال بحسب الأطراف المتعددة المنخرطة فيه أو التي يَمسها فعل التغيير.

أما الباحثة لاورا دي إلفيرا فركزت في بحثها "السياسات الاجتماعية والعمل الإنساني ساحة بديلة للمعركة"، على العمل الإنساني في مسار الحرب السورية التي دفعت أكثر من 5 ملايين سوري إلى الفرار من وطنهم الأم واللجوء إلى البلدان المجاورة والبلدان الأبعد. في حين أصبح نحو 6.5 ملايين سوري مشرّدين داخليًا منذ عام 2011. نتيجة لذلك، شهد العمل الإنساني تناميًا مع تفجّر الحرب في سورية، وفي هذا السياق، بات توفير المساعدات مسألة رئيسة تسعى جميع القوى السياسية المعنية بالنزاع السوري للتأثير فيها، والسيطرة عليها والتحكم فيها إن أمكن. وفي الوقت الذي أسّس فيه أولئك الذين يناهضون نظام الأسد بنى اجتماعية وإنسانية خاصة بهم وعملوا على مأسستها بدعم من الشتات السوري وبتمويل الجهات المانحة الدولية، حاول النظام السوري بدوره الاستعانة بالمؤسسات الخيرية الموجودة أصلًا وإنشاء أخرى جديدة من أجل كسب مودة السكان المحليين.

وقدم الباحث هوشنك أوسي بحثًا بعنوان "حزب الاتحاد الديمقراطي: محنة الهوية، والتباس المشاريع والأدوار"، وبرأيه يبرز اسم حزب الاتحاد الديمقراطي (الكردي) PYD بوصفه أحد التعقيدات والعوائق التي عرقلت ترتيبات التسوية في المشهد السوري، لأسباب

عدة. فالحزب يعتبر نفسه معارضًا للنظام السوري، ومن حقه المشاركة في مؤتمرات الحل، على مقاعد المعارضة، وهو يسيطر على مساحات واسعة من الأراضي السورية، عسكريًا وإداريًا. وتعتبره المعارضة حليفًا للنظام، والمساحة التي يسيطر عليها، هي بتكليف وتنسيق مع الأخير. وتعتبره تركيا فرعًا لحزب العمال الكردستاني في سورية. وتعتبره أميركا حليفًا لها في محاربة تنظيم "داعش" الإرهابي، وترفض الانتقادات والمطالب التركية بالكفّ عن دعم الحزب. وتراه موسكو "حليفًا" من جهة، ومن جهة أخرى تضعه على طاولة البازارات والصفقات مع أنقرة. في حين أن الحزب المسيطر على المناطق الكردية السورية يعتبر نفسه أنه حرّر هذه المناطق من النظام السوري، بينما يتّهمه خصومه من الكرد والعرب بأن النظام ما زال موجودًا في تلك المناطق، وما جرى أن النظام سلّم جزءًا من سلطات المنطقة لهذا الحزب حتى يتفرغ للمناطق الأخرى، وأن ثمة تنسيقًا بين الحزب والنظام.

## الاقتصاد السياسي للصراع السوري

عالجت الجلسة الأخيرة من أعمال اليوم الأول من الندوة الأكاديمية "الاقتصاد السياسي للصراع السوري"، وقدم الباحث سمير سعيفان بحثًا بعنوان "سورية: التدمير وتحديات إعادة الإعمار" عرض فيه صورة عن واقع التدمير المادي الذي جرى في سورية، والتحديات التي تواجه إعادة الإعمار والتي تحتاج إلى تكاليف عالية من خلال استعراضه الدراسات التي أنجزت حول هذا الموضوع، بحيث تشير الأرقام التقديرية إلى تدمير 4.4 ملايين منزل تدميرًا كاملًا، إضافة إلى نصف مليون منشأة حكومية. والجدير بالذكر أن في عام 2010 كان في سورية 100 ألف منشأة صناعية دُمّر 50 في المئة منها، كما أن قطاع الزراعة تعرض للتدمير من خلال تحطيب الغابات إذ تم تخريب 20 مليون شجرة، هذا فضلًا عن تهجير 12 مليون سوري وخسارة سورية معظم كوادرها. كما أشار سعيفان إلى أن العنف قد وظّف 17 في المئة من قوة العمل في أجهزة الدولة لمواجهة الاحتجاجات وقوى المعارضة. تظهر الأرقام العبء الكبير للدمار الذي شمل الموارد المالية والمادية والبشرية الهائلة. وتطرق الباحث إلى تحديات إعادة الإعمار، وهي عديدة، وستمثّل الجزء الأكبر والأهم منها، بدءًا بشروطه السياسية ومصادر تمويله وبدائل أشكال إدارته، وانتهاءً بتنظيمه وأولوياته وتعقيداته الكثيرة. ورأى أن التحديات السياسية وشكل حلها تمثل مفتاح حل بقية التحديات ومُوجّهها، بين حل سياسي شامل بتوافق إقليمي ودولي، فمن دون حل سياسي لن يكون ثمة إعادة إعمار. حتى مع حل سياسي مقبول، سيكون تأمين المصادر المالية والمادية التي تتطلبها إعادة الإعمار أمرًا صعبًا (هبات مالية من مانحين، ومشروعات ينفذها مانحون، وقروض من مؤسسات دولية وعربية، واجتذاب رؤوس أموال المستثمرين السوريين وغير السوريين وإعادة إطلاق الاقتصاد السوري).

ثم قدم الباحث مناف قومان بحثًا بعنوان "الاقتصاد السياسي للمعارضة السورية: تقييم تجربة المجالس المحلية ووحدة تنسيق الدعم"، تطرق في بدايته إلى معاناة سكان المناطق المحررة والمحاصرة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية نتيجة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المزمن الذي وصلت إليه البلاد، وقصور عمل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية بعد عدم اتباعها إستراتيجيات تنموية تتواءم وظروف الحرب وتخفف معاناة السكان وتساعدهم على شظف العيش. وخلص الباحث إلى نتائج مفادها أن الأزمة خلّفت نتائج كارثية على مستويات المعيشة لدى سكان مناطق المعارضة. يترافق هذا مع عدم اتّباع الحكومة المؤقتة، ممثلة في المجالس المحلية ووحدة تنسيق الدعم التابعة للائتلاف السوري لقوى الثورة والمعارضة السورية، إستراتيجيات تنموية مستدامة تكفل مواجهة التحديات الجمة التي تواجهها المجتمعات المحلية والوقوف على استحقاقات الأسر لتحسين مستويات معيشتها.

وقدم الباحث أيمن الدسوقي بحثًا بعنوان "مقاربة الحركات الجهادية للحكم المحلي وأثرها في مسار الثورة السورية: مقارنة بين 'تنظيم الدولة' و'هيئة تحرير الشام'". ورأى أن انحسار سيطرة النظام السوري قد هيّأ الظروف أمام بروز أنماط حكم محلية، منها ما شكّلته الحركات الجهادية كـ "تنظيم الدولة الإسلامية" و"هيئة تحرير الشام"، وعلى الرغم من تشاركهما في الأصل وتقاطعهما في الهدف من حيث السعي لتأسيس حكم إسلامي، كلٌّ بحسب منظوره الخاص، فإنهما افترقا في مقاربتهما لحكم مناطق سيطرتهما وإدارتها، ما أدى بحسب رأي الباحث إلى تفاوتهما في كيفية تأسيس الحكم، وفي المسميات والهياكل التنظيمية والأدوات المستخدمة في الإدارة والحكم، فقد اعتمد التنظيم إستراتيجية متعددة المراحل عنوانها "إدارة التوحش" لتأسيس حكمه وتجسيده بـ "الدولة الإسلامية"، في حين مالت "هيئة تحرير الشام" وريثة "النصرة" إلى تبنّي إستراتيجية تدريجية مرتكزاتها الاندماج المحلي والتكيف الأيديولوجي والتحول المصلحي لتحقيق التمكين الذي قد يأخذ أشكالًا ومسمياتٍ عدة. وعلى الرغم من الفروق بين التنظيم والهيئة في مقاربتهما لمسألة الحكم، فقد كان لتجربتيهما في هذا الصدد أكبر الأثر في مسار الثورة السورية، وذلك عبر تقويضهما تجربة المجالس المحلية في مناطق سيطرة كل منهما، سواء عبر إنهائها كما قام بذلك تنظيم "الدولة الإسلامية"، أو من خلال إقصائها أو اختراقها وتوظيفها في مشروعها كما تعمل على ذلك "هيئة تحرير الشام".

## المعارضة السورية: أزمة في ظل الأزمة؟

استهلت أعمال اليوم الثاني جلسة للنقاش حول أزمة المعارضة السياسية السورية. وقدم فيها برهان غليون مداخلة بعنوان "عن أزمة القيادة في المعارضة السورية: المجلس الوطني نموذجًا"، تناولت ما وصفه بالمآل الكارثي الذي آلت إليه الثورة السورية، وحالة ضعف المعارضة وتشتُّت قوى الثورة وانقسامها. وأكد غليون أن ما جرى في السنوات السبع الماضية لم يكن حتميًا، وإنما جاء ثمرة لرؤى واختيارات سياسية وإستراتيجيات، وأن استعادة المبادرة التاريخية، وتذليل العقبات "الموضوعية" و"الخارجية" التي حالت دون تحقيق الثورة أهدافها، أمرٌ يتوقف على فهم هذه الخيارات وتقييمها. وذكر غليون أن خطأ النظام السوري الأكبر كان في رفضه الإصلاح السياسي، في حين أن المعارضة أخطأت بتخبطها وعدم تماسكها وانحسار قدرتها على تشكيل جسم سياسي قادر على التفاوض. كان المجلس الوطني قد تشكّل في مرحلة تراجع التظاهرات الشعبية وبداية انتشار السلاح في سورية، لكن تم إجهاض تجربته؛ بسبب الصراع على النفوذ والمكانة بين أفراد المعارضة السورية، فضلًا عن تركيز الباحثين السوريين على العوامل الجيوسياسية، وبخاصة التدخلات الخارجية الإيرانية ثم الروسية. كما كان لشلل المنظمة الدولية وتعطيل دور المجتمع الدولي سهمٌ في أزمة المعارضة السورية وتراجع أدائها.

أما الباحث عبد الباسط سيدا، فقد تطرّق في بحث بعنوان "كرد سورية والثورة: ماذا جرى للمجلس الوطني الكردي؟" إلى العوامل التي أسهمت في بلورة معالم الدور الكردي ضمن المعارضة. جعل سيدا سياسات حكم حزب البعث، ورفضه المطلق لأي وجود وطني كردي في سورية، بمنزلة مقدمة لتتبّع هذا الدور. وقال إن هذه السياسة انعكست في رفض الاعتراف بأي حقوق قومية مشروعة للكرد ضمن الحدود السورية، وفي اعتماد مشاريع تمييزية ضدهم في الوقت ذاته. وعلى الضفة المقابلة، اتسمت الأحزاب الكردية بمطلبية الطابع والبرامج، فهي أحزاب لا تطالب بالسلطة ولا تتنافس بشأنها، بل تعمل من أجل الموضوع والهم الكرديّين في المقام الأول، وكانت مُحكمة بثنائية "نحن – هم"، وهي نقطة وظَّفها النظام السوري ضمن إستراتيجيته في تحييد المكونات السورية وإبعادها عن الثورة. ألقى كل هذا بتداعياته على طبيعة الحراك الكردي في الثورة السورية ونوعيته. وشاركت الكتلة الوطنية الكردية في تأسيس المجلس الوطني السوري وكان لها تمثيل به، في حين اختار المجلس الوطني الكردي عدم المشاركة، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بُذلت من أجل ذلك. وبعد حل جملة من الإشكاليات، دخل هذا المجلس في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وقد جرى التوصل إلى حل بخصوص موضوع الفدرالية؛ العقدة التي كانت تصطدم بها كل جهود انضمام المجلس الكردي إلى الائتلاف. وكان الحل هو أن يسجل المجلس الكردي تحفظه على غياب الفدرالية في وثيقة التوافق بينه وبين الائتلاف.

على مستوى موازٍ، وبعنوان "المعارضة الهامشية بعد الثورة: بحث في تكوين المعارضة السياسية وأجهزتها وأدائها"، تناول الباحث عبد الرحمن الحاج تكوين المعارضة وأداءها ومؤسساتها، انطلاقًا من "المعارضة الهامشية". واعتمادًا على هذا المفهوم غير المتداول على نحو كافٍ في إطار العلوم السياسية، اعتمد الحاج ثلاثة معايير أساسية في تصنيف المعارضة تحت عنوان "الهامش": أولًا، الاعتراف الدولي بها، باعتبارها جهة ممثلة شرعية للشعب مقابلة للنظام. وثانيًا، التعبير السياسي عن أهداف الثورة وتطلعاتها. وثالثًا، التأييد السياسي الواسع خصوصًا من أولئك الذين هم خارج سلطة النظام. وشدّد على صعوبة فهمنا لنشأة المعارضة الهامشية إذا ما انطلقنا من تصور أنها وجه آخر لتكوين المعارضة الرئيسة فحسب؛ ذلك أن بواعث عديدة للتكوين ناشئة من عوامل أخرى. وفي ظل ديناميات الثورة وتشكيل المركز، بالنظر إلى أنه استجابة لتغطية الثورة سياسيًا، نشأ صراع الشرعية على تمثيلها أمام المجتمع الدولي بوصفها قضية رئيسة. ويرجع ظهورها إلى ما بعد التدخل العسكري الروسي، في سنوات حكم أوباما الأخيرة، إذ كان الهدف الرئيس لموسكو هو تفتيت المركز وتشكيل حشد من المعارضة الهامشية لاحتلاله، فعملت على تصنيع معارضة هامشية وظيفية، ودفعت إلى استصدار القرار 2015/2254، الذي سمح لموسكو بدفع هذه المعارضة الوظيفية (التابعة لها عمومًا) نحو شرعنة دخولها المركز، ونجحت في ذلك في مؤتمر "جنيف 4"، وهو أمرٌ تم تثبيته في مؤتمر "الرياض 2".

## المعارضة السورية: الأداء القتالي والسياسي

استعرض الباحث محمد الحاج علي في الجلسة الثانية من أعمال الندوة الأكاديمية لليوم الثاني الموقف العسكري لفصائل المعارضة السورية، في مداخلة بعنوان "الموقف العسكري بعد سبع سنوات: لماذا فشلت محاولات توحيد فصائل المعارضة المسلحة". حاول الباحث الإجابة عن تساؤلين؛ أولهما: لماذا لم تنشقّ قطعات ووحدات كاملة من الجيش السوري لمصلحة الثورة؟ وثانيهما: لماذا فشلت محاولات توحيد فصائل المعارضة المسلحة؟ تناول الباحث في معرض إجابته عن السؤال الأول تطور المؤسسة العسكرية في سورية، موضحًا

تمحور إدراك حافظ الأسد للجيش بوصفه عاملًا لاستدامة سلطته وسيطرته، وإضفاء صبغة ذات طابع طائفي عليه؛ إذ إنه فرض سياسة خاصة لترويض القوات المسلحة، على نحو حوَّل عقيدتها الأساسية إلى حماية النظام وحده، من دون أي اعتبار آخر.

وعلى الرغم من توافر قدرات عسكرية كبيرة في الجيش السوري، فإن هذا الجيش عجز عن قمع الثورة السورية، إذ استنزفت حرب الأعوام السبعة قدراته وتماسكه. وفي المقابل، نجحت الثورة التي تحوّلت إلى العمل العسكري في السيطرة على معظم الأراضي السورية، في نهاية عام 2012، بفضل مساندة الحاضنة الشعبية لها. لكن الدورين الإقليمي والدولي، إضافة إلى دور استخبارات النظام، حرفت كل اتجاهها الوطني إلى اتجاهات دينية متشددة. ولم تكفِ النياتُ الحسنة فصائلَ الثورة السورية، إذ فشلت مرارًا في التجمع ضمن جسم عسكري موحد. وقد ردَّ الباحث جزءًا من ذلك إلى الدور الإقليمي والدور الذي منع ذلك، إلى جانب الدور السلبي للأحزاب والقادة الذين تصدّروا مشهد العمل المسلح، وانعكاسات ذلك على عدم تحقيق النصر على النظام، وانفصال العمل السياسي عن العمل العسكري، وانقسام الفصائل المسلحة بين إسلامية وجيش حر والصراع المحتدم فيما بينها.

أما الباحث محمد حسام الحافظ، فقد جاءت مداخلته بعنوان "الأداء التفاوضي المركزي لقوى الثورة والمعارضة السورية: المرجعيات، والمسار، والمآلات". وأثناء هذه المداخلة، حاول الباحث سد ثغرة بحثية وأكاديمية من خلال سرد أساسيات العملية التفاوضية وتقويمها بعد مرور سبع سنوات على اندلاع الثورة السورية. وعالج الموقع التفاوضي للمؤسسات التي مثّلت المعارضة السورية وإشكاليات ذلك التمثيل طوال العملية التفاوضية، سواء أكان ذلك إشكالًا موضوعيًا أم سياسيًا بحتًا. وفي سبيل ذلك، ركز على الموقع التمثيلي للمجلس الوطني والائتلاف وهيئة المفاوضات بنسختيها، وهي الهيئة التي من المفترض أن يكون دورها الوحيد هو تمثيل قوى الثورة والمعارضة في المفاوضات السياسية مع ممثلي النظام.

حاول الباحث سلام الكواكبي أن يبحث في أسباب عجز الهيئات السياسية والهيئات الإعلامية المرتبطة بالمعارضة السورية عن كسب تأييد الرأي العام العربي عمومًا، ورأي النخب اليسارية والقومية العربية خصوصًا، في مداخلته التي جاءت بعنوان "المعارضة ومعركة الرأي العام العربي: التأثير المضاد للنخب القومية واليسارية". فقد استعرض الباحث أساليب عمله ونشاطه في المجال الإعلامي والتحشيدي وتحليله؛ وذلك من خلال التوقف عند عديد من معالم الضعف التي انتابته. وحاول الباحث سبر الأسباب التكوينية في الوعي الذي تحمله النخب اليسارية والقومية في المنطقة العربية التي تصدّت على نحو يكاد يكون مبدئيًا و"نضاليًا" لخطاب الثورة السورية، وابتعدت عن أي شكل من أشكال التضامن، حتى في حال كونه خطابيًا.

## النظام السوري: تحولات البنية في ظل الأزمة

قدم الباحث لؤي صافي مداخلة بعنوان "هل نجح النظام في احتواء الثورة؟ قراءة في الأسباب البنيوية والثقافية"، تناول فيها الأسباب البنيوية والثقافية التي مكّنت النظام السوري من احتواء الثورة. ثم انتقل إلى تحديد طبيعة الثقافة السياسية السائدة وأثرها في تقليل فرص نجاح الثورة بشأن تحقيق أهدافها، مع أهمية وجود كتلة اجتماعية حرجة لنجاح جهود تحقيق تحول ديمقراطي في سورية. ونبّه الباحث إلى أهمية قيام حركة فكرية تحمل رؤية إنسانية تضمينية، لتوليد الزخم الاجتماعي الضروري من أجل إيجاد الكتلة الحرجة وتزويدها بالرؤية المستقبلية. وبحسب رأيه، تحتاج الحركة الفكرية إلى ربط الرؤية الإنسانية التضمينية بالسياق الاجتماعي والمشكلات الحيوية للمجتمع السوري ودول المشرق المحيطة به، والتي تتماهى قضاياها الاجتماعية والسياسية مع قضاياه، كما أن قدرة المجتمع السوري على تحقيق ثورته الحقيقية ترتبط بالتفاعل مع مؤسسات المجتمع المدني في دول الجوار.

أما التحول في بنية النظام الأمنية خلال سنوات الثورة، فقد عالجه الباحث معن طلاع في مداخلة بعنوان "تحولات البنية الأمنية للنظام السوري خلال الثورة". وتطرق الباحث إلى أهم التحولات التي شهدتها البنية الأمنية للنظام، وهي تتمثل بعدم تماسك البيئة الأمنية في مناطق النظام وعدم خضوعها "إداريًا" أو "وظيفيًا" لقوة أمنية مركزية مضبوطة، وتدهور مؤشرات الاستقرار الأمني، وقد تعززت تلك النظرة منذ اللحظة الأولى لتدفق الميليشيات الأجنبية الحليفة للجغرافيا السورية من جهة، ولقرار تكوين مجموعات عسكرية محلية يشرف عليها كبار رجال النظام من جهة ثانية. تلك المجموعات التي نمت وتوسّعت في الحجم والتأثير خلال الأعوام الماضية، زاد خطرها على المجتمع برمته؛ خاصة في ظل تنامي أدواتها وسياستها على نحو عابر للوطنية. إضافة إلى ما ذكر، وما يعزز نتائج الفشل الوظيفي والسيولة الأمنية وتعارض الأجندة الأمنية للفواعل الأمنية في مناطق سيطرة النظام، فإن انتشار أنماط أمنية متعددة في سورية التي باتت مقسمة إلى مناطق نفوذ إقليمية ودولية واضحة،

يساهم في تعزيز عدم قدرة الأجهزة الأمنية "الحكومية" القائمة على ممارسة الالتفاف على أسئلة المرحلة المقبلة واستحقاقاتها.

ثم قدم الباحث رضوان زيادة بحثًا بعنوان "الجيوش النظامية والحروب الأهلية: كيف انهار الجيش السوري في النزاع المسلح؟" تطرق فيه إلى مراحل تراجع قوة الجيش النظامي الذي زجّ به في الصراع المسلح، مقارنةً بتجارب بلدان أخرى خاضت جيوشها النظامية حروبًا أهلية، وانعكاس ذلك على مسار الحرب في سورية. واستعرض الباحث مراحل انخراط الجيش السوري في قمع الأعمال الاحتجاجية، فقد كان القرار السياسي مبكرًا، في نيسان/ أبريل 2011؛ أي المتمثل بإرسال وحدات من الجيش النظامي لإخماد فتيل التظاهرات في محافظة درعا. وفي بداية عام 2012، ومع ازدياد قوة المعارضة المسلحة وعدد المنشقين عن الجيش، ازداد انغماس "الجيش النظامي" في أتون الصراع المسلح، وحتى الفرق العسكرية (مثل الفرقتين 17 و18 غير العاملتين والمعدّتين للاحتياط فقط)، تم الزجّ بها في قمع الاحتجاجات المسلحة في حمص وريفها، وبعد ذلك في حلب، في حين احتفظت قوات النخبة (الفرقة الرابعة) والحرس الجمهوري بوظيفة أساسية هي تأمين العاصمة دمشق. وحتى عام 2015، كانت ثلاث فرق عسكرية سورية كاملة قد اضمحلت، أو اختفت، ولم يبقَ من كتائبها إلا أفراد جرى فرزهم إلى قطع عسكرية تتبع فرقًا أخرى.

## إسلاميو الثورة: التجارب والتحولات

بدأت أعمال الجلسة الأخيرة بمداخلة قدمتها الباحثة نعومي راميريث دياث جاءت بعنوان "هل يكون للإخوان المسلمين دور في جعل رؤى القوى المتشددة أكثر اعتدالًا". رأت الباحثة أن لجماعة الإخوان المسلمين تاريخًا فكريًا معقدًا ومتغيرًا، وأنه لا يخلو من نسبة ذات أهمية تتعلق بغياب العدالة، وأنه إذا كان بعض شخصيات الجماعة البارزة قد أدى دورًا ملتبسًا في فترات معينة من تاريخ سورية، فإن هناك تيارًا فكريًا ديمقراطيًا وُلد مع الجماعة، وصمد أمام رياح التشدد التي عصفت بها، بعد استيلاء حافظ الأسد على الحكم في السبعينيات، وخاصة في الثمانينيات. وافترضت الباحثة أن هذا التيار الذي أصبح أوضح في القرن الحالي، خصوصًا بعد ازدياد دور الشباب في الجماعة نتيجة مشاركتهم في نشاطات مختلفة في الثورة، قد يكون مفيدًا إذا أردنا نقل بعض آراء الجماعات المسلحة التي تعدّ نفسها إسلامية (وهي فعلًا سلفية) من معسكر التشدد إلى معسكر الاعتدال؛ وذلك على الرغم من صعوبة المرحلة، وإمكان تفهّم تبنّي قيادات هذه القوى وقواعدها البشرية التشدد في مجتمع لم يُعرف قَطُّ بالتشدد، أو الميل إلى العنف.

أما الباحث توماس بييريه، فجاءت مداخلته بعنوان "هيئة الشام الإسلامية: السلفية الحركية مقابل 'نظام حكم الجهاديين'". وقد تناول بالبحث الاختلاف الأيديولوجي من خلال مقارنة وجهتَي نظر هيئة الشام الإسلامية والجماعات الجهادية فيما يتعلّق بثلاث قضايا: الرموز الوطنية، واختيار القادة السياسيين والعسكريين وصلاحياتهم، وتدوين الأحكام الشرعية؛ إذ ميّز بين السلفيين الناشطين والجهاديين. ففي حين يتصوّر الجهاديون الصراع السوري حقبة من حقب الجهاد العالمي الذي مضى عليه عقد من الزمن، وينسبون إلى أنفسهم دورًا قياديًا في النضال؛ كونهم طليعة الحركة السلفية، فإن هيئة الشام الإسلامية تتبنّى سردية الثورة السورية ورموزها. بعبارة أخرى، ترى هيئة الشام الإسلامية أن الشعب يتمتع بالفاعلية السياسية، ومن ثم فهو يمثل مصدرًا رئيسًا للشرعية. نتيجةً لذلك، وفي الوقت الذي يروّج فيه الجهاديون لمقاربة سياسية تتمحور حول الدولة وتعكس مقاربة الأنظمة السلطوية التي يسعون لإزاحتها، تتبنّى هيئة الشام الإسلامية نموذجًا يرتكز على المجتمع ويتيح وجود نظام تمثيلي.

أما الباحث أحمد أبا زيد، الذي جاء بحثه بعنوان "حركة أحرار الشام الإسلامية: نموذج تحولات إسلاميي الثورة في سورية"، فتطرق إلى سلسلة التحولات التي مرّت بها حركة أحرار الشام في جدلها مع الديناميات المحيطة بها وتناقضاتها الذاتية، من خلال الدمج بين البعدين المحلي والأيديولوجي، ومن خلال صراع الشرعية الثورية والجهادية، والتفاعل مع الاستحقاقات الميدانية والسياسية. وتمثل هذه التحولات حالة دراسية خصبة لفهم تجربة الإسلاميين الجدد بعد الثورة السورية، واختبارًا لصدقية التفسيرات المختلفة حول طبيعة هذه الحركات ودوافعها الحقيقية.

في السياق ذاته، عالج الباحث حمزة المصطفى تحولات الحركة الإسلامية السورية، في بحثه الذي جاء بعنوان "تقييم تحولات الحركة الإسلامية السورية: أحرار الشام، وجيش الإسلام، وفيلق الشام"، وحاول استكشاف آليات عملها السياسي ومحدداته وسياقاته الظرفية والبنيوية، بهدف رصد التغيرات الخطابية والسلوكية والتنظيمية، وتقييم مدى تأثيرها في إستراتيجيتها الراهنة والمستقبلية. وقد سعت هذه الحركات لتغتنم الفرص المتاحة في الثورة لتوسّع قاعدتها الاجتماعية، وتتبوأ مكانة سياسية مركزية مؤثّرة في التفاعلات السياسية للحدث السوري، وهو ما عرّضها لتغيرات خطابية وسلوكية وهيكلية. فقد أضحت الفصائل الإسلامية، بحسب رأيه، مركز الثقل الرئيس في العمل المسلح ضد قوات النظام السوري والفصائل الأجنبية المساندة له، وغدت في الوقت عينه أحد أبرز إشكالاته المركزية. وقد عزا الباحث ذلك إلى اختلاف تقييم القوى الدولية والإقليمية المؤثرة في الأزمة السورية، وإلى كيفية التعامل معها راهنًا ومستقبلًا.

# صـدر حديـثًا

المؤلف: عزمي بشارة

## الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة

صدر حديثًا عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب جديد للمفكر العربي عزمي بشارة بعنوان "الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة". ويتناول الكتاب عملية تحوّل الطائفية الاجتماعية إلى طائفية سياسية مستندًا إلى إطار نظري يشتبك فيه مع نظريات اجتماعية، وتحليل للتاريخ الاجتماعي، واستقراء نماذج من بلدان عربية مختلفة مع مقارنتها بنماذج غير عربية. ويتميز الكتاب بتطوير مفهوم للطائفية قائم على تعريفات جديدة لمفاهيم الطائفة والطائفية وإنتاج الطوائف المتخيلة بناء على بحث الظواهر، مناقشًا تطورها في التاريخ العربي الإسلامي، ومميزًا لها من مفاهيم أخرى استخدمت لدراسة تطور الجماعات الدينية في السياق الغربيّ.

إيهاب محارمة | Ihab Maharmeh*

# مؤتمر
# "العرب والهند: تحولات العلاقة مع قوة ناشئة ومستقبلها"

# Conference
# "Indo-Arab Relations: The Evolving Dynamics with a Rising Power"

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.

تحظى العلاقات العربية - الهندية بأهمية تاريخية. ويعود اهتمام العرب بالهند وإعجابهم بحضارتها إلى ما قبل الإسلام. وعبر هذا التاريخ الطويل، شهدت هذه العلاقات فترات من التقارب والتباعد، لكنّ التفاعل ظلّ سمتها العامة، بخاصة بعد حصول الهند والدول العربية على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية. منذ ذلك الوقت، حققت الهند قفزات اقتصادية وصناعية مهمة جعلتها أحد أسرع الاقتصادات نموًا على مستوى العالم، وتطورت علاقاتها الاقتصادية مع الدول العربية، بخاصة بعد أن غدت الهند تحتل المرتبة الثالثة عالميًا في استيراد النفط. في المقابل، شهدت علاقات الهند السياسية بالدول العربية تراجعًا كبيرًا؛ فبعد أن كانت خلال فترة الحرب الباردة من المدافعين عن حركات التحرر والقضايا العربية، وبصفة خاصة القضية الفلسطينية، دخلت اليوم في حالة تعاون إستراتيجي مع إسرائيل، ولا سيما في مجال صناعات الدفاع والتكنولوجيا العسكرية. وفي إطار اهتمامه بالبحث في العلاقات العربية بالقوى العظمى، عقد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة يومي 5 و6 أيار/ مايو 2018 مؤتمرًا أكاديميًا شارك فيه نخبة من الباحثين العرب والهنود والأجانب، سعوا من خلاله إلى تسليط الضوء على الجوانب التاريخية والثقافية والأكاديمية والسياسية والاقتصادية الراهنة، إضافةً إلى العلاقات على مستوى الجاليات والطاقة والسياقات الإستراتيجية والعسكرية.

## العلاقات التاريخية بين الخليج العربي والهند

في الجلسة الأولى التي ترأسها مروان قبلان الباحث في المركز العربي، قدم الباحث صاحب عالم الندوي بحثًا بعنوان "العلاقات بين الهند والجزيرة العربية في عصر الدولة المغولية". وخلص إلى أن العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين الهند والحرمين الشريفين ازدهرت خلال العصور الإسلامية كلها، خصوصًا في القرن التاسع الهجري، بحيث إن ملوك الإمارات الإسلامية في الهند حرصوا على تقوية تلك العلاقات والصلات بواسطة الإسهام في إنشاء الربط والنزل والخانقاوات والمدارس ووضع الأوقاف عليها، فضلًا عن إغداق الأموال على العلماء والصوفية والطلبة وعامة الناس. وأضاف إن الدولة المغولية حاولت استقدام عدد كبير من العلماء والفضلاء الشاميين والمصريين والحجازين واليمنيين إلى إماراتها. واختتم الندوي مداخلته بأنه يؤخذ على السلاطين المغول أنهم كانوا يفضلون الاستسلام لمطالب الأوروبيين غير الشرعية على تحسين علاقاتهم بالعثمانيين، في حين غاب عن ذهنهم تلك الفرصة الميسرة للتنسيق مع العثمانيين والعمل المشترك ضد البرتغاليين الذين أراد السلطان أكبر وأبناؤه وأحفاده مواجهتهم في المناطق الساحلية.

وفي الورقة الثانية بعنوان "العلاقات الهندية - القطرية من القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين" أشار الباحث معين صادق إلى أن التواصل الهندي العربي يعود إلى ألف سنة قبل الميلاد حيث تردد التجار الهنود على الأجزاء الساحلية من الخليج ومن بينها قطر. وقد اهتم الجغرافيون العرب في القرن التاسع بالتواصل العربي – الهندي. ويرى صادق أن الثورة الاقتصادية الناتجة من ازدهار تجارة اللؤلؤ والمنتجات الحيوانية والتجارة البرية والبحرية عبر موانئ قطرية، لفتت الاهتمام الهندي لإقامة علاقات تجارية مع قطر، بدأت بوادرها خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي؛ بحيث اشترى التجار الهنود اللؤلؤ من قطر وباعوه في السوق الهندية، وهم كانوا يحبذون اللون الأصفر لثبات لونه وتشبهه بالذهب. واختتم صادق مداخلته بتقديم عدد من المكتشفات الأثرية في مدينة الزبارة في شمال قطر (العملة المعدنية الهندية "روبية"، والزخارف الهندية، والمعادن الهندية، والأبارق الهندية)، إضافة إلى مقتنيات هندية قديمة في منطقتي رويضة وفريحة شمال قطر، وفي الدوحة القديمة مثل العاج، والأخشاب، والسقوف، والخزف، ومدابس التمر.

أما الورقة الثالثة التي قدمتها الباحثة سعاد فاضل بعنوان "العلاقات الاقتصادية بين عُمان والهند منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى مطلع القرن العشرين" بالشراكة مع يوسف الغيلاني، فأشارت إلى أن القرب المكاني بين عُمان والهند هيأ للعُمانيين أن يصبحوا رواد الملاحة في التجارة البحرية للشرق. وأشارت إلى أنه في بداية القرن السادس عشر، كان للعمانيين دور مهم في تجارة الشرق، فقد كانوا من أوائل الذين تاجروا مع الصين، كما أسهموا في إنشاء عدد من المراكز التجارية على طول سواحل شرقي أفريقيا. وأضافت أنه منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، أصبحت عُمان من أهم المناطق التجارية في الشرق، وفي منطقة المحيط الهندي. واختتمت فاضل مداخلتها بالتأكيد أن مسقط سيطرت على النشاط التجاري في الخليج العربي، وكان التجار الهنود يؤدون دورًا مهمًا في عملية توزيع تجارة الخليج وتسويقها، وتوفير عديد من البضائع لسكان المناطق القريبة من الهند؛ لكونها تنتج كثيرًا من السلع الأساسية، حتى إن تجارها انتقلوا برؤوس أموالهم ليؤسسوا مشاريعهم التجارية في الدول القريبة من الهند، والواقعة على امتدادها الجغرافي.

## الجوانب الثقافية والأكاديمية في العلاقات العربية – الهندية

استُهلت الجلسة الثانية التي رأسها حيدر سعيد الباحث في المركز العربي، بورقة الباحث أفتاب أحمد بعنوان "دور الترجمة في العلاقات الثقافية العربية - الهندية المعاصرة". تناول أحمد مسألة الترجمة باعتبارها منبعًا أساسيًا ومركزيًا لتجسير العلاقات الثقافية والفكرية بين شعوب العالم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم. وأشار إلى أن الهنود عرفوا العرب والمسلمين في البدايات من خلال ترجمة تعاليم الإسلام والقرآن الكريم. وأضاف أن التاريخ يرشدنا أنه بعد تأسيس الخلافة العباسية مباشرة، بدأت علاقة علمية وثقافية قوية عبر الترجمة بين الهند والعالم العربي؛ فقد استقبل الخليفة أبو جعفر المنصور رجالًا من الباندیت الهندي؛ وهم السكان الأصليون لوادي كشمير، وقاموا بتقديم عدة وثائق حول الرياضيات وعلم الفلك، وقد تمت ترجمة هذه الأعمال في وقت لاحق إلى اللغة العربية بمساعدة هؤلاء الباندیت وبأمر من الخليفة. ويرى أن منتصف القرن الثامن الميلادي شهد بداية عصر التعاون العلمي الهندي العربي. واستنتج أن الترجمة قامت بدور مهم في تقريب المنطقتين، فمعظم الترجمات التي قام بها الهنود في الماضي خاصة خلال الفترة المبكرة لظهور الإسلام غطت مواضيع القرآن والحديث والدراسات الإسلامية. أما في الفترة المعاصرة فقد اهتم الهنود بنقل التراث العلمي والأدبي العربي في ثقافتهم بسبب العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية المتزايدة.

أما الباحث شمس الدين الكيلاني فيرى في ورقته "المُتخيَّل العربي عن الهند في برها وبحرها" أن المتخيل العربي عن الهند كان إيجابيًا منذ قبل الإسلام. ويرى أن العرب تلمسوا هذا الإعجاب من خلال الرمزية البسيطة التي تجلّت في الاسم وهذا ما ظهر عند "هند بنت أبي سفيان". وأضاف أن الجغرافيا العربية أعطت الصورة المتخيلة أبعادًا جديدة، فأغلب الكتب العربية التي بدأت بالمسالك والممالك، أشارت إلى استناد المفكرين العرب المسلمين، في معرفتهم للهند إلى رحلاتهم، وإلى الأخبار التي استقوها من الجغرافيين، والجواسيس، والتجار، والبحارة. وأشار الكيلاني إلى أن المتأمل لما كُتب عند العرب من مدونات ومخطوطات يتجلى له ثراءٌ متخيل كبير قلّ نظيره. وبالاستناد إلى وثائق عديد من الدارسين العرب في شتى دروب رحلاتهم التي قاموا بها، قدّم الكيلاني عرضًا للمتخيل العربي في أعمال الجغرافيا والتاريخ والأدب والفن والفلسفة وكتب العجائب والغرائب والمدونات الموسوعية التي اشتهرت في القرن الرابع عشر للميلاد. واختتم أن هذه الوثائق قدمت صورة نموذجية مهيبة عن الهنود وحضارتهم وثقافتهم وصورها على أنها صورة من العظمة والزهاء.

وجاءت ورقة الباحثين جافيد أحمد خان وديبا كروبان بعنوان "الأبحاث المعاصرة في العلاقات العربية - الهندية في جامعات الهند". وتتبع الباحثان عديد الأبحاث الأكاديمية التي كتبت حول العلاقات العربية والهندية. وأشارا إلى أن السنوات الخمسين الأخيرة بُذل فيها جهود كبيرة في الساحة البحثية الهندية لتناول هذه العلاقات، وأضافا أن هذه الدراسات لم تكن محصورة فقط في مرحلة ما بعد استقلال الهند والعرب، بل تعرضت بحوثٌ عديدة لسياقات تاريخية متعددة. ويرى الباحثان أن عديد الأبحاث التي قدمت في الهند عن العرب ركزت على مجال العلاقات العربية الهندية من منظور تاريخي وسياسي والهجرة والعمالة والطاقة، بينما مواضيع اللغة والأدب والثقافة والتراث ظلت بلا اهتمام كبير. واستنتج الباحثان أن الربع الأخير من القرن الثاني عشر شهد زيادة هائلة في عدد الأبحاث الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث الهندية لا سيما أقسام العلوم السياسية، وأن الباحثين الأكاديميين المعاصرين في قضايا العلاقات العربية - الهندية، شكّلوا تصورًا لدى هاتين المنطقتين، إلا أن هذا لا يعكس التأثير المتبادل في الثقافة، والحضارة، والعمارة، والفلك، والخط، والفقه، والأدب، والرياضيات، والطب، والفلسفة، والدين على مر القرون.

## الجاليات الهندية في دول الخليج العربية

عالجت الجلسة الثالثة التي ترأسها سمير سعيفان الباحث في المركز العربي، قضية العمالة الهندية في منطقة الخليج العربية. وقد افتتح ناصر بن سيف السعدي الجلسة، بتقديم ورقة بعنوان "الجاليات الهندية في منطقة الخليج العربي قبل الطفرة النفطية". واستدل على وجود الجاليات الهندية في منطقة الخليج منذ القدم وذلك على الرغم من قلة الوثائق الدقيقة من حيث البيانات والأرقام. وأوضح أن العلاقة بين الهند وبلدان الخليج العربي فرضتها في الأساس العوامل الجغرافية التي تعود إلى إطلالة المنطقتين على المحيط الهندي؛ والعامل الاقتصادي الذي يعد من أهم الأبعاد التي شكّلت العلاقة بين المنطقتين، والذي يعود إلى هجرة أهل الخليج إلى الهند طلبًا للتجارة، وجلب البضائع والسلع الهندية. وأوضح السعدي إحصائيًا حجم الهجرة الهندية إلى الخليج في حدود القرن الثامن عشر، وأشار إلى وجود الهنود في الخليج قبل هذه المدة بكثير. وأضاف أن أقدم إشارة رقمية في الخليج عام 1765 تشير إلى وجود 1200 هندي في مسقط. أما في البحرين فقد وصل عدد الهنود عام 1941 إلى 1424 هنديًا، بينما انخفض عدد الهنود في الكويت وقطر في العام

نفسه. ومن جهة أخرى أحصى السعدي 15 اسمًا لشخصيات هندية مختلفة لم ترد في النصوص المحال عليها سابقًا فقط، ولكن في تاريخ الخليج المعاصر.

أما الباحث فيكال جون فارغيز، فقد قدم ورقة بحثية بعنوان "سياسات الدولة وصناعة الهجرة بين الهند ودول الخليج العربي". عرض فارغيز إحالة تفصيلية لحادثة التزوير والفساد التي تم الكشف عنها في الهند عام 2015، والتي تعلقت بعقود عمل لنحو 1500 ممرضة هندية. وأشار إلى أن التحقيقات في هذه القضية بينت أن مجموع المبالغ التي تقاضاها مكتب التعيينات تجاوزت ستة ملايين روبية هندية. وأضاف فارغيز أن الهند منذ عام 2005 بدأت تستعمل التكنولوجيا الرقمية لضبط هذه الهجرة والحد منها. وهذا النوع من التكنولوجيا مكّن من تسهيل السفر إلى مناطق مختلفة من العالم. وركز فارغيز على قضية "صناعة الهجرة" وأشار إلى أنه من خلال "مصفوفة هجرة" يمكننا فهم عملية الهجرة من حيث المصالح والمناطق والمؤسسات والتكنولوجيا. واستدلّ على ذلك بالاعتماد على نموذج الممرضات الهنديات المهاجرات إلى الخليج؛ إذ إن هجرة الممرضات أدت إلى نقص معدلات أعدادهن في بلدهن الأصلي إلى معدل ممرضة لكل 1300 شخص. وهو ما يثبت أن هجرتهن لا تعود إلى قلة الطلب عليهن في السوق الهندية بل إلى ظروفهن الاقتصادية ذات الدخل المنخفض، إضافة إلى الظروف الاجتماعية التي تقلل من قيمة الممرضات.

أما عن "الجاليات الهندية في دول الخليج العربية: القوة والتأثير" فقد بيّن الباحث مهند النداوي في ورقته أن العلاقات الهندية - الخليجية مهمة وآخذة في التطور نظرًا إلى دور الهند الدولي والاقتصادي من جهة ودور دول الخليج باعتبارها خزانًا عالميًا للطاقة، من جهة ثانية. وأشار النداوي إلى أن العمالة الهندية في الخليج تمثل إضافةً مهمة للاقتصاد الهندي من خلال التحويلات التي تستفيد منها الهند. وأضاف أن الهجرة الهندية بدأت منذ ثلاثينيات القرن العشرين وهي هجرة ذات طابع عمالي بالأساس. وقد ازدادت منذ العقد الأول من القرن العشرين. ويضيف أن الهجرة إلى الخليج عام 2015 تم تصنيفها إلى 70 في المئة من العمالة الماهرة وشبه الماهرة، و20 في المئة من المهنيين والفنيين، و10 في المئة لفئة العمالة من غير المهرة. واختتم بالحديث عن التحويلات الهندية من الخليج إلى البلد الأم، وقدم أرقامًا توضح أن الإمارات العربية المتحدة تحتل المرتبة الأولى بـ 80 في المئة، أما قطر فكان لها أقل نصيب بنحو 7 في المئة. ويضيف أن نسبة العمال الهنود في الخليج ارتفعت إلى أن أصبحت تغطي 36 في المئة من مجموع سكان البحرين، و35 في المئة في قطر، و34 في المئة في الإمارات.

وقدمت الباحثة سهام معط الله ورقة بعنوان "العمالة الهندية في دول الخليج العربي: محدداتها الداخلية ودوافعها الخارجية". وأوضحت أن أسباب الهجرة الهندية إلى منطقة الخليج متعددة، وأهمها الفقر والبطالة والحاجة إلى تحسين مستوى المعيشة. وأبرزت انعكاس أزمة أسعار النفط في منطقة الخليج سلبيًا على هجرة العمال نحو الخليج وعلى التحويلات المالية من الخليج إلى الهند، الأمر الذي يؤدي حتميًا إلى أزمة عمل لا تشمل الهنود العاملين في الخليج فقط بل تشمل المواطنين الخليجيين أيضًا. ولذلك، ترى معط الله أن دول الخليج قامت برفع حصص المواطنين الخليجيين في القطاع الخاص وتحفيز المواطنين على إيجاد مواطن شغل في القطاع الخاص من أجل التخفيف على القطاع العام، إضافةً إلى التخطيط لوضع ضريبة على التحويلات وتخفيض العمالة الأجنبية والترفيع في العمالة المحلية، وهو ما بات يهدد عديد العمال الهنود من ذوي المهارات المنخفضة. وأضافت معط الله أن عدم المساواة في توزيع الدخل والبطالة في الهند لهما تأثير إيجابي في تطوير الهجرة الهندية نحو الخليج.

## قراءة في العلاقات العربية - الهندية (1)

ترأس الأستاذ في معهد الدوحة، عبد الوهاب الأفندي، الجلسة الرابعة. وقدم الباحث أفتاب كمال باشا ورقة بعنوان "روابط الهند مع غرب آسيا وشمال أفريقيا: العوامل السياسية والاقتصادية". وخلص إلى أن سياسات الهند لا تزال قائمة على تجنّب الانحياز إلى أي طرف في الصراعات الإقليمية في المنطقة العربية بهدف الحفاظ على علاقات متوازنة مع جميع الدول، وأن الهند تتطلّع إلى بناء آليات مؤسسية شاملة تتيح حوارًا إستراتيجيًا؛ وإن كان الواقع غير ذلك. وأوضح أن علاقات الهند بالدول العربية قبل عام 1947، كانت قائمة على تبادل المصالح مع غياب شبه كامل لأيّ نزاع بين الطرفين. ومنذ عام 1973، ساهم نفط المنطقة وموقعها الإستراتيجي في جعلها شريكًا اقتصاديًا وسياسيًا متناميًا في مجالات الطاقة والأمن الغذائي والعمالة والتعاون التجاري والمالي والاستثماري. وقال باشا إن منطقة الخليج تعد مهمة لعدة أسباب؛ أولًا: لأن الهند تستورد 80 في المئة من النفط والغاز من دول الجوار. وثانيًا: يعمل قرابة 8 ملايين هندي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وثالثًا: تعد المنطقة مهمة من حيث التجارة والاستثمار. ورابعًا: الحاجة إلى إنتاج الحبوب الغذائية الكافية لعدد سكان الهند المتنامي؛ فالخليج مهم لأمن الهند الغذائي.

وقدم الباحث عثمان لمراني علوي ورقة بعنوان "القارة الأفريقية نقطة التقاء المصالح الاقتصادية للمغرب والهند". وأبرز أن العلاقات بين الهند وأفريقيا من أقدم العلاقات التاريخية التي ربطت بين

المكونات البشرية لقارتين. وأضاف أن المميز في هذه العلاقات هو طابعها السلمي العام، القائم أساسًا على تبادل المنافع الاقتصادية التي توطدت خلال فترة الحكم الإسلامي الذي وصل إلى الهند، في نهاية القرن الخامس عشر. وأضاف علوي أنه مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات شهدت العلاقات الثنائية توترات متلاحقة، خاصةً أن الهند أصبحت أكثر تقاربًا مع الجزائر المستقلة حديثًا عام 1962 بسبب حاجتها إلى موارد الطاقة، في حين تنامت علاقات المغرب مع باكستان التي لا تكاد مواجهاتها وخلافاتها تنقطع مع جارتها الهند. أما عن فترة الثمانينيات، فيرى علوي أنها شهدت نوعًا من الانفراج في العلاقات، بعد توقيع عدد من الاتفاقيات عام 1981. واختتم علوي حديثه بأن هذا التطور في العلاقات لا يرقى إلى مستوى تطلعات البلدين وأهدافهما الإستراتيجية ومشاريعهما المستقبلية؛ فصادرات المغرب نحو الهند تكاد تنحصر في الفوسفات ومشتقاته؛ إذ تقارب الـ 96 في المئة من حجم الصادرات، في حين تقتصر وارداته من الهند على الخيوط والألياف الاصطناعية والأدوية والمنتجات الكيماوية.

واختتم الباحث عصام عبد الشافي الجلسة بورقة بعنوان "العلاقات المصرية – الهندية بعد 2011: جدل الثنائية والأطراف الثالثية". فعلى صعيد العلاقات السياسية، أوضح عبد الشافي أن العلاقات منذ ثورة يناير 2011 شهدت تناميًا متزايدًا بدأت مع زيارة الرئيس المصري السابق، محمد مرسي الهند عام 2013، وتوقيعه اتفاقيات ثنائية تهدف إلى تعزيز التعاون في التعليم، والطاقة، والتكنولوجيا، ودعم تنمية الصناعات الصغيرة، وإطلاق أقمار صناعية، والاستثمار في الطاقة الشمسية. واستمرت بعد انقلاب عام 2013، وتوقيع اتفاقيات لتعزيز الشراكات الدولية ضد الإرهاب. أما على المستوى الاقتصادي، فتم الاتفاق منذ عام 2011 على رفع حجم التبادل بين البلدين، لينتقل من 3.2 مليارات دولار إلى نحو 5 مليارات دولار. إلا أن التقلبات السياسية التي مرت بها مصر أثرت في تنامي التعاون الثنائي؛ إذ وصلت الصادرات المصرية عامي 2015 و2016 إلى 648 و873 مليون دولار على التوالي مقارنة بنحو 1.92 مليار دولار خلال عام 2014 بمعدل انخفاض بلغ 25.7 في المئة و54.6 في المئة خلال عامي 2016 و2015، في حين سجلت الصادرات المصرية أعلى قيمة لها خلال عام 2011 بقيمة 2.26 مليار دولار.

## قراءة في العلاقات العربية – الهندية (2)

استهلت الجلسة الأولى من أعمال اليوم الثاني للمؤتمر، والتي رأسها الأكاديمي في جامعة قطر ماجد الأنصاري، بورقة للباحث دبيش أناند بعنوان "مقاربة الهند المتحولة نحو الوطن العربي: من مكافحة الاستعمار إلى ما بعد الاستعمار"، أوضح فيها أن التحول في سياسة الهند الخارجية يعود إلى تأثير اللوبي الإسرائيلي في الهند في واشنطن، وتراجع أهمية القضية الفلسطينية لدى البلدان العربية، وقضية كشمير.

ويرى أناند أن سياسة الهند الخارجية شهدت تحولات في مرحلة ما بعد الاستعمار عن مرحلة الاستعمار؛ إذ شهد نهج الهند فيما يتعلّق بغرب آسيا تحوّلًا يمكن أن يوصف بأنه تميّز، بدايةً، بالتفكير المناهض للاستعمار وعدم الانحياز، والرغبة في إنشاء دولة قومية تنعم بالسيادة، ليتّسم لاحقًا بتفكير ما بعد الاستعمار الذي يقتصر فيه التركيز على خدمة مصالح القوى الصاعدة. وظهر ذلك جليًّا في قضية فلسطين وإسرائيل. واختتم أناند بالحديث عن ثلاثة تفسيرات غالبًا ما يغيب ذكرها، للتحول في السياسة الخارجية الهندية وهي، أولًا: قيام اللوبي الصهيوني بتعزيز العلاقة بين الصهيونية والقومية الهندوسية. وثانيًا: فشل وسائل الإعلام في دعم القضية الفلسطينية. وثالثًا: قضية كشمير؛ فالاتفاقات العسكرية بين الهند وإسرائيل بوصفهما قوتين استعماريتين عززت لدى الطرفين عداءً غير مبرر تجاه المسلمين.

أما الباحث أيمن يوسف فقدم ورقة بعنوان "إسرائيل وفلسطين في السياسة الخارجية الهندية: إشكالية المبادئ وبراغماتية المصالح"، وذلك بالشراكة مع الباحث محمود الفطافطة. فقد سعت الهند بعد انتهاء الحرب الباردة إلى تفعيل أدوات سياستها الخارجية، وتوسيع دائرة نشاطها الدبلوماسي تجاه عدد من دول العالم. وقد اتجهت سياسة الهند الخارجية بعد الحرب الباردة، وفي ضوء بروز عوامل ومتغيرات دولية جديدة، نحو تغليب المصالح والاعتبارات الاقتصادية والإستراتيجية. وطورت الهند علاقتها بإسرائيل مطلع تسعينيات القرن الماضي، بيد أنها تبنت مع مرور الوقت سياسة خارجية مركبة وذكية تحاول التوفيق بين التناقضات، فعمقت من جهة علاقتها الإستراتيجية مع إسرائيل، في الوقت الذي عمقت فيه روابطها السياسية والاقتصادية مع الدول العربية، ثم استمرت في مساندتها القضية الفلسطينية. واختُتمت الورقة بالحديث أن الشراكة الهندية – الإسرائيلية انعكست على القضية الفلسطينية في عدة جوانب؛ فعلى الصعيد السياسي انتقلت السياسة من العامل الأيديولوجي إلى العامل البراغماتي لا سيما بعد تعرضها للأزمة الاقتصادية الداخلية في بداية تسعينيات القرن الماضي. وعلى الصعيد الاقتصادي فإن تقوية العلاقة بين الهند وإسرائيل تفتح المجال أمام إسرائيل لفك حاجز العزلة وتوسيع تجارتها وخبراتها الاقتصادية في مجالات متعددة.

ثم قدم الباحث عمير أنس ورقة بعنوان "نهاية سياسة الهند المترددة تجاه غرب آسيا". وأبرز أن الخطاب السياسي الذي اعتمدته الهند

تجاه غرب آسيا استند إلى تأمين احتياجاتها من الطاقة، وتأمين سبعة ملايين هندي يعيشون في المنطقة، وضمان التحويلات المالية من المنطقة، والحفاظ على تبادل تجاري، وتعزيز الروابط الثقافية والحضارية. إلا أن مسألة مكافحة الإرهاب باتت في العقد الأخير، عنصرًا رئيسًا آخر في تحديد مصالح الطرفيْن وأدّت إلى ترسيخ التعاون في القضايا الأمنية. ويرى أنس أن تحول سياسة الصين الخارجية إلى نوع من الحياد دفع الهند لاتخاذ نوع من الحياد أيضًا تجاه قضايا المنطقة. ولهذا نرى أن الهند وإن اعترفت بإسرائيل مطلع تسعينيات القرن الماضي فهي لم تنشئ علاقات جيدة معها. وبيّن أن ثمة اختلافات عديدة في سياسة الهند ودول غرب آسيا، وأن هناك فروقات تاريخية لم تعد ذات معنى ومغزى اليوم، فالحديث عن الصهيونية والقضية الفلسطينية كلها أمور تبقى موجودة ضمن العلاقة التاريخية لا سيما دعم منظمة التحرير الفلسطينية. واختتم أنس بأن كثيرًا من الدول العربية والإسلامية تدعم ملف كشمير، وهذا كان عاملًا رئيسًا في رسم التحفظ الهندي، فهناك وجود كبير للجاليات الهندية في هذه الدول.

## مستقبل العلاقات العربية – الهندية: الطاقة وقضايا أخرى

في الجلسة الثانية التي ترأسها الأستاذ في معهد الدوحة، عادل الزاغة، استهل الباحث محمد أزهر الجلسة بمداخلة عن "جوانب العلاقات العربية - الهندية: الطاقة وأبعاد أخرى". وأكد أن الطاقة تحظى بأهمية كبيرة في العلاقات الهندية - العربية، وأن الهند تسابق الصين في عملية التنمية، ولهذا فهي تسعى من خلال الاستفادة من مصادر الطاقة إلى رفع معدلات النمو الاقتصادي. وأوضح أن التجارة الهندية تعززت بصورة كبيرة مع الدول العربية، ولهذا فالعالم العربي يحظى بالمركز الثاني من حيث التبادل التجاري مع الهند. إلا أن صادرات الهند تراجعت مؤخرًا بسبب تراجع أسعار الطاقة؛ إذ أضحت الصادرات الهندية تمثل نحو 55 في المئة من واردات النفط، بينما تمثل واردات الهند من الطاقة قرابة 55 في المئة من النفط الخام، و80 في المئة من الفوسفات والكالسيوم الطبيعي خلال الفترة 2016-2017. واستنتج أزهر أن ثلث استيراد الهند من الدول العربية يقوم على منتجات غير بترولية؛ فالهند تستورد كثيرًا من الأسمدة من الدول العربية، للاعتماد عليها في الزراعة، بينما تقدم الهند صادرات للمنطقة العربية تمثل نحو 62 في المئة من احتياجاتها من الأرز.

وقدم الباحث ناصر التميمي ورقة بعنوان "تنامي استهلاك الطاقة في الهند: الفرص والتحديات لدول الخليج العربية"، ركز فيها على العلاقات بين دول الخليج العربية والهند في جانب الطاقة إضافةً إلى استشراف تطور هذه العلاقات على المستوى المنظور والمتوسط، وذلك استنادًا إلى أن دول الخليج العربية تعتبر أكبر مصدر للنفط والغاز المسال في العالم. وأوضح التميمي أن الهند تحظى بمكانة مهمة لدى دول الخليج العربية وهي تعتبر أكبر مصدّر للطاقة إلى الهند. أما في جانب التجارة، فأبرز التميمي أن دول الخليج العربية تحتل المرتبة الأولى بالنسبة إلى الشراكة التجارية مع الهند، كما أن أهمية الخليج المتزايدة في الحسابات الإستراتيجية الهندية، مرتبطة ارتباطًا كبيرًا بالمخاوف الهندية من النوايا الصينية في قضايا، مثل: مشروع الحزام والطريق، والإرهـاب، والأمن الإستراتيجي، وأمن الطاقة. واختتم التميمي بأن هناك بعض العقبات التي قد تحول دون تحقيق تطور في العلاقة بين المنطقتين، أهمها التحديات البيروقراطية، والفساد، وأسعار الطاقة المرتفعة، والاتجاه المتصاعد الذي يدعو إلى تنويع مصادر الطاقة، إضافةً إلى التوترات بين الهند والصين وباكستان، والتوترات التي تعانيها المنطقة العربية.

أما الباحث غيريجاش بانت فجاءت ورقته بعنوان "السياق المتغير في العلاقات العربية - الهندية: الطاقة وما بعدها". أوضح الباحث أن هناك إمكانيات كبيرة استشرافية قد تؤدي إلى تطور العلاقات العربية - الهندية، خارج مجال الطاقة. وبيّن أن السياسة الهندية بدأت تأخذ منحى النظر إلى هذه العلاقة على أساس جيوسياسي، ولهذا فهناك حاجة إلى تحقيق الانسجام بين المنطقتين بصورة حثيثة. وأشار بانت إلى أن العلاقات الهندية - العربية تشهد تغيّرًا لافتًا للانتباه. فارتباط الطرفين الحضاري الديناميكي لا يزال يتردّد صداه بصفته مرجعية، إلا أنه فقد زخمه في خضمّ تقلبات السياسات العالمية وانعكاساتها في فترات زمنية متفاوتة. وعن العلاقة بين العرب والهند، عالج بانت الأسس التي تستوجب تفاهمًا ثنائيًا بين الطرفين لتقوية العلاقات لا سيما في مجالات خارج قطاع الطاقة. وختم بتوصية الدول العربية الساعية لتطبيع اقتصادها الريعي من خلال تطوير المؤهلات المحلية بأن عليها تطوير التعاون في مجال الطاقة المتجددة والتكنولوجيا والبحث والتطوير.

## العرب والهند: السياقات الإستراتيجية والعسكرية

في الجلسة الختامية التي ترأّسها سحيم آل ثاني، افتتحت بهية بنت سعيد العذوبية الجلسة بورقة بعنوان "العلاقات العسكرية العمانية - الهندية في الفترة 1913-1970". وأوضحت أن العلاقات العُمانية – الهندية أخذت أهميتها من الموقع الإستراتيجي للبلدين، وهذا بدوره انعكس على العلاقات الاقتصادية والتجارية والعسكرية

منذ الاستعمار البريطاني. وبينت أن الوجود العسكري الهندي في عمان الذي يعود إلى الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج العربية، ارتبط بمحاولة بريطانيا إنهاء الحرب لمصلحة السلطان في مطرح بعد ظهور الإمامة. وأشارت إلى أن الوجود العسكري الهندي مر بمراحل عدة استمرت إلى ما بعد استقلال باكستان. وأبرزت العذوبية أن أهم دليل على الوجود العسكري يعود إلى المصطلحات العسكرية من جهة واللباس العسكري من جهة أخرى. ومن المصطلحات العسكرية الهندية التي تأثرت بها القوات العمانية ذكرت العذوبية "بيت عشمير" في إحالة إلى معسكر "قوة الباطنة"، ورتب الضباط على غرار "صوبيدار" أي ملازم أول، و"جمدار" أي ملازم ثان، و"دوبي" أي الفئات غير القتالية، و"سيبوي" أي الفارس، و"خاكي" أو "كاكي" أي لون الملابس بمعنى الغبار أو لون الغبار. كما أظهرت العذوبية التأثير الثاني في الملابس العسكرية المتشابهة التي تتكون من قميص وبنطال قصير بلون كاكي وحزام عريض بلون أبيض وجوارب طويلة حمراء وأربطة لأسفل الجوارب بلون بني وكمة بلون بني معقودة بشريط أحمر.

ثم قدم كاديرا بثياغودا ورقة بعنوان "العلاقات الهندية بدول الخليج العربية وفرصها الإستراتيجية". وبدأ الباحث مداخلته بملاحظة أن العلاقات الهندية - الخليجية يتم اختزالها دائمًا في الجانب الاقتصادي. ومن الممكن تفهّم هذا الاختزال بالعودة إلى حجم العلاقات الاقتصادية الموجودة على الأرض بين الهند والخليج؛ فقد سجلت المبادلات بين البلدين سنة 2016 قيمة 91 مليار دولار. وأوضح الباحث أن العلاقات بين المنطقتين تشير إلى تقسيم واضح للعمل بينهما؛ إذ يوفر الخليج الطاقة عمومًا بينما توفر الهند العمالة. وعرض بثياغودا مجموعة من العوامل الواقعية التي أثرت في العلاقات الخليجية - الهندية التي قد تفتح نوعًا جديدًا من التحليل الإستراتيجي. ورأى أن لدى الهند مسعى دائمًا دوليًا وإستراتيجيًا واقتصاديًا لتتبوأ مكانة عالمية. وهو ما يفسر المسارعة الهندية في عملية التسلح التي ارتبطت مباشرة بالكمّ الهائل من الواردات من الطاقة والتي يحتل فيها الخليج مكانة مهمة. وقد ساهمت هذه الحاجة الهندية إلى الطاقة الخليجية في تحويل العلاقة بين الطرفين إلى علاقة إستراتيجية لا علاقة اقتصادية فقط. وأوضح بثياغودا أن عملية تحويل العلاقات إلى علاقات إستراتيجية تواجه عديد العراقيل لعل من أهمها الوضع الأمني في الشرق الأوسط. وفي النهاية استنتج بثياغودا أن تجريد الخليج على مستوى العلاقات الاقتصادية فقط لم يعد كافيًا. ولهذا يجب على البيروقراطية الهندية أن تنظر إلى المنطقة باعتبارها جزءًا من العلاقات الجيوبوليتيكية. كما يجب التعامل الحذر مع الصراعات في المنطقة والسعي إلى حلها.

وفي الختام، قدم الباحث عماد قدورة ورقةً بعنوان "الأهمية الجيوبولتيكية لدول الخليج العربية في إستراتيجية الهند". وأوضح أن الموقع الجيوسياسي للخليج يتمتع بحسب التوصيفات الجيوبولتيكية منذ منتصف القرن العشرين بأنه يقع على أطراف منطقة أوراسيا التي استهدفتها سياسة الاحتواء التقليدية. كما يتميز بموقع محوري بالنسبة إلى آسيا، وهو يعد ركنًا أساسيًا في إستراتيجية الهند الرسمية في المحيط الهندي. ويعد الخليج، كما يطلق عليه الباحث "قلب الاقتصادات الصاعدة" كالهند والصين، بسبب اعتمادهما المكثف عليه في إمدادات الطاقة حاليًا، وتزايد ذلك في المستقبل. وعن الأهمية الجيوبولتيكية للخليج ودوره في الاقتصاد الدولي ومكانته في الاقتصاد الهندي ومدى تأثير الفاعلين الدوليين، يرى قدورة أن الخليج له ميزات إستراتيجية تتمثل أولًا، بأهميته الجغرافية الثابتة؛ وثانيًا، الأهمية الاقتصادية التي تعطيه دورًا سياسيًا مركزيًا في المنطقة والعالم؛ وثالثًا، الدور المالي المتزايد إقليميًا وعالميًا. وخلص قدورة إلى أن دول الخليج أصبحت تهتم بتوثيق علاقاتها بدول آسيا والهند خصوصًا، بعد تزايد تحوّل مركز الثقل الاقتصادي الدولي نحو الشرق. أما عن موقع الخليج في هذه الإستراتيجية، فيرى أن لدى الخليج أولوية باعتبارها من أهم الشركاء التجاريين للهند في العالم، إذ يُتوقع أن يرتفع اعتماد الهند على النفط والغاز من الخارج عمومًا إلى 92 في المئة عام 2030. كما أن الجالية الهندية في الخليج تمثل جزءًا من مصالح الهند وأمنها. واختتم قدورة مداخلته بتحليل مفصّل للتحديات الإستراتيجية الإقليمية لإستراتيجية الهند تجاه الخليج، وأهمها تأسيس الصين للقواعد الأمنية والتجارية في المحيط الهندي على طرق التجارة البحرية، وتطوير علاقاتها بالدول المطلة على المحيط الهندي ومنها دول الخليج، وهو ما تسعى الهند إلى مواجهته بإستراتيجية مماثلة. ومن ثمّ، يتوقع أن يتزايد التنافس الهندي – الصيني في المحيط الهندي عمومًا، وإزاء منطقة الخليج على نحوٍ خاص.

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

مجلة **سياسات عربية** مجلة محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. تحمل الرقم الدولي المعياري (ISSN: 2307-1583). وقد صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. وهي مجلة محكّمة تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. وبعد ثلاث سنوات من الخبرة، والتفاعل مع المختصين والمهتمين، صدر خلالها من المجلة ثمانية عشر عددًا، أعادت المجلة هيكلة نفسها بما يتوافق مع المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

تُعنى المجلة بالمقالات والدراسات والبحوث وبالأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والسياسات المقارنة، والنظم المؤسسية الوطنية أو الإقليمية والدولية، بما في ذلك دراسات الحالات والسياسات، وعمل النظم السياسية والسلوك السياسي للحكومات والقوى السياسية والاجتماعية والحزبية وسائر الفاعلين الاجتماعيين - السياسيين، واتجاهات المجتمع المدني والمشاركة السياسية والاجتماعية. ويندرج في هذا السياق اهتمامها بالسياسات العمومية وبالدراسات الأمنية والإستراتيجية وقضايا الديبلوماسية والتعاون الدولي، ودراسات الرأي العام وقضايا الهجرة والتهجير والحروب والصراعات الأهلية وقضايا حقوق الإنسان. وتهتم بصورة خاصة بمرحلة الانتقال السياسي العامة الجارية في الوطن العربي، ولا سيما منها مراحل الانتقال الديمقراطي على المستويات السياسية كافة، وما يتعلق بها من جوانب قانونية دستورية ومؤسسية.

إضافةً إلى الهيئتين التحريرية والاستشارية، تستند المجلة في عملها إلى وحدتين نشطتين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، هما "وحدة تحليل السياسات" ووحدة "المؤشر العربي" الذي يصدر تقريره كلّ عام. وتتكامل في عملها مع برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا، ومع برنامج "التحوّل الديمقراطي" في المركز.

تعتمد مجلة "**سياسات عربية**" المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدّا خصيصًا للمجلة، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًّا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.
- الملخّص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (100 - 125) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية (Key Words) بعد الملخص، ويقدّم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصّل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصوّر المفاهيمي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة بيبليوغرافية تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث إضافةً إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش. وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية(الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده المركز( ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).
- لا تنشر المجلة مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا بشكل استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في المجلة، وفي هذه الحالة على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- تهتم المجلة بنشر مراجعات نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثًا في مجالات اختصاصها بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات، وألّا يتجاوز عدد كلماتها 2800 - 3000 كلمة. ويجب أن يقع هذا الكتاب في مجال اختصاص الباحث أو في مجال اهتماماته البحثية الأساسية، وتخضع المراجعات إلى ما تخضع له البحوث من قواعد التحكيم.
- تفرد المجلة بابًا خاصًا للمناقشات لفكرة أو نظرية أو قضية مثارة في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية لا يتجاوز عدد كلمات المناقشة (2800 - 3000) كلمة، وتخضع المناقشات إلى ما تخضع له البحوث من قواعد التحكيم.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، والقائمة البيبليوغرافية وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين 6000 - 8000 كلمة، وللمجلة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي استغلت بها في الأصل بحسب برنامجَي اكسل(Excel) أو وورد(Word)، ولا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز. وفي حال تبايُن تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم المجلة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم المجلة ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم المجلة جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية التي تقدّمها للبحث... إلخ.
- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.

- لا تدفع المجلة مكافآت ماليّة عن الموادّ - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلة أيّ رسوم على النشر فيها.

# ملحق 1:
# أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

## الكتب

اسم المؤلّف، **عنوان الكتاب**، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة 265 (الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 227.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة "وآخرون". مثال:

- السيد ياسين وآخرون، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين وآخرون، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد وآخرون. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

## الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم المجلّة**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، المجلد 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. المجلد 15. العدد 1 (2009).

## مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- إيان بلاك، "الأسد يحثّ الولايات المتحدة لإعادة فتح الطّرق الدبلوماسية مع دمشق"، **الغارديان**، 2009/2/17.

## المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: http://www.....

ويتعين ذكر الرابط كاملًا، أو يكتب مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط (Bitly) أو (Google Shortner). مثل:

"ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB

- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

# ملحق 2

## أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- تعتمد مجلات المركز قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل المجلة البحث على قارئ مرجّح آخر.
- تعتمد مجلات المركز محّكمين موثوقين ومجرّبين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
- تعتمد مجلات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
- لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ متميّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
- تقدّم المجلة في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
- تلتزم المجلة إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.

- تلتزم مجلات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
- احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.
- قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
- تتقيد المجلات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال على المجلة في بحوثهم الخاصة.
- النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض المجلة النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة المجلة إلى الباحث.
- حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلاته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًّا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
- تتقيد مجلات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
- المجانية. تلتزم مجلّات المركز العربي بمجّانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or connections with any of the authors, companies, or institutions connected to the papers.

10. Confidentiality: Unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.

11. Intellectual property and copyright: The ACRPS retains copyright to all articles published in its peer-reviewed journals. The articles may not be published elsewhere fully or partially, in Arabic or in another language, without an explicit written authorization from the ACRPS.

12. Siyasat Arabiya's editorial board fully respects intellectual property when translating and publishing an article published in a foreign journal, and will not proceed before getting the authorization from the journal in question.

13. Siyasat Arabiya does not make payments for manuscripts published in the journal, and all authors and researchers are exempt from publication fees.

John Vidal, "Middle East faces water shortages for the next 25 years, study says," *The Guardian,* 27/8/2015, accessed on 31/10/2015, at: http://bit.ly/2k97Wxw

Policy Analysis Unit-ACRPS, "President Trump: An Attempt to Understand the Background," *Assessment Report,* The Arab Center for Research and Policy Studies, accessed on 10/11/2016, at: http://bit.ly/2j36v5S

# Annex II

## **Ethical Guidelines for Publication in** Siyasat Arabiya

1. Siyasat Arabiya's editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects the appropriate reviewer to assess paper's suitability for publication, according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third peer-reviewer will be selected.
2. Siyasat Arabiya relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. Siyasat Arabiya adopts a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. Disclosure: With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. When needed, based on the reviewer report, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. Siyasat Arabiya's editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing quality professional *copy editing*, *proof reading and online publishing service*.
8. Fairness: The editors and the reviewers evaluate manuscripts for their intellectual and scientific merit, without regard to race, ethnicity, gender, religious beliefs or political views of the authors.

The corresponding bibliographical entry:

Pollan, Michael. *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals*. New York: Penguin, 2006.

For books by three or more authors, in the note, list only the first author, followed by et al.:

Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies* (London: Sage, 1994), pp. 220-221.

In later quotes: Gibbons et al., p. 35.

The corresponding bibliographical entry:

Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

## Periodicals

Author's name, "article title," *journal title*, volume number, issue number (Month/season Year), page numbers.

Joshua I. Weinstein, "The Market in Plato's Republic," *Classical Philology*, no. 104 (2009), p. 440.

The corresponding bibliographical entry:

Weinstein, Joshua I. "The Market in Plato's Republic." *Classical Philology*. no. 104 (2009),.

## Articles in a Newspaper or Popular Magazine

N.B. Cited only in footnotes, not in the references/bibliography. Example:

Ellen Barry, "Insisting on Assad's Exit Will Cost More Lives, Russian Says," *The New York Times*, 29/12/2012.

## Electronic Resources

When quoting electronic resources on websites, please include all the following: Author's name (if available), "The article or report title," series name (if available), website's name, date of publication (if available), accessed on 9/8/2016, at: http://www...

The full link to the exact page should be included. Please use an URL Shortener (Bitly) or (Google Shortner). Example:

rigorous scrutiny which apply to research papers. Book reviews must be between 2,800 and 3,000 words in length.

j. *Siyasat Arabiya* has a special section for discussions of a topical idea, theory, or issue in political science and international relations. Such contributions should be no longer than 2,800-3,000 words and are subject to the same peer-review rules as articles.

4. The peer review process for *Siyasat Arabiya* and for all journals published by the ACRPS is conducted in the strictest confidence. Two preliminary reviewers are selected from a short list of approved reader-reviewers. In cases where there is a major discrepancy between the first two reviewers in their assessment of the paper, the paper will be referred to a third reviewer. The editors will notify all authors of a decision either to publish, publish with modifications, or to decline to publish, within two months of the receipt of the first draft.

5. *Siyasat Arabiya's* editorial board adheres to a strict code of ethical conduct, which has the clearest respect for the privacy and the confidentiality of authors. The journal does not make payments for articles published in the journal, nor does it accept payment in exchange for publication. In the final production stages, the order of articles published in specific editions is decided on purely technical grounds.

# Annex I

## Footnotes and Bibliography

## Books

Author's name, *Title of Book*, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99 - 100.

Gabriel García Márquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 242 - 55.

In quotes not immediately following the reference: Pollan, p. 31.

Where there are several references by the same author, add a short title: Pollan, *Omnivore's Dilemma*, p. 31.

In quotes immediately following the reference: Ibid., p. 32.

2. Submissions must be accompanied by a curriculum vitae (CV) of the author, in both Arabic and English.

3. All submissions must include the following elements:

a. A title in both Arabic and English together with the author's institutional affiliation.

b. An abstract, ranging between 250 and 300 words in length as well as a list of keywords. The abstract must explicitly and clearly spell out the research problematic, the methodologies used, and the main conclusions arrived at. These must be provided in one English, and one Arabic version.

c. The research paper must include the following: a specification of the research problematic; an explanation of the significance of the topic; specification of thesis or arguments; review of literature emphasizing gaps or limitations in previous analysis; description of research methodology; hypothesis and conceptual framework; bibliography.

d. All research papers submitted for consideration must include a complete bibliography covering all references, regardless of whether or not these appear in the footnotes. References must be cited in the original language in which the source was written. Authors must follow the referencing guidelines adopted by the Arab Center for Research and Policy Studies (See Appendix I for a complete guide to the reference style used across all of our journals).

e. Research papers must normally be between 6,000 and 8,000 words in length, inclusive of references, charts and tables, and appendices. The editors reserve the right to publish articles of longer length in exceptional circumstances.

f. All diagrams, charts, figures and tables must be provided in a format compatible with either Microsoft Office's spreadsheet software (Excel) or Microsoft Office's word processing suite (Word), alongside high resolution images. Charts will not be accepted without the accompanying data from which they were produced.

g. Submitted research must fall within the aims and research interests of the journal.

h. Extracts or chapters from doctoral theses and other student projects are only published in exceptional circumstances. In such cases, the researcher should point this out clearly, and provide full information about the thesis, including the title, the awarding institution and date of award.

i. Book reviews will be considered for submission to the journal provided that the book covers a topic which falls within the scope of the journal and within the reviewer's academic specialization and/or main areas of research. Reviews are accepted for books written in any language, provided they have been published in the previous 3 years. Book reviews are subject to the same standards of

SIYASAT ARABIYA سياسات عربية

# Siyasat Arabiya: A Peer Reviewed Journal in Political Science

*Siyasat Arabiya* is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies (ISSN 2307-1583) dedicated to political science, international relations, strategic affairs and public policy. First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science including international relations, comparative politics, and national, regional, and international institutional systems. The journal publishes critical insights into the operation of political systems, the behavior of governments and political parties as well as the trends in civil society and social and political participation more broadly. This is complemented with publications covering public opinion, issues of migration and forced migration, war, civil war, conflict and human rights issues. Particular attention is paid to the present-day political transition in the Arab world, especially democratization at all political levels and its legal-constitutional and institutional aspects.

In addition to the editorial and advisory boards, the journal relies on two units active within the Arab Center of Research and Policy Studies (ACRPS): the Policy Analysis Unit and the Arab Opinion Index, which produces an annual report on public opinion across the Arab world. The journal's work is also closely linked to the political science program at the Doha Institute for Graduate Studies and the Program for the Study of Arab Democratization within the ACRPS.

Publication in *Siyasat Arabiya* is governed by a strict code of ethics guiding the relationship between the editorial staff and contributors. With three years of experience and interaction with specialists and contributors the journal was recently (Spring, 2016) restructured to bring it in line with international standards of academic publishing. Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must therefore adhere to the following guidelines:

1. Original work which is submitted exclusively for publication within the journal. No work which has been previously published fully or in part will be considered for publication in *Siyasat Arabiya*. Similarly, no work which substantially resembles any other work published in either print or electronic form, or submitted to a conference other than the conferences held by the ACRPS will be considered for publication.

# دعوة للكتابة

تدعو دورية "سياسات عربية" الأكاديميين والباحثين وسائر الكتّاب المهتمين بشؤون السياسات للكتابة على صفحاتها. تقبل الدورية الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية، كما تفتح صفحاتها أيضًا لمراجعات الكتب، وللحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. تخضع كل المواد التي تصل إلى "سياسات عربية" للتحكيم من جانب مختصين من الأكاديميين. ولذلك تتوقع هذه الدورية ممن يكتبون إليها الالتزام بمعاييرها، وبما يبديه المحكّمون من ملاحظات. فاتباع التقاليد العلمية المؤسّسيّة، على محدوديتها، هو الذي يسمح بتراكم التّجربة واحترام المعايير العلميّة، وضمان جودة المادة التي تصل إلى القراء. تهدف هذه الدورية إلى أن تكون طيّعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحيةِ برصانة المضمون.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة

siyasat.arabia@dohainstitute.org

سياسات عربية SIYASAT ARABIYA

## قسيمة الاشتراك

الاسم _____

العنوان البريدي _____

البريد الإلكتروني _____

عدد النسخ المطلوبة _____

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

# Invitation to submit papers

The editors of *Siyasat Arabia* invite scholars to submit papers for consideration in future editions of the journal. *Siyasat Arabia*, published bi-monthly in Arabic, covers the range of specialisms within political science and strategic studies, including international relations, geopolitics and geostrategic studies. The journal also carries critical, incisive essays and book reviews as well as primary source materials. All submitted manuscripts will be subject to the same rigorous peer review process. The journal aims to further and deepen debate around these topics for diverse audiences of professional scholars and non-specialists alike while continuing to uphold its high academic standards.

All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.org

Address all correspondence to the Editor-in-Chief

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

## الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35 دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.

55 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.

55 دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.

75 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.

95 دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.

120 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.

120 دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.

140 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

## عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون

ص.ب: 4965-11 رياض الصلح 2180-1107 بيروت - لبنان

## عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

Qatar National Bank

Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS )

IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)

SWIFT code: QNBA LB BE